# لحن الحب

## جنوني بعينيك انتحار 2

بقلم

ايناس عادل مهنا

## المقدمة

وجهة نظر أحد شخصيات الرواية

من يراني من بعيد. . . لربما يؤمن بسعادتي. . . . لا يدركون أني أبكي كل يوم. . والجرح الذي بداخلي ينزف دائماً وأبداً, أصبحت حياتي مجهولةً كلحنٍ أثيري مبعثر, ويستمر الليل الطويل دون أن تشرق شمس الأمل, أضحت نيراني رماداً ومن بين الرماد خرجت جمرةً لتحرق ما تبقى من روحي, وربيعي أغار عليه الريح فتبعثرت الحياة كما تتطاير أوراق الخريف, حتى الزهور من حولي ذبلت, ماتت, تاه عبق ريحها بمستنقع الواقع, ماتت الدقائق فابتلعتها الأيام والسنوات
لم أستطع نسيان الماضي ولن أستطيع, صرت وحيداً في دوامة الحياة بلا هدف, بماضٍ بشع جداً لا أريد استذكاره وحاضرٍ يحتضر ومستقبلٍ لا مستقبل له! كيف جرى كل ذلك! ! ولما وصلت إلى هذه المحطةِ بالتحديد!

بعدما غادرتني جمانة ذلك اليوم الذي لن أنساه حتماً لأنه بداية الموت بالنسبة لي. . . . هربتُ إلى الحانة, المكان الأمثل لأمثالي. . وأطلقت فيها طاقتي بالشرب والرقص كمعتوهٍ متمرس. . . أطلقت كل الألم الذي يعتمر نفسي منها. . . ومن نفسي. . ومن خيانتي لزوجتي . .

وأكملت ما ابتدأته بالحانة من لهوٍ وعبث وأنا مغيبٌ عما حولي, لتدلف معي تلك الشقراء إلى غرفتي في الفندق, لا أنكر حينها أني بكيت كثيراً حتى وأنا برفقة تلك اللعينة, بكيت وضربتها بشكلٍ هستيري حينما تمثلت جمانة أمامي! ! حتى هربت الفتاة من الغرفة لأرتمي أنا باكياً ولأول مرةٍ لأجل امرأة. . تلك الجمانة سحقت روحي, أحرقتني بنيران خطيئتي واستمرت تلك النيران طويلاً.
لم أكن أعرف حينها أن إليسا سقطت على الأرض ونقلوها للمستشفى كنت معتكفاً لثلاثة أيامٍ قضيتها بانحرافٍ غير مسبوق, بضياع وتشتتٍ وغضب, أقفلت الهاتف بعدما توالت اتصالاتهم المستميتة لهاتفي. . . وحينما رجعت كان المنزل يعبق بسكونٍ مخيف, صعدت درجات السلم لأرى تلك الجنية

تعبث بخزانة اليسا وحقيبةٌ كبيرةٌ على السرير! لم أفهم ما الذي يجري حينها! بقيت أحدق بها بصمتٍ حتى تنبهت لوجودي وتطلعت في بعيونٍ كالجحيم. . بل أشد وطأةً منه! رميت الحقيبة على الأرض لتغلق هي حقيبة إليسا وتخرج بها دون أن تتفوه معي بحرف, توقفت بطريقها قائلاً بعدم فهم: ما الذي يجري؟ أين الجميع؟
رفعت بصرها مجدداً ورمقتني بنظرة ازدراء قبل أن تغادر. . . ناديتها

-جمانة! ما الذي يجري؟

- وهل يهمك ما الذي جرى يا مراد بك هل يهمك, طبعاً لا. . . لا يهمك ولن يهمك"
-أين اليسا " سألتها بتوجسٍ وشعرت حينها بأن قلبي قد سقط بعنفٍ ليرتطم بخطاياي. . . . .
-اليسا بالعناية المركزة يا مراد. . . تدحرجت عن السلم وأجهضت الجنين. . " نطقتها بعنفٍ لترتطم كلماتها بأذني لتحرقني حروفها. .

وطال تحديقي بها دون أن أصدق ما جرى. . . كما طال الألم الذي عذبت فيه روح زوجتي القاصر. . كالألم الذي نهش روحي جراء فقدان طفلي الأول" كم كان انتقام القدر قاسياً مني, كم كان الثمن غالياً بشكلٍ مخيف, دلف آدم متسائلاً بلهفة هل اِنْتَهَيْت؟ " واقتطعها ما إن رآني أعلى السلم. . واقفٌ كالصنم أحدق بهما ولا أفعل شيئاً سوى التحديق كالأبله!
انتشل آدم الحقيبة من بين يدي جمانة وقال موجهاً حديثه لي: إن كنت تريد زيارتها . . .فهي في مستشفى الحياة, هيا جمانة " وانطلقا دون أن يضيف أحدهما شيئاً آخر. . .

وتهشمت روحي. . وتناثرت شظايا الحب كالبلور المكسور لتعيث دماراً نازفاً داخل صدري, وتعاقبت الليالي السوداء التي لم أحسب لها حساباً, مات الذي كان يربطني بزوجتي, مات حب زوجتي الصغيرة التي لم أصنها كما يجب. . . ماتت روحي كذلك منذ ذلك الحين. . ورضخت لمطلبها في الطلاق بعدما تعافت مني ومن ماضيي الأسود ولم أعد أعرف عنها شيئاً سوى أنها سافرت للإقامة ب دبي عند عمها. . .

وجمانة. . . تلك التي أذاقتني الألم بألوانٍ متعددة. . . اختفت من حياتي وانسابت كالماء الزلال من بين أصابعي, خُطِبت لكريم بحفلٍ لم أحضره طبعاً. . . بل سافرت هرباً منهما ومن كُلّ أحدٍ من أفراد أسرتي التي اعتبرتني المسئول عما جرى بشكلٍ أو بآخر"
هربتُ أنا إلى فرنسا واعتكفت فيها كسائحٍ باحثٍ عن الألم فقط. .
.خمس سنواتٍ عجافٍ مرت ,استنزفت روحي وقلبي وعقلي, أرى كل شيءٍ مر بحياتي. . كالحلم, لا بل كالكابوس. . . واشتدت تلك الكوابيس عندما هاتفتني نور باكية وأجبرتني على الانصياع لها للعودة لأنها تخرجت من كلية الطب وتحدد موعد زفافها ولا بد من حضور شقيقها الوحيد! كنتُ أهرب من النار والآن رجعت إليها بل وارتميت بأحضان تلك النيران المتلظية لتعاود نهش ذاكرتي من جديد. .
ارتمت نور على ذراعي كطفلةٍ شقيةٍ لم تكبر بل ازدادت فتنةً وأما تلك الصبية ذات الثلاثة عشر عاماً كانت عسل! نسخةٌ مطابقةٌ من جمانة! بلسانٍ طويل وألبسةٍ عجائبية! حملتها بين ذراعي ودرت بها كثيراً ولربما بكيت وتلك الصغيرة بين أحضاني أقبلها, لكم اشتقت لعسل الشقية! . .
وتعلقت عيناي على أبي وأمي الذين استقبلاني بكل حبٍّ واشتياق, لكم كنت أحتاج لحمايتك يا أبي! لكم افتقدت حنانك يا والدتي!
وهبت نيران الماضي ولفحتني مجدداً ومجدداً عندما دلفت جمانة وكريم وبينهما طفلٌ صغيرٌ لم يتعدى العامين من العمر! لربما تفاجأت جمانة كحالتي لرؤيتها الآن لأنني لم أعلمهم بشكلٍ رسميٍّ متى سأحضر لذلك كانت مفاجئةً للجميع !فابتلعت تلك النار مرغماً وألقيت التحية عليهما وانحنيت لأحمل ذلك الطفل الذي يحمل رائحتها واتساع عينيها الساحرتين. . .

وتقرر حفل الزفاف وحضرت ذلك الحفل الذي أنساني جزءاً من همومي, بل وتكلل بحبٍّ شهدته أنا على مدار تلك الأعوام! لربما لو كنت وفياً لزوجتي لكان طفلي الآن بعامه الخامس. . لكنت مع إليسا ننعمُ بكل سكينةٍ وحب! واشتقت لها حد الجنون, صرت أفتش عن صوري معها, تلك الصغيرة البريئة. . وحش الشوكولا ! تبسمت ومسحت دمعةً خانتني وأنا أتذكر لحظاتنا معاً, لحظاتٍ لذيذةً كقطع الشوكولا التي تحبها!.

وكدت أن أغادر مجدداً إلى فرنسا لكن الجميع منعني عن ذلك, ولكن أكثر دقة لم أشأ أن أهرب مرةً أخرى بعدما التمست هذا الدفء الأسري الذي افتقدته لسنواتٍ بسبب غبائي, لكن كريم, صديق طفولتي, ابن عمي الذي سلب لربما فرحةً كنت ألاحقها سابقاً لم تعد علاقتنا كما السابق, لم يعد ذلك الجدار الذي استند عليه بأشد لحظاتي ضعفاً بل صارت علاقتنا شبه رسمية. . .

وارتأيت أن أبقى معهم بعدما صفيت كل أعمالي في فرنسا, وبما أن آدم صار المهندس الرئيسي بالشركة طيلة سنوات غيابي, رضخت بكل رحابة صدر بأن أكون تحت ظله!

ومر عامٌ آخر لم يتغير فيه شيء. . . سوى بأن العمر يهرول بنا سريعاً نحو النهاية, وحيداً كنتُ بينهم, منبوذاً من أشد من لهم مكاناً بقلبي, وخاصةً كريم الذي ما إن يراني مصادفةً بمكانٍ ما يهرولُ مبتعداً بزوجته وكأنه هاربٌ من الجحيم. !

كان (جواد ) ابن جمانة عند والدتي ذلك المساء حينما تركه والداه وذهبا لإحدى السهرات ,رجعتُ من العمل وصرتُ ألاعب ذلك الشقي الذي استلب مكر والدته وهمجيتها الجميلة! لكنه وبلحظةٍ وقع ليرتطم رأسه على حافة المنضدة الزجاجية لنصاب بهلعٍ أنا ووالدتي عندما تفجرت الدماء من جبينه الصغير, حملته بين ذراعي وهرولت به لأقرب مستشفى وولجت قسم الإسعاف لتتلقفه إحدى الممرضات من بين يدي وتتوجه به نحو إحدى الأسرى وما هي إلا لحظات حتى توقف الزمان بي. . . توقفت عن التنفس عندما هجمت تلك العينان لتدق ناقوس ذاكرتي. . . تلك اليدين اللتين تذوقت من خلالها الشوكولا بالبندق! دفعتني دون أن تتنبه عن هويتي وهجمت بشعرها المتمرد كما تمرد صدري هذه اللحظة وأعلن عصيانه, وعاينت جرح جواد. . وعالجته بمهارةٍ فائقةٍ وحينها فقط استدارت ناحيتي لتقول: الحمد لله لا يحتاج إلى تق. . . . طيب.

ارتفع حاجباها حينما تطلعت بي اليسا أو عفواً. . . . الدكتورة إليسا! . . بكى جواد لينتشلني عن شرودي بها فتلقفت الصغير بين يدي بينما اليسا

تتطلع بنا قلت بلا وعي وكأنني أدافع عن نفسي لذنبٍ اقترفته: ليس ابني "
هزت رأسها مجيبةً ببساطة: لا يهم. . . حمداً لله على سلامته " سكت
الصغير بين ذراعي بينما كادت أن تغادر فاستوقفتها بتردد: كيف حالك؟
هزت رأسها مجيبةً: الحمد لله " وبقيت كالأبله أحمل ابن جمانة وأتطلع بها
فهمت استغرابي وأجابت ببساطة:

- أكملت دراستي في دبي ودخلت كلية الطب هناك. . ورجعت منذُ فترةٍ
وجيزة بعد التخرج أومأت لها وأنا أشد بقبضة يدي على الصغير: تغيرتِ
كثيراً
- كلنا تغيرنا يا مراد
,تنحنحت مجدداً حينما خاطبتني إحدى الممرضات لابتعد فسألتها مجدداً:
متى. . . تنتهي مناوبتك؟ أقولها ولا يسعني التصديق أن تلك الصغيرة
أضحت طبيبةً شابة! بل ملاكٌ بزيٍّ أبيض!
فأجابت باقتضاب: عندي مناوبةٌ اليوم.
فهمست لها وأنا أتطلع لأصابعها الخالية:
- هل. . أنتظر
- .افعل ما يحلو لك

**********

# الفصل الأول

وتدور بك الأيام , كعجلةٍ كبيرة, يختفي المطر, يظهر ويتوقف وتظهر شمسك من جديد ساعةٌ وراء أخرى, يومٌ تلاه آخر ، عام وراء عام

تظهر شمسك وجهها من بين سحب الألم المتلاحقة فترفع وجهك ناحية أشعتها باسماً فتظن أن الزمان قد ابتسم لك مجدداً فتستطيع استكمال حياتك من حيث تركتها آخر مرة...لكنك مخطئ, مخطئٌ جداً في توقعاتك .لن يغفر لك أحدٌ أخطائك السابقة, حتى لو أظهروا لك عكس ذلك, حتى لو عاد الجميع إلى طبيعتهم معك, عند أول خطأٍ بسيطٍ ترتكبه مجدداً سيثبت لك الجميع حينها أنهم لا ينسون، سينبشون رفات الماضي بلا رحمة، ستتعرى مجدداً لتلطمك أخطائك السابقة، لن ينسى أحدٌ الماضي, النسيان كذبةٌ كبيرة يدعيها البشر ليستكملوا الحياة بأقل الخسائر , لكنهم لا ينسون.. ضع ذلك في حسبانك.

********

- أأنتظرك؟

افعل ما يحلو لك" -
نطقتها إليسا بثقة وهي ترفع رأسها بشموخ تجاه مراد ، تاه في هذه التفاصيل التي أينعت وازدهرت وازدادت فتنة ورونقاً
شل تفكيره هذه اللحظة والصغير ما يزال غافياً على كتفه ولم يستطع ان يزيح ببصره عن تلك العينين الكحيلتين الحادتين ، لكم تغيرت صغيرته ! لكم أضحت مغايرةً لتلك الصغيرة الخجولة الملتصقة به على الدوام ! بل أضحت نسخةً مؤنثةً عنه, تلك القوة والصلابة لم يرهم سابقاً , ماذا فعلت بك الأيام يا إليسا, بل ماذا فعلت أنا بك !؟ تساءل مراد بسره وهو يطالعها بانبهار

انتشله من شروده صوت صفارات سيارات الإسعاف التي دوت بالخارج ليهرع الطاقم الطبي بحالة استنفار وبينهما وحش الشوكولا خاصته !
هرولت إليسا ناحية سرير النقل تتفحص حالة المريض بينما قال أحد رجال الإسعاف بمهنية : أعراض سكتة قلبية " عانى من الإجهاد البدني, كان يمارس تمريناته الرياضية حتى سقط فجأةً متألماً وعانى صعوبة في التنفس " هرعت اليسا بمهارةٍ فائقة تجاهه كونها تعمل بقسم الطوارئ !لكن كيف ومتى وأنى لها هذه القوة والصلابة التي تطل من حدقتيها وهي كانت تخاف وتجهش بالبكاء إن رأت نقطة دماءٍ على إصبعها !!؟
صراخٌ وبكاء من زوجة المريض الراقد على السرير التي دلفت لتوها فدفعها الممرض بعيداً حينما قال الطبيب : " النبض يتباطأ جهاز الصدمات الكهربائية بسرعة " هتفت اليسا بالممرض الذي اتجه مباشرةً لإحضاره بينما شرع الطبيب هشام بعمل مساج للقلب في محاولةٍ منه لإنعاش قلب المريض وزوجته ما زالت تصرخ من بعيد, تناولت اليسا جهاز الصدمات ليبتعد الطبيب مفسحاً المجال لها وهتفت "

- هيا افتح .. واحد ..اثنان.. ثلاثة"
تلاحقت أنفاسها وهي تنظر للشاب الراقد على السرير وقالت بثقة : لن تموت اليوم... أتفهم...لن تكسر قلب زوجتك..." كانت ترجو الله سبحانه ان ينجيه، تطلعت بهشام وهتفت بقوة : سأبدأ مجدداً واحد.. اثنان .. ثلاثة.." لينتفض جسد الشاب وتعاود نبضاته بالعودة لطبيعتها بشكل تدريجي, أدمعت عيناها وتنفست الصعداء وأرجعت الجهاز لمكانه بينما ربت الدكتور هشام على كتفها باسماً بتشجيع : أحسنتِ إليسا " ودفع بالسرير من فوره ليتحرك به للقيام بالإجراءات التالية..

لم يتنبه مراد على شيءٍ حوله وهو يراقبها, بصدمةٍ وتفاجئ, يراقب ذلك الطبيب الذي تجرأ على التحديق بها بهذه الطريقة الغريبة ولم ينتبه على صياح الممرضة حتى دفعته بغلظة قائلة:
_ما بك أيها الرجل قلت ابتعد عن الطريق !
رفع حاجبيه وأومئ لها بارتباك قبل أن يهرب من قسم الإسعاف عائداً إلى المنزل..

و هذا ما حصل قبل سنةٍ كاملة ! كان ذلك اليوم كالحلم بالنسبة له أو أنه فعلاً قد تهيأ له ذلك, أو كانت كالملاك الذي ظهر له كومضات في حياته واختفت مجدداً ببساطة!

في اليوم التالي مباشرةً لم يستطع صبراً على معرفة ما حل بها وهذا التغير الذي طرأ على شخصيتها .. اتجه ناحية المستشفى مجهزاً باقة زهور, لربما يحاول التعويض عما ألحقه بها سابقاً من ضرر, فهو وبعد الطلاق هرب فوراً من الجميع ومنها، توجه ناحية قسم الطوارئ لتجيبه الممرضة بهدوء:
-ليست هنا, انتقلت " ببساطةٍ نطقتها ليهتف وهو يضرب بكفه على الطاولة : كيف انتقلت والبارحة ليلاً كانت هنا"!!

مر بالصدفة منهما الدكتور هشام ليتساءل بعدما ارتفع صوت مراد : ما الأمر يا آنسة دلال هل من مشكلة ؟

تطلعت فيه دلال مجيبة : يسأل عن دكتورة اليسا أخبرته أنها انتقلت هنا لكنه صار يصرخ ويتهمني بالكذب!

عفواً أستاذ, إنها فعلاً ليست متواجدة." نطقها هشام وهو يتطلع بتعابير مراد الذي همهم بنفاذ صبر:
البارحة ليلاً رأيتها هنا أم هي أخبرتكم أنها لا تريد رؤيتي !؟ رفع هشام حاجبيه متسائلاً
-عفواً لكن من تكون لها ؟ ولما ستخبرنا بأنها لا ترغب برؤيتك ؟

أنا زوجها " هتف بها مراد بحدة ليتطلع به هشام ببرود وهز رأسه متفهما وأجاب-
-آه, تقصد. . . زوجها السابق, حسناً لا يهم, الدكتورة اليسا حالياً في دورةٍ تبادلية في مستشفى خارج المدينة"

أين؟ سأله مستفهماً ليجيب هشام وهو يضع يديه بجيب مئزره الأبيض:
لا أعلم مع الأسف, عن إذنك" وتبسم له بتكلف قبل أن يستكمل خطواته الواثقة فاعتصر مراد قبضته وولى مغادراً المستشفى
**********
همهم هشام وهو يحك ذقنه, لهذا السبب طلبتِ الالتحاق بهم بعدما كنتِ قد رفضتِ فعل ذلك سابقاً, ما الذي ستخفينه أيضاً يا إليسا؟
اخرج هاتفه بعدما دلف إلى مكتبه في المستشفى واتصل فيها ليأتيه صوتها

الناعم الذي يعشق رنين حروفه: أهلا دكتور هشام
-كيف حالك, هل نظمت أمورك؟

-نعم الحمد لله وغداً صباحاً سأسافر
-جيد. . اليسا. . . . لقد حضر اليوم زوجك
تسارعت أنفاسها بوجع ما يزال ينزف بروحها وأغمضت عيناها ليقول مجدداً: اليسا! أنتِ معي؟
نعم, دكتور. . تقصد طليقي"
-نعم، تطليقك، هل. . . تهربين منه, هل يزعجك لذلك قررتِ الالتحاق بالدورة؟
صمتت قليلاً قبل أن تجيب: لا أهرب من أحد, لكن الدورة ستفيدني جداً
ثم أردفت بتردد :وهل أخبرته عن مكاني؟
-لم أخبره بمكانك حتماً، وضعت احتمالية عدم رغبتك بذلك
تنهدت وهي تشد بقبضتها على الهاتف لتشكره بامتنان فقال بلهفة: آسفٌ لتدخلي لكن. . . صدقاً يهمني أن أعرف لِمَ لم ترغبي برؤيته؟
طال صمتها قبل أن تجيب بجمود:
من يغادرك وأنت في حاجة إليه لا تثق به حينما يَأْتِيك مرة أخرى-
تعجبني فلسفتك يا آنسة " تعالت ضحكتها على الهاتف بينما هشام يلعب بقلمه بين أصابعه وأجاب بصدق: سنفتقد أيتها المساعدة
بل قل سترتاحون لسنةٍ من إزعاجي وأسئلتي اللامتناهية

**********

**الوقت الحالي**

- يا صباح ..الروائح المقرفة ! " غطى وجهه بيديه وهو يبعد ساق جواد عن بطنه بانزعاج وهتف وهو يلكزها بأصابعه: انهضي بحق الله.. غيري له الحفاض خنقني " تململت جمانة واستدارت للجهة العكسية فهزها بشكلٍ أكبر : جمانة, انهضي رجاء

-هووووف " هتفت بانزعاج ونهضت بتثاقلٍ من على السرير بينما توجه كريم إلى الحمام ليأخذ حماماً ساخناً عله يزيل تلك الرائحة التي شعر بأنها تغلغت فيه.

أطلق جواد ذو الثلاث سنوات قهقهةً عالية وهو يهرب من والدته التي تلحق به لإلباسه بنطاله فاصطدم بوالده الذي خرج لتوه من الحمام فرفعه عالياً وسط ضحكاته المجلجلة ورماه على السرير قائلاً : اثبت يا ولد ودع والدتك تلبسك البنطال أصواتك جابت آخر الشارع !! ثبته بيديه وهو يقاوم حتى قامت جمانة بإلباسه بنطاله بصعوبة فهرب بعدها فوراً منادياً : عمتي رهف حضرت هييي

فتمتمت جمانة بسخط وهي تراقبه بعينيها حتى اختفى خلف الباب:
!-ممن أخذت طباعك الشرسة أيها الولد

رفع كريم حاجبيه ضاحكاً وهو يقرصها من وجنتيها:
- ممن يا ترى أخذ طباعه الشرسة!! فعلاً لأمره عجيب.

لكزته جمانة على صدره وعقدت حاجبيها : تقصدني طبعاً أليس كذلك ؟

حوطها بذراعه مجيباً بمكر: - أنا!! أعوذ بالله, إن زوجتي ملاكٌ رقيق " ثم أردف بهدوء: صحيحٌ أن أغلب البشرية تستيقظ على روائح عطرة ! يقولون لزوجاتهم صباحكِ سكر, على ابتسامةٍ عذبة.... لربما على قبلةٍ رقيقة . لكن عبدك الفقير يستيقظ كل يومٍ على رائحة حفاض ابنه ! يااااه أروع استيقاظٍ رومانسيٍ بالوجود"

قهقهت بصوتٍ عالٍ وهي تدفعه من صدره:
هيا لنلقي السلام على رهف قبل توجهك لعملك -

*********

وبعد عدة شوارع سكنية... و بداخل فيلا رضوان المنصور المكونة من طابقين يجلس رضوان مع زوجته عبير يحتسيان قهوة الصباح على أنغام فيروز ولكن سكينتهم ستستمر ؟ طبعاً لا ! سكينتهم أن تطول بعد رنين هذا الهاتف الذي أرعب كلاً منهما!!

جاء اتصالٌ من مدرسة عسل ليتمتم رضوان:
أخشى أن أجيب صدقاً " تنهدت عبير بقلة حيلة وقالت :

- أجب عزيزي وتوكل على الله ... الله يستر

أجاب رضوان على الاتصال لتنفرج عيناه بغضبٍ بينما مديرة المدرسة تكلمه بكلماتٍ متلاحقة ليزفر بحنقٍ مجيباً : حسناً أنا قادمٌ فوراً " أقفل الهاتف ورماه على الطاولة بينما نظرات عبير تسترجيه ألا يكون ما توقعته صحيحاً لكنه هز رأسه :

-نعم ...ما تفكرين به صحيح يا عبير "ونهض من مكانه ليغادر لكنها قالت بهدوء:

- ابقى أنت سأتصل بمراد ليحل المشكلة لا أريد منك أن تنفعل مجدداً "

هز رأسه باستسلام بينما نهضت عبير لتتصل بمراد الذي انطلق من فوره إلى مدرسة عسل

**********

## الفصل الثاني

الحب. . . كلمةٌ من حرفين فقط لكنهما يحويان كينونة الوجود ذاته. . .
نحن خلقنا من الحب ونعيش على هذه الأرض للحب, إن وضعت الحب هدفاً لحياتك ستنجح بكل تأكيد. . . . حب الدراسة, العمل, حب العبادة, حب الحياة! . . . حرفين فقط يختصران هذا الوجود وهدفه.
المطر. . . ثلاثة حروفٍ لكن فيها الروح والحياة. . . وهي مبعث الحياة, لذلك الأشياء الصغيرة لها رونقاً خاصاً وعظيماً,
دلفت دلال لتستدعيه لكنه كان يغط بنومٍ عميق بعدما أرهقته مناوبة الليلة الماضية فحالات الإسعاف لم تهدأ, ارتأى أن يحظى ببضع ساعاتٍ من النوم لأن إليسا ستعاود عملها في المستشفى هذا الصباح, يريد أن يكون صاحياً وواعياً عند مجيئها، وكم اشتاق لصاحبة العيون اللوزية بعد غيابها لعامٍ كاملٍ عنه، أو هروبها من زوجها الذي ظهر بحياتها مجدداً دون سابق إنذار.
أبطأت دلال الخطى وهي تتأمل هشام وهو ينام على ظهره مسنداً ساعده على جبهته والإرهاق بادياً على سحنته, وتاهت في تفاصيل هذا الشاب الذي بأوائل الثلاثين من عمره ,والذي سلب عقلها وقلبها، سنة وراء أخرى وهذه هي حكايتها مذ رأته, أحبته ببساطته والتزامه الأخلاقي, بحة صوته الرجولي الأجش, شعره الذهبي القاتم كالذهب المعتق الذي استلب من سنابل الأرض لونها الداكن حين انحسار الشمس عنها وقت الغروب, ذقنه الخفيفة التي تزيده رونقاً وجاذبية, وعينيه اللتان تتحولان ما بين أَخْضَر وعسليٍّ قاتم! ولا تفهم كيف يتحولان ببساطةٍ عندما يبدل قمصانه.
تأملت مئزره الطبي الأبيض الذي انسدل جانبه لأسفل سرير المعاينة, وقميصه الليلكي الذي ظهر من أسفل المئزر المفتوح. ., وكأن المستشفى قد فاز بالجائزة الذهبية الكبرى حينما وظفه! اقتربت منه بخطى بطيئة

وهي تكافح لجعل نبرة صوتها متزنة:
-دكتور هشام
لم يبد استجابةً لصوتها الخافت فنظفت حلقها لتناديه بصوتٍ أعلى: دكتور هشام" تنبه أخيراً لصوتها فأزاح ساعده عن جبهته لتبان لها عينيه المحمرتين إثر إرهاقه مما زادهما لمعاناً وغموضاً وكأنهما نافذتان لبساتين من أوراق العنب أوائل الخريف, بالكاد فتح عينيه جراء الضوء الساطع للإضاءة واعتدل بجلسته قائلاً ببحة صوته:
-أهلاً دلال, حالة إسعاف!؟ "

تساءل وهو يفرك صدغه لتهز دلال رأسها نافيةً وأردفت بلعثمة وهي تحدق فيه بخجل:
-بل. . بل دكتورة إليسا حضرت منذ قليل وتسأل عنك " نهض من فوره بنشاطٍ لتلاحظ دلال تراقص عينيه والتماعهما لتبتلع غصة ألمٍ وهو يباغتها بالسؤال:

-أين هي الآن؟
أطرقت رأسها إلى الأرض تحاول كبح دموعها التي ستعلن تمردها بأية لحظةٍ من عينيها وقبل أن تجيب دلفت إليسا بابتسامةٍ واسعةٍ وهي تغلق أزرار قميصها الأبيض الطبي ليجتاز هشام الممرضة دلال متجهاً ناحيتها وهو يفرد ذراعيه قائلاً:
-أهلاً بمساعدتي النشيطة, كان عاماً طويلاً حقاً! تعالي ستحكي كل ما فعلتِه هناك " تبسمت إليسا ببشاشة موافقةً لتخفي دلال دمعة ألمٍ عنهما وتغادر دون حتى أن يتنبه لها هشام أو يكيل لها أي نظرة
توجهت ناحية الحمام وأغلقت الباب خلفها بعنف لتستند على طرف الحوض وتتأمل تفاصيل وجهها وتدمع عيناها بألم، لما يفضلها عني؟ ما الذي ينقصني كيلا يعيرني أي اهتمام! " تساءلت بقهر وهي تمسح دموعها التي تروي وجنتيها بصمت فتحت الصنبور لتشطف وجهها مخفيةً آثار الدموع والكحل الذي لوث محيط عينيها,
دلال. . وكما يسميها الجميع هنا ملاك الرحمة, تتطابق هذه الصفات معها وكأن هذا الاسم قد صمم خصيصاً لتلك الفتاة ذات التسعة وعشرون عاماً, حجابها الأبيض الذي يخفي شعرها الأسود الطويل, بشرتها الصافية وعينيها البنيتان اللتين تغطيهما أهدابٌ طويلة, فمها الناعم وأنفها الدقيق. . الجميع يناديها بملاك الرحمة في مستشفى الرحمة التي يعملون به! حتى هو يناديها بملاك الطوارئ! لكنها منه تخرج بلا معنى. . بلا روح. . هي

موقنةٌ بأن مشاعرنا لا قدرة لنا على تجاهلها, تعلم بحبه الدفين لإليسا لربما هي الوحيدة التي لاحظت نظراته تجاهها وحزنه لغيابها طيلة العام المنصرم, دلال تعشق وجوده بحياتها حتى ولو لم يتنبه لها, تعشق أنفاسه التي تتشاركها معه في أروقة المستشفى, فلا ذنب لها في ذلك الشعور القاتل ناحيته.
أتاها اتصالٌ من والدها لتغمض عينيها بألمٍ وتجيبه بخفوت ليطالها صراخه كما المعتاد, اعتصرت الهاتف بقبضة يدها وهي تستمع لتوبيخه الذي لا ينضب مطالباً بزجاجة مشاربه المعتادة, ذلك السكير الذي كان سبباً بموت والدتها وشقيقيها الصغيرين حينما استقلا السيارة برفقته, وكان يقود وهو سَكْرَان كما العادة لتنقلب السيارة ليلقى الجميع حتفهم ما عداه! فهذه هي لعبة الحياة؛ سَيَفْنَى الجيدون أولاً وبعدها تتفرغ الحياة للعبث بأوغادها!
أغلقت الهاتف وأخذت نفساً عميقاً وزفرته بروية قبل أن تعاود مزاولة عملها وكأن شيئاً لم يكن لعل ما اكتسبته من العمل بقسم الإسعاف، هو السيطرة على مشاعرها والتصرف بحكمة وسرعة. . .

**********

كانت تدور بغرفة الألعاب الرياضية بعدما احتجزتها بها مديرة المدرسة تصر على أسنانها بغيظٍ وهي تتوعد تلك الحمقاء التي تجرأت عليها بسبةٍ بذيئة, رفعت سروالها الذي ما يزال مصراً على الانحسار عن خاصرتها لكونها خلعت الحزام هذه المرة وأهدتها لتلك المسكينة ضربتين به, ضربت بقبضتها وفرقعة أصابعها متمتمةً بتوعد: لم أنتهِ منكِ بعد يا غبية! قالتها عسل التي قاربت على بلوغ السادسة عشرة عاماً وبللت شفاهها ثم أصدرت انين ألمٍ خافتة لأن زميلتها قامت بلكمها بعنفٍ على فكها لتدافع عن نفسها.
تقدم مراد ناحية غرفة الإدارة لتنفرج عيناه بصدمة وهو يحدق بتلك الفتاة المسكينة التي تلون وجهها بألوان الطيف السبعة واصطبغ ساعدها بزرقةٍ طفيفة, تطلع بالمديرة مبهوتاً وحرك ساعديه باستسلام دون أن يعرف بما ينطق. . كان محرجا جدا، نهضت المديرة من وراء المكتب وهتفت بحنق:

-لقد زاد الموضوع عن حده يا سيد مراد ليس من المعقول أن تصل لهذه الدرجة من العنف, لقد ضربتها بحزامها الجلدي! أتفهم معنى ذلك, سأضطر بأن أبلغ شرطة الأحداث لتكف عن تصرفاتها الهوجاء تلك.
شهق مراد وقال بلعثمة ضربتها بحزامها الجلدي؟. !

وقفت الفتاة وهتفت به بغلٍ واضع: نعم تلك المجنونة ضربتني على ساعدي وفخذي أم تريدني أن أريك لأثبت لك"
سوزان تأدبي واخرجي الآن لأتحدث من السيد! نطقتها المديرة بحدة لتطرق رأسها على الأرض وهي تزفر كثورٍ هائج وخرجت مغلقةً الباب خلفها
أردفت المديرة تخاطب مراد:
-هل لديك حلٌّ آخر سيد مراد؟ لقد وافقت على التحاقها بمدرستي رغم معرفتي بأنها طردت من ثلاث مدارس حتى الآن وقلت لنفسي لا نريد أن تخسر الفتاة مستقبلها الدراسي لكن مشكلاتها لا تنتهي, لسانها الطويل, يدها المعتادة على الضرب, ما كان يوقفني عن طردها هو مستواها الدراسي العالي, شقيقتك ذكيةٌ جداً لكنها عنيفة"
اسمعي آنسة أنا فعلاً آسفٌ عما بدر منها, لكن تلك الفتاةُ لم تكن هكذا ولا أعلم سر هذا التحول الرهيب بشخصيتها بهذه الأعوام الثلاث.
اعرضها على مختصٍّ نفسي إذن, تحتاج استشارةً نفسية-
قالتها المديرة بتأكيد فانفرجت عينا مراد بصدمةٍ وحدق بالمديرة مطولاً فقالت وهي تدون اسماً على ورقة:

-ابن شقيقتي، دكتورٌ نفسيٌّ ,صحيح أنه متخرج حديثا لكنه سيساعدك بكل تأكيد حكيت له القليل عن وضعها فوافق على عمل عدة جلسات، ولا تنسى أني حتى الآن أساعدكم وأساعدها, حتى والدا سوزان استطعت التفاهم معهما وأخبرتهما أن ابنتهما كذلك متورطةٌ بالخلاف"
اتجهت المديرة ناحية جهاز الحاسوب وعبثت بالأزرار قليلاً لتظهر لمراد كاميرا المراقبة التي أظهرت لحظة عراك الفتاتين فتابع المشهد بعينيه ليتمسك بمسند الكرسي ويزم شفاهه بغضب ثم ابتلع ريقه وقال بهدوء:
سنعالج الأمر ونأسف مرةً أخرى ونحن مستعدين لتعويض الخسائر, لكن رجاء لا أريد أن تصل تفاصيل هذه الحادثة لأبي أو أمي. .
أتفهم وضعك مراد بك لا تقلق من هذه الناحية, لن أخبر والدك، لكن عليك الانتباه فالخسارة الحقيقة ستكون شقيقتك إن لم يتم ردعها بالطريقة الصحيحة.
ألقى السلام عليها متجها ناحية غرفة الرياضة ليرى عسل تجلس على إحدى المقاعد وتهز قدميها بعصبية ما إن دلف حتى حدقت فيه بتكشيرةٍ ووجل. . تقدم منها بهدوءٍ ينافي البراكين التي يوشك على تفجيرها ورفعها بغلظةٍ لتنهض وقال بهسيس عقابك لاحقاً سيكون عسيراً,

ألا تكفين عن مشاكلك " رفعت عينيها البنيتان الحادتان وأجابت:
- تلك الكلبة المسعورة هي من بدأت
عض على شفاهه بحنقٍ ولطمها بإصبعيه على شفاهها
هششش ولسانك الطويل هذا سأقصه لك بيومٍ ما, امشي أمامي الآن

أفلتت نفسها من قبضته وقالت بحدة: أسير بمفردي" وتقدمته بعدما انتشلت حقيبتها لترميها بإهمالٍ على كتفها ف أطلق زفيراً عالياً وسار خلفها
**********
كان يعتمر خوذة الحماية وهو في الطابق الخامس من موقع الإنشاءات للبناء الحديث الذي صممه ويشرف على إنشاءه, تصاعد رنين هاتفه ليبتعد عن الضوضاء ويجيب على اتصال حبيبة الروح والقلب: -أهلا بقلب آدم " اتسعت ابتسامةٌ من شفاهها: كفاك آدم استقول هذه الوصلة في كل اتصال رفع إحدى حاجبيه مجيباً بلهفةٍ واضحة:

-في كل دقيقةٍ وثانية, وفي كل لقاء سيعبر آدم عن حبه تجاهك " غزا الخجل تقاسيم وجهها فبعد هذه السنوات ما يزال يتفنن لها في إلقاء الكلمات التي تذيبها في كل مرة
-متى ستنتهين اليوم؟ تساءل لينتشلها من شرودها فقالت بخفوت: اتصلت لإعلامك على الأغلب سأنوب الليلة " أطلق آدم زفيراً مغتاظاً ليقول بعتاب:
ألم نتفق أن تخبري مدير المستشفى بأن لا تنوبي مجدداً
-بلى أخبرته لكن الليلة هنالك جرحى كثر, تعرف تلك الحافة التي انقلبت, الحالات عندنا في المستشفى كثيرة ويحتاجون الكادر الطبي بأكمله حبيبي تعرف أنها أرواح بشر لن أستطيع التغافل عنهم"
تبسم بحنوٍّ شديد ثم أجاب يهمس:
حسناً إذن الليلة فقط سأتنازل عنكِ لهم. . .

أغلق الهاتف وعاد إلى حيث العمال. . واليوم إذن لا بد له من التوجه لمنزل العائلة كي لا يبقى وحيداً في المنزل، ثلاث سنواتٍ مرت وهي زوجته لكنها ما تزال تلك الطفلة ذات عينا العسل المصفى التي يحبها, اكتشف بعد الزواج أن مشاعره تلك لم تكن شيئاً يذكر أمام مشاعره الحالية وهي زوجته, جزءٌ منه ومن روحه, بالكاد استطاع صبراً حتى اجتيازها رهبة التحاقها بكلية الطب، وعملت بعدها كمتدربةٍ بإحدى المستشفيات,لم

يتغير آدم عن الماضي ما زال ذلك العاشق الاندفاعي المتهور, ما يزال ذلك العاشق للمطر والركض تحت قطراته العنيفة حتى بأشد العواصف اشتداداً, نهرته نور في بادئ الأمر لكن السلام الروحي الذي يكلله بعد عودته من ممارسة هوايته الغريبة جعلها تصمت وتكتفي بأن تخبره بهدوء : استبدل ملابسك واشرب كوب الشاي الدافئ " لم يتغير بطباعه شيٌ سوى أنه استسلم أخيراً لضرورة شراء سيارةٍ بدلاً من توجهه للشركة بدراجته الكهربائية فقد أضحى مدير الشركة بشكلٍ فعلي بعدما سافر مراد ورضوان قرر فجأةً أن يلقي بعبء الشركة التي أفنى عمره فيها على آدم الذي بالكاد استطاع السيطرة على هذا العبء الثقيل بمساعدة المهندس ضياء الدين، والذي تزوج من عامٍ تقريباً برهف شقيقة كريم.

ونور باستسلامها الغريب له بكل تفاصيل حياتها وكأنها ما زالت تعشق تدخله بكل ما يخصها, بتحركاتها, بألبستها, بمشاربها , بكل شيٍ تطاوعه باستسلام عاشقة, لأن ما يقوله ويراه هو فعلاً ما يناسبها, لذلك كانت حياتهما هادئةً تغلفها السكينة, لم تثر يوماً عليه, لم تطالبه سوى بعدم الكذب والخيانة لأن الجرح الغائر الذي خلفه خطأ مراد السابق بإليسا ما يزال يعكر صفو سعادتها في بعض الأحيان... تستسلم له وتطاوعه لربما خوفاً من أن تتسبب بمشكلةٍ فيضطر للابتعاد عنها وهي لن تقوى على هجره أبداً, ولم يكن هو قادراً على الكذب أو الخيانة, لأنها روحه، ولا أحد يكذبُ على روحه ! طالبها بارتداء الحجاب بعد سنةٍ من زواجهما... كلمةٌ واحدةٌ نطقها لغيرته على تلك الشعلة التي تنمو يوماً بعد يوماً لتحصينها من أعين الرجال الجشعة خارجاً وكرجل مسلم يخاف الله فيها و بها...
فهزت رأسها حينها مجيبة:
هل من الممكن أن يكون القرار نابعاً مني فقط المسالة تحتاج إلى وقت .

فأومئ لها موافقاً وبعد شهرين فقط خرجت إلى عملها بحجابٍ ملائكيٍ أبيض يغطي شعرها وبثيابٍ فضفاضةٍ مناسبةٍ له، حينها حدق بها مبهوتاً... الحجاب لم يزدها إلا نوراً وفتنة ! توقف لدقائق يتأملها قبل أن يهرول ناحيتها ليتلقفها بين ذراعيه ويدور بها أرجاء الصالة فرحاً بها, قبل يديها بعمقٍ مغمضاً عينيه وهمس :

-أشكر الله على تلك النعمة التي وضعها بين يدي .. أشكره على النور الذي حوطني بوجودك معي وبجانبي

**********

رجلت من سيارته السوداء متجهةً للداخل فناداها بصوتٍ قوي: عسل, انتظري"
توقفت واستدارت ناحية مراد فقال بحنو:
لنتمشى بالحديقة قليلاً, هيا " تلكأت لبرهةٍ قبل أن تسير بجانب أخيها بصمتٍ مطبقٍ من كليهما حتى استدارت ناحيته متسائلة:
- أستصمت كثيراً, أطلق ما بجعبتك من عتابٍ وملام ودعني أذهب في طريقي"
تطلع مراد داخل عيني شقيقته الحادتين كعيني صقرٍ وأجاب وهو يمسح بإبهامه ما بين حاجبيها لإزالة تلك التقطيبة
-أتدركين أن دور الفتاة الشريرة لا يليق بكِ، فلا تتمادي بذلك
لاحت ابتسامةٌ ساخرةٌ على شفاهها ليتساءل بعدها بعتاب:

- لما تفعلين ذلك, لقد آذيتِ صديقتكِ كثيراً أتدركين خطر الفعل الذي أقدمتِ على ممارسته!
تطلعت فيه بحدة وهتفت: هي السبب, تستحق الحرق لكني رحمتها هذه المرة"
عسل! ! ما هذا الكلام؟ إن تطاولت معك أو تعرضت لك بإمكانك إبلاغ معلمتك لا أن تبرحيها ضرباً-
تعالت ضحكات الاستهزاء منها مجيبة:
أخبر المعلمة! ! ما رأيك أن أتراكض ناحيتها باكيةً كذلك وأنا أتشبث بقميصها-
!لا اضربيها وتصرفي من رأسك كي تطردي من هذه المدرسةِ كذلك-
-سأضربها وأضرب كل من يتجرأ على المساس بي بكلمة
وتركته وغادرت إلى الداخل وسط دخوله ذهوله من هذه الصغيرة الشرسة! واتجه ناحية سيارته مجدداً للذهاب إلى الشركة, حيث قابل آدم أمام البوابة ليومئ له ملقياً السلام باقتضاب تنبه آدم لتعابير وجهه المتجهم فلحق به حتى استقل مراد المصعد ليتساءل آدم بقلق: - هل كل شيءٍ على ما يرام؟
-لا شيء على ما يرام أبداً بحياتي " نطقها بغضبٍ وخرج بعدما بفتح باب

المصعد ليتجه ناحية مكتبه الذي كان مكتب آدم سابقاً قبل توليه منصب الإدارة وما كاد يلحق به حتى قالت السكرتيرة رشا برصانة: أستاذ آدم المهندسين بانتظارك للبدء بالاجتماع"
أومئ لها واتجه إلى مكتبه بينما دلف مراد إلى مكتبه ليرمي جاكيت بذلته على الكرسي الجلدي ويجلس على حافة المكتب وهو يقلب تلك البطاقة التي سلمتها له مديرة المدرسة, هل تحتاج عسل حقاً استشارةً نفسية!
تساءل بقلقٍ فطرقت رشا الباب لتقول بارتباك:
-الاجتماع بدء مراد بك" تنبه لها ليعتدل واقفاً وأومئ لها ( حسناً, أنا قادم ) واتجه ناحية الباب لترمقه رشا وتتنهد تنهيدةً طويلة بعدما سار بجانبها حتى باب مكتب آدم"
********

وسكن الليل لتعانق نجوم السماء التماع عينيه الحالكتين, حدق بالبدر المكتمل من شرفته والنسائم الندية تلامس وجنتيه ببرودةٍ محببة,
يقولون إن الزمن يشفى جراح الأشرار والطيبين على حد سواء. لكن جراحه لم تشفى، ظلت محفورةً بداخل صدره كنقشٍ
سوداوي طِيلَة سنوات, لو لم يجري ما جرى بتلك المشؤمة حينما وقعت إليسا كان طفله الآن يبلغ من العمر سبع سنوات! سيكون حينها كأي أبٍ محبٍّ يحتضن عائلته لتنعم بأمان ولربما كان لديه طفلٌ ثانٍ أو ثالث. . . . سبع سنوات ٍ أي أنه الآن في بداية الأربعين من عمره ولم يؤسس بعد لنفسه أسرةً مستقلة, بل خسر أسرته ونفسه وحياته,
أغمض عينيه ليتوقف على محطات الماضي الذي ما يزال حاضرا وبقوة رغم مرور السنوات. . . عشقه لجمانة, خيانة إليسا، عبثه مع النساء, سهراته الليلية بالملاهي، دخانه الذي لم يكن يقطعه أبدا. . . عمله الذي خسر إدارته وأصلاً الآن لا يود أن يستلم شركة والده, لقد زهدها كما زهد الحياة. منذ طلاقه من إليسا لم يقترب من امرأةٍ قط, لن يسمح لنفسه بعد اللحظة من الاستزادة بالخطيئة, يريد أن يتطهر فقط من آثامه, كان سابقاً هارباً وحين رآها ذلك اليوم منذ عام صار يريد منها مسامحته فقط ولا شَيّ غير ذلك لربما حين تنطقها يستطيع حينها نسيان
الماضي والمضي قدماً.
تعالت ضحكات الصغير جواد الذي اقتحم الباب مباشرةً ليهرول ناحيته فتلقفه مراد بين ذراعيه ليجلس بجانبه على الكرسي: أهلاً بالبطل متى حضرت؟,
عمي ملاد . أريد الشوكولاه, أنت وعدتني-

تعالت ضحكاته أكثر وهو يمسح على رأس جواد: أنا تحت أمرك يا وحش الشوكولا, هيا سأغير ملابسي وأصحبك لشراء الشوكولا كما وعدتك وأصلاً لا أعرف متى فعلتها" ! !هرول الصغير للخارج فرِحاً فصعدت جمانة درجات السلم لمساعدته كيلا يقع لكنها تنبهت على جلوس مراد بشرفته وشروده بها الشكل, لكم تغير عليها, وكأنه ليس ذات الشخص الذي عرفته منذ أعوام ,بل أضحى رجلٌ بارد وكأنه قطعةٌ من ثلج ! هل الزمان يغيرنا بهذا الشكل, نهض ليستعد ودلف فتنبه على نظراتها من خلف الباب فقالت بمرح : مرحباً"

أهلاً " قالها وهو ينظر ناحيتها بعيونٍ قد أماتها الزمن لتتلقف هي جواد بين يديها استدارت عنه...كان شعرها قد ازداد طوله، معالمها حتى اضحت اكثر إشراقة وحيوية ..وقبل أن تهبط الدرجات ناداها بخفوت : جمانة.. بعد اذنك" توقفت تستمع إليه فتقدم منها قائلاً بصوتٍ خفيض:

افتعلت عسل شجاراً جديداً في المدرسة, لذلك طلبت من والدتي دعوتكما على العشاء.. لكنها لا تعرف تفاصيل الحادثة, لقد ضربت عسل زميلتها بحزامها الجلدي هذه المرة, هي تستمع منكِ تحدثي معها رجاءً"

انفرجت عينا جمانة بصدمة عما تفوه فيه لتقول بعدها : ضربتها بالحزام!

هز رأسه بإيجابية وأردف بعدها : نصحتني المديرة باستشارةٍ نفسية لكن.... أنا تائهٌ فعلاً لا أريدها أن تخوض غمار هذه المعركة القبيحة"

تفهمت جمانة الأمر وقالت لتهدئته : قد لا يتطلب الأمر ذلك, المديرة تضخم الموضوع حتماً , سأحادثها وسأفعل ما بوسعي, لا تقلق " هز رأسه بامتنان فتساءلت بقلق: أنت بخير؟ ارتسمت ابتسامةٌ منهكةٌ على ثغره مجيباً: بخير! ! لا يهم إن كنتُ بخير أم لا. . . المهم أن يكون من حولي بخيرٍ فقط"
شعرت بحزنٍ دفينٍ بأعماقها على الحال الذي وصل إليه وهو لا يتطلع ناحيتها بل يهرب بنظراته ناحية الصغير متأملاً وجهه الملائكي بابتسامةٍ عذبة وكأنه يتطلع بها. . . بعينيها اللتين ما يزال يحاول نسيانهما ولا يستطيع"
هبطت درجات السلم لتنضم لخالتها ورضوان مجدداً فتنبه على شرودها

كريم بعدما جلست بجانبه لكن مراد الذي صار بالصالة فجأةً وهو يلقي التحية باقتضابٍ كعادته جعلت فك كريم يجيبه بعصبيةٍ وانتقل ببصره ناحية جمانة التي انشغلت بهندمة ثياب جواد, لكم ارتاحت نفسه طيلة خمس سنوات عند ابتعاد مراد عن حياتهما والآن وبعدما عاد لم يعد يستطع التغاضي عن أي همسةٍ أو كلمة يتحدثها مراد لجمانة حتى ولو كانت مجرد ترحيبٍ عادي" صار يشعر بنارٍ تتأجج في صدره كلما اجتمع به وحتى أنه منعها أول بضعة أشهرٍ من عودة مراد من زيارة بيت خالتها, لكنه سرعان ما تنبه لنفسه ولمبالغته في تصرفاته فمراد الذي يعرفه صديق طفولته لم يعد كما كان أبداً، بل هو ذاته لم يعد كما كان، هذه السنوات غيرت الجميع فعلاً

ارتفع صوت عسل وهي ترحب بجمانة وتهرول ناحيتها بسعادة ليرفع مراد حدقتيه وهو يتأمل هذه النسخة المصغرة منها! صحيحٌ أن عسل تفوقت على جمانة بالتوحش وبنوعية الألبسة الغريبة العجائبية! لكنها تحمل ذات القلب النقي الذي يحتاج فقط لمن يزيل الشوائب التي تراكمت عليه لسببٍ لا يعرفه ولا يخبره أحدٌ به.

**********

كانت منهمكةٌ بقراءة إحدى ملفات المرضى فتقدم منها بثباتٍ وقدم لها الصندوق قائلاً بلهفة: هديةٌ بسيطة بمناسبة عودتك "رفعت رأسها تجاهه وتطلعت إليسا بالصندوق الأحمر الصغير الذي بين يديه لتتبسم وتتناوله متسائلة: ما هو؟

افتحيه " قالها هشام لتضع اليسا الصندوق على الطاولة وتفض الشريطة من عليه, أزاحت الغطاء فقال هشام بابتسامةٍ صافية: جميع الفتيات يعشقنه ,اخترتها بنكهة البندق"

تطلعت إليسا بصندوق الشوكولا لترتعد أوصالها فجأةً, وتقف وكأن أحدهم قد صفعها بعنف, تجمع الدمع بمقلتيها وهي تتذكر الأيام المنصرمة. . لذلك الرجل الذي التقت به أول مرة حين كانت تأكل الشوكولا بالبندق في منزلهم. . .

نفضت عن ذاكرتها رجم تلك الذكريات المريرة و. حدقت بهشام بنظراتٍ غاضبةٍ لتغتال ابتسامته وهي تلقي الشوكولا على الأرض وسط ذهوله وتقول بحدة: ومن أخبرك بأني أحبها! ! أنا لا أحب الشوكولا "نطقتها بألمٍ وهي تدفعه من صدره لتغادره فقال بلعثمة غير مدركٍ لما انفعلت بهذه الطريقة: أنا آسفٌ إليسا أنا. . . . . لا أعرف.! ! " لكنها لم تعطه مجالاً للرد بل خرجت من مكتبه وهرولت ناحية السطح تستنشق الهواء وقد

تقافزت دمعاتها لتجلس على الحافة الحجرية لتكتم شهقاتها. . . . لما يصر الناس على إزعاجي بهذا الشكل, لما تصر تلك الذكريات اللعينة معه بأن تقتحمني مجدداً, تساءلت بقهر وأردفت وهي تغطي وجهها بيديها:
- أكرهك مراد, أكرهك حتى آخر أنفاسي
بذات الوقت تبسم مراد بحنينٍ لماضٍ جمعه مع صغيرته وحش الشوكولا. . . داعبت ذكرياته والصغير جواد يأكل الشوكولا التي اشتراها له فأغمض عينيه ليتبسم (( أغمضي عينيكِ " غطت اليسا عينيها بمرح حتى همس لها بصوته الأجش والآن افتحيهما: أزاحت كفيها عن وجهها البريء لتصفق بمرحٍ وهو يقدم لها صندوق الشوكولا بالبندق الذي تعشقها حد الجنون, وما كادت أن تنتشل الصندوق من بين يديه ليقول بمكر : لا تستلمي قطعةً قبل أن أحصل على شكرٍ خاصٍ منكِ

عقدت ذراعيها بطفوليةٍ لتتعالى ضحكاته على هيئتها بتلك الضفيرتين الطويلتين والشفاه التي تصطنع الحزن فلوى شفاهه كذلك مقلداً إياها لتتعالى ضحكاتهما سوياً فتخطف الصندوق من بين يديه وتهرب بينما تمتم هو : مجنونة(( !

-عمو ملاد.. ألن ننزل ؟ تساءل جواد الذي يجلس بجانبه على مقعد السيارة ليتنبه اليه ويفتح عينيه ويهز رأسه باسماً : سننزل طبعا, هيا يا بطل

*********

لملم هشام قطع الشوكولا بعصبية ورمى الصندوق على الطاولة وهرع ناحية قسم الإسعاف حينما سمع دوي سيارتها، كفكفت إليسا دمعاتها والتحقت بهم بعد دقائق لترى هشام وهو يقوم بمساعدة جريحٍ كان قد تعرض لحادث سيارة فتقدمت منه وشرعت بمساعدته ليحدق بها نظراتٍ عاتبةٍ بينما يطالع عينيها المحتقنتين, انتهيا بعد دقائق فتجاوزته واستقلت المصعد ليلقي تعليماته بسرعةٍ ويلحق بها, دلفت إلى المصعد فدلف ورائها وأغلق الباب لكنها تحاشت نظراته المرتكزة عليها فقال متسائلاً:
-هل كانت هديتي بذلك الرخص بالنسبة إليكِ"
رفعت نظراتها تجاهه لتجيب: لا علاقة لنوع هديتك لكن تلك التفاصيل الصغيرة هي من تفجر الآلام بداخلنا دون أن نشعر. . . . عن إذنك"

توقف المصعد لتخرج وتوجهت ناحية مكتبها لكنه جذبها ناحية المستودع الطبي وسحبها للداخل مغلقاً الباب عليهما ليتساءل بحاجبين معقودين:
-ألن تثقي بي لتخبريني بأوجاعك. . بل أي أوجاعٍ ممكن أن تكون لفتاةٍ بعمركِ لم ترى الحياة بعد!؟"
طالت نظراتهما ليردف بثقة: أنت كتلةٌ من الغموض ,العناد لا تتأثرين بسهولة بل أنت قوية لا ينقصك شيء ما هذا الضعف الذي التمسته اليوم"
-الألم يا هشام لن يشعر به أحد سوى صاحبه, أتعرف أتمنى لو أبوح لأحدهم عما يعتمر بصدري لكن. . . الخيانة ستصدر من أقرب الناس إليك, لا أحد يستحق أن نطمئن له"
-لما تقولين هذا الكلام, بربك إليسا! ! كم عمرك لتتحدثي بهذه الطريقة؟!
-دعني أوضح لك شيئاً، الألم لا يفرق بين صغيرٍ وكبير" عقدت يديها أمام صدرها وقد استجمعت شجاعتها مجدداً ليتساءل وقد شعر بسكينٍ تخترق صدره: هو السبب أليس كذلك؟
رفعت رأسها ناحيته لتستوضح حديثه،
-زوجك السابق المهندس مراد المنصور, لهذا هربتِ منه منذ عام, لذلك تتألمين منذ أن رأيته ذلك اليوم"
تعالت وتيرة أنفاسها الغاضبة فأشاحت بوجهها عنه وفتحت الباب وغادرت ليطلق هشام زفيراً حانقاً ويتجه إلى عمله.

إذن ألن تخبريني بالذي جرى بينكما ولما فعلتِ ذلك؟
تساءلت جمانة وهي تجلس بجانب عسل على السرير والأخيرة تعبث بهاتفها تستمع لأغانٍ صاخبةٍ وتدندن معها متجاهلةً سؤال جمانة التي حدقت بها وزمت شفاهها قبل أن تقبض على الهاتف وتمسك عسل من ياقتها قائلةً بتكشيرةٍ مضحكة: أيتها الصغيرة, هذا التجاهل قد تستطيعين فعله مع الجميع إلا أنا"
قطبت عسل حاجبيها لتهتف بها: ما الذي تريدينه الآن مني! ألم تملوا من استجوابي كمتهم بفرع امن الدولة؟
-يا عسل ما فعلتيه لا يجوز افهمي " قالتها جمانة بحدة لتعتدل عسل كذلك بجلستها مجيبة وهي تشدد على حروفها: أنا لم أخطئ بشيء, سوزان هي من بدأت, لم أتحمل كلماتها الهازئة من صديقتي بالفصل, دائماً ما تتهكم على هيئتها لأنها فقيرةٌ فقط, كان يجب أن أضع حداً لأفعالها"
ارتفع حاجبا جمانة فيبدو أن الموازين ستقلب لصالح عسل! لكنها تساءلت:

لمَ لم تخبري المديرة بالحقيقة, أو مراد على الأقل؟
-برأيك مع من ستتعاطف مديرة المدرسة؟ هل ستتعاطف مع قريبة وزير التربية والتعليم؟ أو ستتعاطف مع تلك الفقيرة التي ما بحوزتها شيء؟ لن يجلب حقها سوى عسل المنصور . .وأنت تعرفين عائلة المنصور جيدا"
تلكأت جمانة من هذه الحقائق لتربت على كتفها: ولو. . أنت قابلت جريمتها بجريمة أكبر، أخطأتِ بضربك إياها بالحزام الجلدي العقوبة لا تكون بهذا الشكل"
تعالت ضحكات عسل الهازئة وقالت بتشف :آهٍ لو رأيتِها يا جمانة, صارت تتلوى كقطةٍ انحشر رأسها في زجاجة!
ضربتها جمانة على كتفها وتعالت ضحكات الفتاتين, وفي الأسفل كان كريم يجلس مقابلاً لمراد الذي انشغل بحاسوبه للقيام بتصميمٍ ديكور داخلي جديد لإحدى الشركات,
-كم غيّرنا الزمن يا ابن عمي! نطقها كريم الذي حدق بمراد بنظراتٍ مبهمة ومع أنه كان راغباً بشدة بعودة الأمور إلى نصابها, اشتاق لأحاديثه مع مراد, لسهراتهم الليلة وجولاتهم, لأسراره التي لم يكن يحكيها لغيره. . والآن ما تمثل أمامه. . بقايا إنسانٍ يسمى مراد! لكنه لا يستطيع التغاضي كون ابن عمه يحب زوجته, مجرد التفكير بذلك يصيبه بالجنون جنون لا يستطيع السيطرة عليه. !
جلى مراد صوته وتعلقت عيناه على عيني كريم وأجاب بوقار مؤكداً: غيرتنا الأيام يا صديق طفولتي"
لاحت ابتسامةٌ متهكمةٌ على شفاه كريم وأردف: -وتعرف أننا لن نعود كما السابق, فلا تفكر بأن هذه الأساليب وارتدائك ثوب الضحية أو الرجل العاقل, ستشفع لك الماضي"
طالت نظراته المنكبة على كريم ليجيبه ببساطة: - أعرف ذلك. . . لكن صمت قليلاً ثم أردف بصوته الرخيم: الناس يمسحون ماضيك الجميل مقابل آخر موقفٍ شَيْء منك, والله سبحانه يمحو ماضيك السيئ مقابل توبةٍ صادقةٍ منك, فأيهم برأيك أحق بطلبِ الرضا؟ العباد أم رب العباد؟
نهض كريم من مكانه واضعاً يديه بجيب بنطاله الرياضي فباغته مراد وهو يقف كذلك متسائلاً: ألقي ما بجعبتك من كلمات مباشرةً دون اللف والدوران
استدار ناحيته فجأةً وهتف: لمَ عدت بعد هذه السنوات!؟ ما الذي تريده الآن؟ أتريد أن تنبش جراحنا مجدداً, ما الذي تفكر فيه؟!
اضطرب فك مراد وهو يستمع لكلمات كريم لكنه أجاب

برصانة :أتخاف أن أختطف زوجتك مثلاً بعد هذه السنوات"
صرخ كريم هاتفاً بغيظٍ وتمسك بتلابيب مراد: إياك أن تقحمها في حديثنا مجدداً " قبض مراد على ساعدي كريم وضيق عينيه يطالعه بثبات: أنت من أقحمتها بغبائك, فزت بالجائزة الكبرى فهنيئاً لك. . . والآن كف عن هذه التصرفات الصبيانية
فقال كريم جازاً على أسنانه بغيظ: ما زلت أرى نظراتك اللعينة تجاه زوجتي يا هذا. . لا تنكر لستُ أعمى
عب مراد الهواء ليستجمع شجاعته مجيباً:
-بعد كل ما عشته يا ابن عمي. . تعلمت شيئاً مهماً. . إذا أردت أن تفشل في حياتك فقط استمع لقلبك" ثم أردف بقوة: وأنا اقتلعتها من قلبي. . . لم أعد أفكر فيها أفهم ذلك وكفاك شكاً بتصرفاتي ونواياي, منذ عامين حتى اللحظة أعلم أنك تضعني تحت المجهر حين ألتقيكما, منذ خمس سنواتٍ وأنا معتكفٌ بنفسي بعيداً عنكم, ألا تكفي لعيش كل منا حياته, أسيلطمني ذلك الماضي بتلك القذارة أبد الدهر وذنبي الوحيد أني عشقت وأنا متزوج أهي جريمةٌ كبرى لهذا الحد؟" !
ثم أفلت قبضتي كريم وأبعدهما بغلظةٍ متمتماً: لقد اكتفيت أتفهم كريم. . . . اكتفيت"
تعالت أنفاس كريم الذي تطلع فيه يحاول استشفاف صدق حديثه لكنه لم يقدر. . . يكاد يقسم أن جمانة ترتسم ملامحها على حدقتي غريمه. . ما تزال كلمات مراد منذ سنوات عنها تقتحم خلوته فلا يقدر على إسكاتها. . . رآهما آدم الذي وصل لتوه لكونه اتفق مع نور بأنهما سيمضيان الليلة بمنزل العائلة, تساءل بقلق: ما الأمر يا شباب؟ اجتازه مراد ليغادر المنزل بينما هتف كريم من أسفل السلم صائحاً: تجهزي جمانة سنذهب" أمسك آدم كتف كريم يستحثه على الإجابة: ما الذي جرى بينكما" وتطلعت جمانة وعسل عليهم من على السلم لتزم شفاهها بغضبٍ على كلام كريم, تحدثت عسل بصوتٍ خفيض وبنظراتٍ متفاجئة
-مراد كان يحبك!
حدجتها جمانة بنظرةٍ حادةٍ لإسكاتها وهبطت درجات السلم بغضب,
-لا شيء لا تتدخل أنت " أجابه كريم باقتضاب لينفث آدم بعصبيةٍ ويصعد درجات السلم كذلك بينما كان مراد قد استقل سيارته وانطلق بها بسرعةٍ وقد أزهقته نظرة الجميع إليه ,حتى صديق طفولته انقلب عليه بهذا الشكل, أي عذابٍ هذا, أسيتجرع العذاب دائماً! ألا يكفيهم ما به من مصائب. !
ألقت جمانة التحية على شقيقها باقتضاب عندما تقابلا بمنتصف السلم

وأكملت النزول للحاق بكريم
ركن مراد السيارة قريباً من المستشفى التي تعمل بها إليسا واستكان برأسه على المقود, كان يعرف بأنها قد عادت. . بل ويعرف أيضاً اسم ذلك المستشفى الذي هربت إليه منه, لكنه آثر أن يبتعد عنها بهذه الفترة, عامٌ آخر بالنسبة إليه لن يضيف أو يطفئ شيئاً من آلامه. طرقت عيناها السوداوان ذاكرته بعنفٍ هذه المرة, ليس ذاكرته فقط بل واقعه عندما رآها أمام باب قسم الإسعاف قد خرجت تستنشق الهواء النقي خارجاً, لكم تغيرت صغيرته! كم كبرت! توترٌ اجتاح كيانه وهو يتلصص عليها من خلف زجاج سيارته كالسارق. . يريد المسامحة ولا شيء بعدها صوتها ونظراته....

تقدم هشام ليقف بجانبها دون أن يتطلع بها, تجاهلت هي كذلك وجوده ورفعت كوب الشاي لتشربه ومراد يراقبهما بترقب, انطلقت شفاه هشام ليتحدث بعد مدة لكنها دلفت إلى الداخل معلنة انتهاء الحديث الذي أصلاً لم يبدأ بينهما ليتطلع بها هشام بغضب ويتجهم وجهه ليفرغ الكوب كاملاً بجوفه قبل أن يضغط بكفه على الكأس الكرتوني ويرميه بالسلة ويدلف كذلك إلى الداخل ليشغل مراد السيارة مجدداً وينطلق في طريقه إلى اللا مكان. !
قام هشام بجولته الروتينية على مرضاه بينما ترافقه دلال لتتغلغل داخل ثنايا روحها رائحة عطره الفاتن وكم هو صعبٌ عليها تجاهله لها وتجاهل حبها. . . ما أقسى أن يهتم الجميع بك إلا الشخص الذي وهبت له حياتك وقلبك! ما أقساها من لحظات. . غادر الغرفة وهو يضع يديه بجيب مئزره ويسير بتؤدة عبر الرواق لتتعلق عينيه على إليسا التي تجر إحدى المرضى على كرسيٍّ متحركٍ لتأخذه ناحية غرفة التصوير المقطعي وتحادثه بِابْتِسَامَة خلبت لب هشام ليقف أمامها كالأبله وهو يحدق بكتلة الغموض التي أمامه
*********
دلفا لتوهما إلى المنزل وجمانة تحمل الصغير النائم وتوجهت مباشرة إلى غرفته لتضعه على السرير بينما دلف كريم إلى غرفته وصار يخلع ألبسته بعصبية من هذه المواجهة بينه وبين مراد. . . .
لكم تكره حالة الغضب التي تداهمه بين وقت وآخر وكأنه برجل جديد عنها يحمل نفسه عبء الشك وما أقساه من عبء! ، وكعادته لم يستطع صبرا. . يريد أن يفرغ طاقته السلبية التي استحوذت على تفكيره، خطي إلى خارج

الغرفة ليهرول بعدها عبر درجات السلم المؤدية إلى البهو حيث غرفة تمريناته، تقدم من كيس الملاكمة وأكال له لكمة قوية حتى فتح الدرب أمام سيل جارف من اللكمات صرخ بصوت هادر: وكيف لي أن أنسى نظراتك إليها؟!

كيف لي أن أتغاضى عن ذلك!

ازدادت آلام ذراعه وقبضته جراء قسوة اللكمات ليتنبه على جمانة وهي تقوم بإغلاق الباب الكبير وتتقدم ناحيته"

-هيا اضربه كما العادة ولا تخبرني بمشكلتك"

حدجها بنظرات قوية مشيرًا بإصبعه ناحيته لإسكاتها"

تقدمت بجرأة أكثر حتى صارت قبالته مجددا ضربت صدره وأردفت :هذا اللعين كان ينبض لأجلي فقط والآن أشعر بأن نبضاته قد تلاشت. . .

لم أعد اسمعها سبب غيرتك

اللا منطقية"

طال تحديقه بهذه الجنية التي تصر على إهلاكه دائما بجبروتها وفعلياً كانت الغيرة هي ما تنهشه من الداخل, الغيرة من نظرات مراد حتى لو لم يكن ينظر لها. . . الغيرة من تحدثها معه في كل مرة حتى ولو كان سلاماً عادياً! ! تساءل بينه وبين نفسه وبحركة مباغتة لوى ذراعها إلى الخلف ليقول بخبث: هذا اللعين لم ولن تتلاشى نبضاته المجنونة ناحيتك"

رفعت إحدى حاجبيها وانحنت إلى الأسفل ومدت ساقها وعرقلته ليسقط جسده الضخم على الأرض وقالت بحدة وهي تنحني ناحيته: عندما تقابل أحدهم ويحكي لك عن خيبته بالناس، فهو يبعث لك برسالة معناها أرجوك لا تكن منهم. . . فلا تكن كالجلاد المنتظر لذبح ضحيته, سمعت كل شيء اليوم. . ابن عمك الآن يحتاجك فكن معه ولا تكن عليه جراء شكوك باطلة فتقلب حياتنا جحيماً"

أطل الجنون من نظراته ناحيتها وأنفاسه المضطربة غضباً وعشقاً لصاحبة العيون السود الواسعة ليقول بأسلوب ساخر:

-أوقعت ملاكماً محترفاً على الأرض يا جنية الزمان!

وأكمل: لكني تركتك بمزاجي,

فأجابت ضاحكة: أعرف قوتي جيداً. . لم أترك تمريناتي يوماً أيها المتعجرف, كي تعرف من هي ابنة عابد"

غزت ابتسامة ثغره ليردف وهو يرفع نظراته ويتطلع بها:

-أعرف من هي ابنة عابد, صدق مراد حينما أخبرني بأني فزت بالجائزة الكبرى"

أردف بغضب: الغيرة تسحقني منه جمانة, أتمزق حينما تتحادثين معه, حينما تبتسمين له"
-الزمن قد غير الكثير . .لا تكن أسير الشك"
**********
رفعت نور رأسها عن المكتب حينما طرقت الدكتورة ولاء الباب ودلفت إلى الداخل " أراكِ نائمة؟
نفثت نور بإرهاقٍ وأجابت: متعبةٌ جداً يا ولاء, لم أنم جيداً البارحة بسبب المناوبة الطويلة"

اذهبي إذن إلى المنزل ولا تجهدي نفسك" تطلعت نور بساعتها التي شارفت على بلوغ التاسعة مساءاً وأجابت : نعم بكافة الأحوال سينتهي دوامي" نهضت وهي تعدل من حجابها الأبيض وتخلع المئزر الطبي متجهةً إلى الخارج، رن هاتفها المحمول لتتلقفه وتجيب :
-اعرف اعرف ...اهلا بقلب آدم "
تعالت ضحكاته فقالت مردفة : عليك واحدة "
ارتمى على الكرسي مجيباً : حسناً يا قلب آدم لا تنسي التوجه مباشرة لمنزل عائلتك أنا عندهم "
-حسنا "
وهمت بإغلاق الهاتف فقال فوراً "
-مهلاً... نوورر.
رفعت الهاتف مجدداً عندما سمعت صياحه فتسائلت : ما الأمر ؟
-اشتقت لكِ يا بنت " قالها بمكر واغلق الهاتف لتهز رأسها بيأس وتتمتم:لن يتغير أبداً!

وشرعت بالخروج لقطع الشارع لاستقلال سيارتها التي ركنتها على الجانب المقابل وهي منشغلة بوضع الهاتف بالحقيبة تعالى صوت احتكاك عجلات سيارة مسرعة لتصدمها فيرتد جسدها ويتدحرج على الشارع وسط صراخ بعض الممرضات اللاتي رأينها من بعيد....

**********

## الفصل الرابع

اندفعت عسل كالبرق ناحية آدم الذي يستلقي على السرير ليريح جسده قبل مجيء نور وصرخت به بطريقةٍ أفزعته: أندوومي"

-ألا لعنة الله على أندومي !! ألا تعرفين طرق الباب يا بنت ! إن حُرمتُ من الخلفة سيكون بسببك!

تعالت ضحكات عسل الماكرة وهي تقف أمامه وترمش بعينيها محتضنةً كتاب الرياضيات ليفهم ما ترمي إليه فيتبسم بتهكم :هيا ارمشي بهما كالمهابيل... ما أصلاً دروس الرياضيات لأختك المصون هي من أوقعتني بشباكها!

انطلقت ضحكاتٌ عاليةٌ منها وهو يعتدل على الفراش قائلاً برصانة: ومرةً أخرى لا تندفعي بهذا الشكل دون طرق الباب وخاصةً عندما أكون بمفردي لم تعودي صغيرة يا عسل" زمت شفاهها وقالت بزهو : آه لم أعد صغيرة أصبحت عروساً و كالقمر, هل لديك عريسٌ مناسب " رماها بالوسادة وصاح بغيظ : تأدبي يا فتاة عيبٌ هذا الحديث"

ضيقت عينيها مقتربةً منه وأردفت بمكر : وغزلك لنور أمامي قبل زواجكما ألم يكن عيباً يا ابن خالتي أم حلالٌ عليكما وحرامٌ علي ؟ ! لا تظنني كنتُ صغيرةً حينها, أذكر كل تصرفاتك , وخاصةً عندما أخبرتها بأنك تنتظر الشيطان بالحديقة الخلفية, أنسيت قصة الملوخية بالسكر !أم أذكرك بها"

انفرجت عيناه من حديث هذه الصغيرة وصرخ بحدة : واللهِ لأكسرعظامك أيتها الوقحة تعالي إلى هنا!

تعالت ضحكات عسل العابثة وهي تضربه بكتاب الرياضيات و تهرول عبر درجات السلم وهبطت إلى الأسفل حتى ارتطمت بصدر مراد الذي أسندها بيده قبل أن تسقط : بسم الله انتبهي ! توقف آدم على أخر بضع درجاتٍ عندما رأى مراد ليهز رأسه مخاطباً إياها: عليكِ واحدة... لن أنسى يا عسل وحسابك لاحقاً " تطلع به مراد وتساءل : ماذا فعلت ؟

لا شيء مهم لا تشغل بالك " ثم أردف مخاطباً عسل وهو يتقدم من مراد ويتأبط ذراعه: جهزي لنا فنجاني قهوة وأحضريها إلى الحديقة أيتها البنت الكبيرة , وأنت مراد بك تفضل أمامي لنتحدث قليلاً"

-هل من شيء؟ تساءل مراد ليهز آدم رأسه مؤكداً: يوجد الكثير"

**********

هبط الشاب من سيارته الفارهة بتؤدةٍ وتقدم ناحية الجسد الملقى على الطريق لينحني تجاهها بابتسامةٍ طفيفة ويقوم بفحصها سريعاً وهتف ببعض الذين تجمهروا حولهما: ناقلة بسرعة....هيا تحركوا"

انصاع الجميع لمطلبه ليقوم الرجل بخلع جاكيت بذلته وشمر عن أكمامه وشرع بمعاينة الجرح النازف من خاصرتها ليتنهد بعمق وهو ينحني تجاهها يتأمل وجهها ثم تمتم بصوت خفيض( (أجملُ من الصورة بكثير )) حضرت النقالة فوقف مهندماً ثيابه ليتساعدوا على رفعها وتوجه ورائهم يمشي الهوينة ناحية الإسعاف ليوقفه طبيبٌ من الكادر الطبي : شكراً انتهت مهمتك أيها السيد, ودفعه بعيداً فباغته الشاب قائلاً على الفور بمهنية:

-اعملوا لها تصويراً مقطعياً لنتأكد أن لا كسور, يوجد جرحٌ سطحيٌ ينزف على الجهة اليمنى من خاصرتها " حدق به طبيب الطوارئ ليردف الشاب معرفاً عن نفسه : الدكتور أمير الرّيس, المالك الجديد لهذا المستشفى ! " رفع الطبيب حاجبيه بتعجب وأومئ له مرحباً, فقال وهو يخطو خارج قسم الإسعاف بزهو: أعلموني حينما تستيقظ" ثم تمتم يحادثُ نفسه بسخط :

ليتها لقت حتفها لننهي هذه المسألة اللعينة , وخرج تاركاً الجميع بحالة صدمة بينما باشر الطبيب بعمله لمعالجة نور.

**********

أومئ له مراد وسار برفقته حتى توجها ناحية الحديقة وجلسا أمام الطاولة, التمس آدم الحزن بعيني ابن خالته فانحنى بجذعه إلى الأمام قائلاً بهدوء: هذه الحياة يا مراد مجرد كتاب, غير أننا غير مجبورين على أن نعيش بين صفحاته بالترتيب, وبذات الوقت لا يمكننا اختيار الصفحة التي نرغب أن نعيشها. . نفحات الحياة كالهواء الذي يهب ليقلب صفحات الكتاب بعبثية ليستقر على إحداها أرضى بهذه الصفحة من حياتك وأنسى الذي جرى ببقية الصفحات الماضية, وتطلع نحو المستقبل لربما يخبئ لك الخير "

ربت مراد على كتف آدم مجيباً بابتسامةٍ طفيفة: أصبحت فيلسوفاً على آخر الزمان! تبسم كذلك آدم وهو يرجع بجذعه إلى الخلف: ومنكم نستفيد يا قريبي"

كان الجو من حولهما كئيباً جداً, حيثُ توارى القمر خلف السحب الرمادية وأوراق الشجيرات تصدر حفيفاً ممزوجاً بهسيس الرياح التي بدأت تَشْتَدّ شيئاً فشيئاً قال مراد يحادثه: أتعرف. . . أشعر بالسذاجة وأنا موقنٌ أن قصتي قد حدثت مع الكثيرين, لكن هكذا نحن, نظن بأن قصصنا أسطورية وهي ليست إلا حكاية وجع متكررة, آسفٌ لقولها لك أنت تحديداً لكني خسرتُ خمس مرات بهذه الحياة وبوقتٍ قصيرٍ جداً, خسرت طفلي, خسرت زوجتي الصغيرة التي أوقعها القدر مع رجلٍ عبثي مثلي, وخسرت المرأة التي أحببتها بكافة جوارحي, خسرت عائلتي التي اعتبرتني المسؤول عما جرى, وخسرتُ احترامي لذاتي. . . هذا الكتاب الذي تتكلم عنه مليءٌ بالأوجاع والآهات بكل صفحاته يا آدم "تقدمت عسل وهي تحمل صينية القهوة فقال مردفاً وهو يتطلع بشقيقته: وخسرت للمرة السادسة. . بأني ابتعدت عن تلك الصغيرة بوقتٍ كان يجدر بي البقاء برفقتها سنداً وعوناً ,أتدرك مقدار ألمي الآن وهي لا تبوح لمشاكلها سوى لك ولجمانة ,أتفهم شعور أن شقيقتك أمامك لكنها أبعد الناس عنك" !

**********

طرقت الباب ودلفت قائلةً بهدوء, دكتور هشام ألق نظرةً على هذا الملف", وضعت الملف على الطاولة أمامه ووقفت تنتظر فأشار لها لتجلس ففعلت بينما انشغل هو بقراءة ملف المريض بتمعن وتطلعت هي بكل شيٍّ حولها

إلا به ريثما ينتهي!
-هل ستهربين طويلاً مني؟ , تساءل هشام وعينيه لا تنزحان عن الملف الذي بحوزته فأجابت إليسا باقتضاب: لا ولمَ أهرب منك؟
هز كتفيه قائلاً بابتسامةٍ غامضة: لا أعرف صدقاً هل بيننا شيءٌ لتهربي مني! , وثبت عينيه عليها لترتبك من نظراته المتفحصة لها، رفع حاجبه منتظرًا لتجيبه باستسلام: حسناً لربما خجلة ً قليلاً من التصرف الذي أقدمت على فعله

"
هز رأسه متفهمًا وهو يخط على ورقة وضعها بداخل الملف وثم اغلقه ونهض: يحتاج إلى عدة فحوصات قبل كل شيء على الغالب سيضطر لإجراء العملية، اهتمي بالموضوع وتعلميني"
-حسناً " تسلمت الملف من بين يديه وغادرت بينما هو ما يزال يتلاعب بالقلم بين أصابعه وارتسمت ابتسامةٌ هادئةٌ على شفاهه. .
وفي غرفة التمريض تقف وحيدة وهي تتحدث على الهاتف تهدج صوتها لتتنافر دموعها بقهر وقالت راجية: لن تفعلها أليس كذلك, لا يعقل أن تفعها بي ككل مرة!
توقفت إليسا عندما أدركت بكاء دلال فتنبهت لها وأغلقت الأخيرة الخط بعصبية وجلست على الكرسي تجهش بالبكاء، هرعت ناحيتها اليسا تتساءل بقلق: -ما الأمر دلال ما بك؟
-لا شيء اتركيني رجاء"
انحنت إليسا تجاهها وتلمست كتفها مواسية: لربما استطعت مساعدتك"
اكتفت الأخيرة ببكاء مكتوم وهي تشيح ببصرها فنهضت إليسا بيأس وما كدت تخطو خارجاً حتى قالت دلال بخفوت: طردني من المنزل، يريدني أن اشتري ثوب زفاف وسوار لعروسه الجديدة تخيلي سيتزوج على حسابي بل ويريدني أن أترك المنزل" !

توقفت إليسا بصدمة : طردك لأجل فستانٍ لعروسه
هزت دلال راسها مؤكدة وضحكة استهزاء ارتسمت على محياها لتسحب إليسا الكرسي وتجلس قبالتها

-لا يعقل ان يكون جادًا، أليس كذلك !؟
" لوت دلال شفاهها ساخرة : لا تدركين شيئاً، هذه ليست أول مرة بي

. امسحي دموعك وانهضي الآن وسنحل هذا الأمر، ستمكثين معي
نطقتها دلال بعدم تصديق لتجيب إليسا ببساطة:

- ستمكثين معي في المنزل، بكافة الاحوال والداي مسافران إلى الخارج
-لن استطيع يا إليسا اعذريني لا اريد التسبب لك بالمضايقة سأناوب هنا

الليلة كما العادة وغداً سأحل المشكلة
ربتت إليسا على كتفها مجيبة بابتسامة لطيفة:

-على العكس سنتسلى سوياً، على الأقل لن ابقى بمفردي كالقطط البائسة
" بمنزلٍ كبير

**********

شد شعر رأسه بعصبية بينما يتصل بها مراد للمرة العاشرة على التوالي دون استجابة, لن أستطيع صبراً سأذهب للبحث عنها" قالها آدم واندفع خارجاً وهو يكاد يفقد صوابه فلحق به مراد : سأذهب معك انتظرني.

التقى الشابان برضوان وعبير على البوابة فألقى مراد السلام باقتضاب عليهما وأماء لعسل بألا تشعرهم بشيء فتفهمت ذلك ونظرت تجاه والدتها راسمةٍ ابتسامةً مرتجفة على شفاهها : أهلا بالعريسان" تبسمت لها عبير وقالت : إلى أين يذهب مراد وآدم؟ اندفعت قائلةً بسرعة : لمقابلة صديق
" سيعودان قريباً

ونور حضرت؟ تساءل رضوان لتنظر لوالدها تجيب بارتباك : س..
..ستتأخر قليلاً بالمستشفى , هيا هيا إلى الداخل, سيبدأ فيلمٌ جميلٌ بعد قليل

********

خطى أمير بزهوٍ لا يليق سوى بمكانته ودفع الباب ثم دلف إلى مكتبه الجديد بينما توقف المالك القديم وهو يقوم بتوضيب متعلقاته بحقيبةٍ صغيرة ووالد أمير يقف بكلِ شموخ أمام المكتب لتتقابل عيناهما ما بين استهزاءٍ وغضب, طالت نظراتهما لبعضهما قبل أن يقول والد أمير بجدية : هل أعجبتك دكتور عمر؟ ثم خطى تجاهه قائلاً لإنهاء دور ذلك الأخير : تبادلٌ بسيطٌ بالأدوار "ونفض ذرة غبار وهميةٍ عن جاكيت بذلته بابتسامةٍ هازئة قبل أن يلتف خلف المكتب ويجلس بأريحيةٍ على الكرسي الجلدي رافعاً

قدميه على الطاولة ليقول عمر بحدة : ستهدم هذا المستشفى التي علا شأنها على أكتافنا بسبب عنادك يا عمي, أعرفُ سبب وأخبرتكَ مراراً أن لا ذنب لها " ارخى والد أمير جسده قائلاً بانزعاج : صوتك يوترني يا ابن أخي ,ما ذنبي أنا والدكَ احتاجَ أموالاً في سبيلِ تبادلٍ لطيف, تعرفُ أننا لن نرميكَ خارجاً, مكتبك سيكون بالجهةِ المقابلة فلا تعطِ للأمرِ أكبرَ من حجمه " شد على قبضته بقسوة وحمل حقيبته مغادراً بينما توجه أمير " بنظراته تجاه والده : ما كان الأمرُ يحتاجُ كل هذه الدراما

مط الأب شفاهه بضيق: أخبرته أن يتولى الأمر بقرصةٍ خفيفةٍ لها, لكنه .مثاليٌ كوالده

-يعني أنا الشيطانُ مثلاً لذلك جعلتني أعودُ مُجبراً

التمعت عينا والده وقال بصوتٍ مختنق

-أنتَ صاحبُ حق....صاحبُ ثأر, وعليك أن تأخذَ بثأرك لأرتاح

**********

أطلقت نور أنة ألمٍ وفتحت عينيها ببطء ليتطلع بها أمير راسماً ابتسامةً " ودودة : حمداً لله على سلامتك دكتورة

فركت نور صدغها وسألت بصوتٍ متهدج وهي تتأمل صاحب العيون الزرقاء كلون السماء : ما الذي جرى؟ اقترب منها أكثر هامساً :خطئٌ مقصود, ثم أردف وهو يثبت عيناه على وجهها :

-صدمت هذا الجسد الجميل بسيارتي

توقفت أنفاسها إثر اعترافه الصريح ليعتدل بوقفته قائلاً بمهنية : لكن لا تقلقي الحمد لله أمورك بخير حتى أنه بإمكانك مغادرة المستشفى غداً " ولم يكد ينهي جملته حتى اقتحم الغرفة آدم الذي هرع ناحيتها بلهفة وانحنى تجاهها بلهفة وأخذها بين ذراعيه لتستكين على صدره بينما حدجهما أمير بنظرةٍ شيطانية قطعها مراد قائلاً : حمداً لله على سلامتك نور, أقلقتنا جداً "

قبلها مراد من جبهتها لتردف بابتسامةٍ هادئة عكس الرعب الذي دب بأوصالها من هذا الرجل الغريب ذو الصراحة الفجة! : أنا بخير الحمد لله " تنبها لأمير الذي يقف على الجانب الآخر من السرير وهو يتألق يرتدي بذلةً سوداء ليسأل مراد: عفواً لكن. . . من أنت؟
أجابه أمير باقتضاب وهو يتطلع ناحية آدم: دكتور أمير " ضيق آدم نظراته ففهم الأخير مقصده قائلاً بصلابة: اليوم الأول لي بالعمل هنا "ثم أردف وهو يثبت نظراته الثاقبة عليها: حمداً لله على سلامتكِ مرةً أخرى" وغادر وسط نظراتها القلقة منه"
**********
دلفت إليسا إلى الفيلا تتبعها دلال بارتباك فقالت لتزيل التوتر عنها: نورتِ الفيلا صديقتي. . أخيراً هنالك صوتُ نفسٍ آخر سيشاركني المكان "
تبسمت دلال وهي تتطلع حولها بانبهار على الثراء الفاحش التي تتنعم به إليسا, جلست الفتاتين على الأريكة لتقول دلال بتعجب: ألا تخافين العيش وحدك؟ هزت رأسها مجيبة: حسناً لستُ وحدي بالمعنى الحرفي, مدبرة المنزل هنا لكن على الأغلب وكما تعلمين أنا أتأخر فأتناول طعام العشاء وأغط بعدها بالنوم"
خلعت دلال حجابها وفردت شعرها الطويل وهي تدلك رقبتها: هذه هي حياة الكادر الطبي, عملنا بجدٍّ اليوم, أنا مرهقة"
هيا إذن سأدلك على غرفتك, قد قامت المدبرة بتنظيفها تعالي معي غيري ملابسك ريثما يجهز العشاء"
-لا رجاء لا أريد سوى النوم"
وتبعتها لتصعدا درجات السلم حتى توقفت اليسا أمام إحدى الغرف:
تفضلي هذه هي غرفتك, وتلك التي على يمينك غرفتي, ستجدين ثياباً نظيفة ومنشفة إن رغبت بأخذ حمامٍ قبل النوم, وإن احتجتِ إلى شَيّ أبلغيني"
تبسمت لها دلال مجيبة: أشكرك فعلاً يا إليسا" ثم أردفت: ما إن أجد شقةً ملائمة سأنتقل فوراً إليها, ها هو سيتزوج وأنا متأكدةٌ بأن تلك الحرباء ستحيل حياتي إلى جحيم وسيطردني مجدداً"
رسمت إليسا ابتسامةً لطيفة على ثغرها: لا تفكري بشيءٍ الآن, خذي قسطاً من الراحة وغداً نتكلم بأريحية ونرى ما علينا فعله, لكن لا تفكري بيومٍ بأنني أتضايق من وجودك على العكس.
أومأت سها شاكر ودلفت إلى الداخل وأغلقت الباب خلفها بينما توجهت إليسا لغرفتها لتستبدل ملابسها"

وتوقفت بعدها بشرفتها تتأمل نجوم السماء الصافية, أخذت نفساً عميقاً وأغمضت عينيها بآلامٍ لم تمحى آثارها عنها, ندت دمعةٌ منها وهي تفرك ساعديها بكفيها وعادت بذاكرتها لأيامٍ قضتها مع ذلك الجلاد الذي ضيع بأنانيته مشاعر الحب الأول الذي استوطن قلب مراهقةٍ عشقت الشوكولاه والألعاب. . . وعشقت من ظنته فارسها القوي مراد !حبٌّ على الرغم من عدم توازن كفتي ميزانه إلا أنها لم تستطع التخلي عن ذكراه القاسية, بقدر حبها الطفولي له, تكرهه, وتكره ضعفها تجاهه, عيناه السوداوان الحادتان, رائحة عطره التي تتغلغل بروحها, وسامته, وخيانته القاتلة لها! غرس سكيناً بصدرها بِبَطِيء وهو يتطلع بها بنظرات مكر. . صار يغرسه أكثر فأكثر وهي تتشبث به أكثر! لكنها أقسمت منذ ذلك الحين ألا تضعف مجدداً أمامه أو أمام حب أي رجلٍ كان, فبالنهاية هم مجبولين على الخيانة"

**********

جفف جسده بالمنشفة بعد خروجه من الحمام وارتدى بنطال منامته واستلقى على السرير, يقولون إن الحياة بلا حب كقصرٍ موحش, الحب هو بسمة الحياة, هو هذا النور الذي يشع ليبدد العتمة التي تلتهم الروح, لكن عشقه لاليسا لم يزده إلا أوجاعاً مذ عرفها وعرف الحب لم يذق طعم النوم الهانئ, لم يذق سوى الصد والأرق ,أغمض هشام عينيه ونظراتها لا تغادر تفكيره, اللون اللوزي الذي سرق روحه ونهش بقلبه دون رحمة, فلترحمه وترحم قلبه العاشق بات يلاحق طيفها حتى بداخل أحلامه, تردد قليلاً قبل أن يتصل بها . . .لينتشلها من شرودها بشرفتها, وضعت كوب الشاي على المنضدة بجانبها وأجابته باستغرابٍ لاتصاله بهذا الوقت المتأخر :

-ألو" نطقتها ليغيب عن هذا العالم لثوانٍ وهو يستمع لبحة صوتها الفاتنة مجاهداً لإخفاء صوت ضربات قلبه ويقول بمرح كعادته : كيف حال طبيبتنا النشيطة.

**********

## الفصل الخامس

توقف أمير أمام مرآته ذات الإطار المزخرف المذهب وهو يتطلع بثبات ولون البحر الهائج يتدفق من حدقتيه الواسعتين, بلل شفاهه بلسانه وبسمة جبروتٍ زائف ارتسمت على محياه, كم المظاهرُ خادعة**! !** همس وحدق مطولاً بمرآته التي تنقلُ صورته أو الصورة التي أَصَرَّ والده على رسمها طيلة سنوات, كالماريونيت قام بتشكيل شخصيته والآن حان وقتُ اللعب الجدي كما زعمَ والده, . . . . حسناً فلنلعب وبعدها سيكونُ كُلّ شيءٍ بخير, كان يحادث نفسه وعقله محشوٌّ بالتساؤلات والحُجج الواهية, ونور ما تزال عيناها تعصف في مخيلته عندما فتحت أهدابها ليفتك به نهر العسل المطل من حدقتيها هل سيستطيعُ فعلاً أن يسير بهذا الدور الذي رسمه له والده؟ , هل سيقدر على أذية تلك البراءة؟ . . (اللعنة ) تمتم بتلك الكلمة بحقدٍ وهو يعقد ربطة عنقه بقوة. . , رن هاتفه ليتطلع بالشاشة ويزفر بإزعاج قبل أن يرفعه على أذنه مجيباً:

_سأقوم بكل شيّ على أكمل وجه لا تقلق.

ألقى كلماته المقتضبة وارتدى جاكيت بذلته الرمادية وخطى خارجاً من المنزل, طوال سنواتٍ وهو لعبةٌ بيد والده يديره كيفما يشاء ,أدرس الطب, تخصص بالجراحة, سافر, ارجع, سأزيد أسهمنا بالمستشفى وستصبحُ المدير . . . .وهو ينفذُ ما يقوله والده بقبولٍ واستسلام لأنه يعرف أن والده يقوم بصقله ليؤمن مستقبله, لكن طلبه الأخيرُ كان مخيفاً جداً, ولا ينكرُ هذه اللحظة أنه خائفٌ جداً من التنفيذ.

*********

فتحت عيناها العسليتان على صوت همهماته الخافتة عبر الهاتف, تنبه على استيقاظها فاستأذن لإغلاق الخط ثم قال باسماً: صباحُ الخير, هل تشعرين بالتعب؟.
اعتدلت وهي تهز رأسها بنفي: على العكس أنا بخير أخبرتك بذلك سابقاً لكنك أصريت على أن أقضي الليلة هنا.
-ألا تريدين مني الاطمئنان عنكِ, يكفي أننا لم نخبر والديكِ بالأمر, حسناً ريثما تتجهزي سأحضر القهوة وأعود سريعاً, اتفقنا"
هزت رأسها باسمةً ونهضت لتتجهز، وصل أمير لتوه وارتدى مئزره الطبي الذي أضفى له هيبةً ورونقاً خاصاً, خطى خارجاً من غرفته الخاصة والتقى بآدم في طريقه ليدحجه نظراتٍ شيطانيةٍ لم يتنبه عليها آدم, وأكمل طريقه ناحية غرفتها, كانت قد ارتدت حجابها للتو لتسمع صوت انفراج الباب فاعتقدت أنه آدم لتقول ضاحكة وهي تدير ظهرها وتغلق الحقيبة التي على السرير: ما الذي نسيته هذه المرة؟"
-نسيت أن آخذك معي" صدمها ذلك الصوت الغريب الواثق لتستدير بهلع وترى أمير خلفها مباشرةً, كادت أن تصرخ لكنه اغتال كلماتها وهو يسد فمها بيديه ويهمس بصوتٍ كالفحيح:
_لا أحب الصوت العالي. . . . . حمداً لله على سلامتكِ دكتورة.
نظرت له بارتباك وعيناه الماكرتان تتسعان كدوامةٍ غريبة, سحرتها عيناه الماكرتان ليتبسم لها ابتسامته الفتاكة ويتركها لتهتف به بتوجس:
_من أنت, ماذا تريد مني؟!
ابتعد عنها قليلاً قائلاً وهو يعبث بجيب مئزره: طبيبٌ بغرفة مريضته ما الذي يريده برأيك, سأفحصك.
أدار جبهتا ناحيته ليقوم بتفحص الجرح الطفيف لكنه ضربت يده بقبضة يدها بعنف وهتفت محذرة: _سأكسر هذه الذراع إن مددتها مجدداً, وانظر أني إلى الآن لا أعرف من تكون وما الذي تريده مني. . . لكن تأكد بأني سأخبر السيد عمر ليطردك خارج هذه المستشفى حتى ولو انتقلت حديثاً"
تعالت ضحكاته الهازئة ثم قال مداعباً: شرسةٌ أيتها الطبيبة. . . وأنا أحب الشرسات, نلتقي إذن بمكتب السيد عمر " قالها وغمز لها بعينه ثم انصرف لتتطلع بهذا الطبيب الغريب ولا تدري هل لها أن تخبر مدير المستشفى عن تصرفاته, أو هل تخبر آدم! ! لكنها تعرف آدم وجنونه حينها لن يتوانى عن العراك معه, بل لن يستمع لها لتكمل كلماتها.
نفثت بضيقٍ وخطت إلى الخارج لتلتقي بآدم كي تخرج من المستشفى وتستبدل ملابسها.

********

طرقت عسل باب مراد الذي انشغل بحاسوبه بداخل غرفته ولم يخرج بعد للشركة, جلى صوته ودعاها للدخول لتدلف وقد بدأت فعلاً تشعر بذلك الجرح الذي يغتال شقيقها بعدما عرفت حقيقة مشاعره لجمانة, وسبب سفره الرئيسي, تبسمت له بلطافةٍ غير مسبوقة وهي تحمل له فنجاناً من القهوة تعجب من ذلك فهي لم تفعلها سابقاً لتتسع عيناه بذهول

-تفضل, حضرته لك" تناول الفنجان منها باسماً وقال يمازحها: هل به شيٌّ ما . . . .سمٌّ مثلاً؟

تعالت قهقهاتها قائلةً بعتاب: سامحك الله, ألا يحق لي تدليل أخي الكبير" جلست بجانبه ليمسح على شعرها فأردفت بقلق: اصطحبني لمنزل نور أنا قلقةٌ عليها جداً"

لا عليكِ إنها بخير, ستأتي اليوم مَسَاءَا ,جيدٌ أنكِ لم تخبري والدتك بِشَيّ كيلا تقلق"

-هل عرفت من صدمها بسيارته؟

-سيارةٌ تحركت فجأةً وهي لم تنتبه لها وعبرت بسرعة فصدمتها, لكن الحمد لله الصدمة خفيفة

تراها كانت تتحدث بالهاتف فهي دائماً تشرد به " قهقهت وخرجت من الغرفة لتستعد للذهاب إلى مدرستها فقال مراد وهو ينبهها:

-لا نريد مَشَاكِل اليوم يا عسل اتفقنا"

هزت رأسها وأشارت له تحيةً عسكرية: أمرك سيدي لن أتشاجر اليوم ولأجلك فقط"

وبعد نصف ساعة كانت عسل تجلس بجانب مراد ليقوم بإيصالها إلى مدرستها. . فقال بتصميم:

-بالمناسبة وضعت إعلاناً بمكتب التوظيف ليؤمنوا لنا سائقاً ,ولا أريد نقاشاً بهذا الموضوع مجدداً

-هو ف " زفرت بحنقٍ ليردف بتحذير

-وإن سمعت بأنك ضايقتِ السائق الجديد لن أتساهل معكِ هذه المرة, لستُ متفرغاً لإيصالك كل

يوم

******

.

******

أخذت اليسا حماماً ساخناً قبل أن تتجهز وتخرج برفقة دلال من المنزل متجهتين إلى المستشفى. . . كان هشام خارجاً من الرواق حينما شاهدهما تستعدان للدلوف إلى المصعد فتعلقت عيناه عليها وأومئ لها إيماءةً بسيطةً من بعيد لتبادله ابتسامةً خفيفة قبل أن تغلق باب المصعد لتتطلع بهما دلال بقهرٍ ابتلعته وعيناها اغرورقتا دموع حاولت وأدها أمام إليسا. . .
عدة ساعاتٍ مرت كلٌّ منهم منشغلٌ بعمله حتى تعالى صياح أحد الرجال وهو يقتحم غرفة الممرضين, وما إن رأته دلال حتى شحب وجهها, تقدم والدها السكير قائلاً بصراخ: أيتها الوقحة أين قضيتِ الليلة هاه . . .
تريدين إلحاق العار بعائلتنا يا عديمة الشرف. .
تطلعت الممرضات بدلال التي انسابت دموعها أمام والدها الذي اشتد صراخه عليها واتهاماته الباطلة لتهرع إحدى الممرضات لإعلام أحد المسئولين,
كفى " صرخت بها دلال وقد انسابت دموعها بقهرٍ وهتفت به: اكتفيت من كلماتك. . . ألم تطردني أنت من المنزل كالعادة لأجل عشيقتك اللعينة! ! الآن لتذكرت أن تسأل عن ابنتك. .
_أترفعين صوتك يا فاجرة! ! ظننتكِ ستمكثين بالمستشفى كعادتك لا أن تذهبي والله يعلمُ أين قضيتِ ليلتك! ! " زمجر والدها ورفع يده ليهوي بها عليها لكن كف أحدهم قامت باعتصار قبضته ليرفع الرجل عيناه الزائغتين ناحية هشام الذي حضر لتوه وقال بهدوء: -مشاكلك العائلية أيها السيد تحلها بمنزلك, أنت هنا بمستشفى محترم"
زمجر الرجل بغضبٍ وهتف بحدة:
_لا تتدخل أنت. . . أبٌ يربي ابنته.
شعرت دلال بألمٍ كبير بفؤادها من هذا الخزي الذي تعرضت له من والدها أمام هشام حينما أردف والدها بغباء: الله يعلم أين قضت تلك الفاجرة ليلتها "
تطلع حينها هشام بدلال لتفاجئ فأنكست رأسها أرضاً حتى قالت إليسا من خلفهما بحدة:
-لقد استضفتها بمنزلي أيها السيد, ابنتك لم تخطئ بشيء أنت من طردتها البارحة وقد سمعتك"
أفلت هشام قبضة الرجل الذي استدار ناحية إليسا وهو يتطلع بها باستهزاء:
_واللهِ شيءٌ جميل! لا ينقصنا سوى شبيهاتك لتحدد أن ابنتي أخطأت أم لا"
صرخت به دلال برجاء: يكفي. . . يكفي أبي. . أرجوك.
اشتدت شهقاتها الباكية لتتقدم منها إليسا بثبات وتقول لوالدها:

-اسمعني جيداً, أنا إلى الآن أحترم كونك رجلاً كبيراً بعمر أبي, دلال بالغةٌ وراشدة لا يحق لك إهانتها بهذا الشكلِ على الملأ
_أيتها اللعينة! ! نطقها والد دلال وهم بالانقضاض على إليسا لكن جسد هشام الذي ظهر فجأةً أمامه منعه من ذلك:
_ما الذي تحاول فعله, هيا اخرج قبل أن نطلب الأمن"
تعالى زئير الرجل وهو يتوعد مهدداً حتى اجتره عنصرا الأمن خارجاً لتجلس دلال على الكرسي وتغطي وجهها باكيةً بقهر لتنحني تجاهها إليسا وهي تربت على كتفيها: لا تقلقي أنا معكِ ولن أتركك"
شكرا" قالتها دلال باكية وهي تحتضن اليسا التي ربتت على ظهرها مواسية قبل أن تقول بهدوء:
ارتاحي الآن وسنرى ما علينا فعله"
وغادرت اليسا غرفة التمريض برفقة هشام, توجها إلى المصعد فهمس لها: لم يكن يجدر بكِ التدخل بشجارٍ مع ذلك اَلسِّكِّير ,كنتِ ستتعرضين للأذى"
-ولمَ تدخلت أنت!
-تساءلت وهي تحدجه بتلك النظرات التي تفتكان بضربات قلبه لتتهاوى وأجاب بهدوء:
-أنا رجل أستطيع مجابهته إن تطلب الأمر"
-الدفاع عن الظلم, لا يفرق بين رجلٍ وأنثى دكتور هشام.
-أنثى! . . . . وما أجملكِ من أنثى.
-هشاام" !

وصل المصعد للطابق الثالث فسار بجانبها يلقيها بنظراتٍ عابثةٍ وهو يتمتم:

-أحبكِ جداً. . . . وأعرفُ أن الطريق إلى المستحيلِ طويلُ
-عفواً! !
تساءلت باستغراب ليضحك قائلاً:
-أغني. . . هل ممنوعٌ أيضاً!
ضحكت وسبقته بخطواتها إلى المستودع لتحضر مستلزماتها قائلة:
-غني. . . لا يمنعك أحد.

دلف ورائها وارتفع صوته مجدداً وهو يبحث كذلك عن الأدوات الطبية لتسمعه يدندن:

*أحبكِ جداً . . . . . وبيني وبينك ريح وَبَرْق وغيمٌ ورعدٌ وثلجٌ ونار. .*

تحاشت كلماته وهي ترتب قطع الشاش بالصندوق فأردف وقد وضع صندوقه كذلك ليعبئه:

*أيا من حميتك بالصبر من قطرات المطر أحبك جداً . . . . . .*

*واعرف أني أسافر في بحر عينيك دون يقين.*

تعالت ضحكاتها هذه المرة وهي تغتال كلماته: -صوتك بشع, سيصيبني تلوثٌ سمعي. !شرد بضحكاتها واستند بكفيه على الطاولة مميلاً بجذعه ناحيته وأردف:

*-وأترك عقلي ورأيي وأركض.. أركض.. خلف جنوني.*

*أيا امرأة.. تمسك القلب بين يديها سألتكِ بالله ..لا تتركيني....*

*لا تتركيني.. فما أكون أنا اذا لم تكوني..*

ارتبكت هذه المرة فعلياً من نظراته وكلماته فقالت بلعثمة وهي تتهرب من نظراته
-هشام !! كف عن ذلك"

تبسم ابتسامةً لطيفة مجيباً بهدوء :
-أأكفُ عن الغناء !أم عن الغرقِ بعينيكِ"

انفرجت عيناها بصدمة من كلماته لتتمتم وهي تهرب منه : ما بك اليوم بحق الله !

فأردف وهو يحمل الصندوق ويلحق بها باسماً يكمل أغنيته :

-أرفض من نار حبك أن أستقيلا .....وهل يستطيع المتيم بالحب أن يستقيلا....؟
وما همني..ان خرجت من الحب حياً وما همني إن خرجت قتيلا..

عضت على شفاهها بغيظٍ لتضع الصندوق على الطاولة الأخرى بجانب الباب وتلتفت ناحيته محذرة وهي تشير له بإصبعها: -اعتقني...أتفهم صوتك بشع"

زاغت عينيه عليها ليردف هامساً وقد تعاظمت حدة ضربات قلبه:

-أحبك جداً..وجدًا .....وجداً.

تملكها الخجل لتستدير عنه وهي تتمتم(( لا إله إلا الله جن دكتور هشام. !!! )) أخذت الصندوق وغادرت أما هو فرجع خطوتين إلى الوراء ليجلس على الكرسي وما يزال حاملاً الصندوق بين يديه... أغمض عينيه وقد سمع صوت ضربات قلبه تتعاظم حدتها داخل صدره فلطم صدره بأصابعه قائلاً بارتباك وهو يخاطب قلبه: كف عن ذلك يا أحمق...ستفضحنا أمام خلق الله"

**********

## الفصل السادس

-كثيراً ما كنتُ أتعرضُ للتعنيفِ منه, كانت ضرباته تنهال على كل موضع بجسدي، تألمت وصرخت حتى كف جسدي عن الشعور بضرباته يا إليسا، ولأمي يرحمها الله نصيب من جنونه, لكن لعلها ارتاحت منه ومن تصرفاته. . .

قالتها دلال وهي تجفف دموعها حينما كانت تجلس برفقة إليسا بصالة الفيلا، تطلعت فيها إليسا بألم مؤيدة:

-أوجاعنا لا يشعر بها سوانا"

حدجتها دلال نظرة استنكار وتساءلت: وهل أنت ممن يتألم!

شردت بها بدموع تحجرت بمقلتيها ثم وقفت: هل لأني أسكن بفيلا مثلا! دكتورة! والداي يعطونني حريتي بنظرك!؟

ضربت على صدرها وقالت بألم: لا تعرفين شيئاً عن ماضيي. . . لا تدركين كم تألمت سابقاً، كم بكيت. . . كم صرخت وتملكتني أوجاع لم ولن تشفى من روحي, لكن هذه هي نتيجة أن تثق بأحدهم ثقة عمياء. . .

وبالنهاية ستحصل على نتيجتين، إما شخص مدى الحياة أو درسٌ مدى الحياة. . . . وأنا لطمني ذلك الدرس بقوة. ضربني بقسوة بالكاد خرجت

منها بدراستي. . . . بعملي وقوتي وبإيماني بأن الغدَ أفضل.
نهضت دلال ناحيتها بخجل :

-ياه يا إليسا! ما الذي تحملينه بقلبك، احكي لي, لن أساعدك حتما, لكني سأستمع لك، سترتاحين إن شاركت أحدهم همومك.
لاحت ابتسامة ساخرة على شفاه إليسا واجابتها: وما الذي سأحكيه يا ثُرى!؟ هذه الحكايةُ التي مررتُ بها لن تجرح سوى قلبي، لن تشعر بها سوى روحي حتى لو حكيتُ لن تفهمي ما مررتُ به.
تمسكت دلال بيدها راجية: احكي لي, لعلكِ تزيلين عبئاً عن قلبك"
ارتدت اليسا جالسةً على الأريكة وأجابت ساخرة:
-هل أحكي لك عن والدي الذي باعني لرجل يكبرني بخمسة عشر عاماً مقابل اسهمٍ بشركة العريس الثري!
هل أحكي لك عن مشاعر مراهقةٍ ساذجةٍ تبرعمت على يدي من أخبروني بأنه زوجي المستقبلي! ، شكّلها على هواه ورسم تفاصيلها وشخصيتها كما يرغب هو، وكأنني مجرد عجينة صلصالٍ يشكلها كيفما يشاء!
إليسا لا ترتدي ذلك الثوب. . . . فتقول إليسا حاضر.
اليسا ابتعدي عن صديقتك تلك لم أحبها. . . . فتجيب اليسا حاضر.
اليسا سنتزوج بعد شهر. . . اليسا مُستسلمة لقراراته
إليسا لن تكملي دراستك حالياً، لا تحتاجينها، لن تخرجي إلا برفقتي. . . لن ولن ولن. .
وتقول إليسا الغبية لفارسها القوي حاضر وحاضر. . .
ثم تنهدت وأردفت بقهر: وما إن أبوح لوالدتي تقول لي اصبري. . . هذه طباع الرجال. . المهم نفوذه، سلطته، ونقوده"
تملكت عيناي غشاوة طيلة سنوات خطوبتي وزواجي منه، كان يخونني, بكل وقاحة يذهب من امرأة لأخرى وأنا كالبلهاء أتراقص فرحاً لأنه اشترى لي ألواح الشوكولا المفضلة لدي، أو ذلك الفستان الذي أعجبني, أو أخذني إلى الملاهي! أتدركين كم كنتُ غبيةً وساذجة!
صدمت دلال مما سمعته وقالت بلعثمة: كم. . . كم كان عمرك حينما تزوجتِ؟
-سبعة تقريباً عشر عاماً وتطلقت بعدها بعامين.
صمتت قليلاً تستجمع شتات نفسها وذكرياتٍ عادت فجأةً لتحط أمامها فقدمتها لدلال دون تزييف, فعلاً كانت حينها تحتاجُ من تحكي له, عل الحديث يريح نفسها, أردفت:

-كرهت نفسي والجميع, حتى والداي لم يكن لي رغبةٌ بالمكوث بينهما فسافرت لعمي في دبي, علمني عمي- رحمه الله -الكثير, جعلني قوية, أكملت دراستي بتشجيع منه. . تخرجت ورجعت بعد وفاته لأجابه مخاوفي من جديد. . لأثبت لمراد وللجميع أن اليسا أصبحت امرأةً أخرى لم تعد تلك الصغيرة الساذجة.

أرجعت رأسها إلى الوراء وأغمضت عينيها بينما اكتفت دلال بالصمت وهي تحدق بوجهها الذي اكفهر وقلبت معالمه، رن هاتف اليسا لتتطلع فيه وتتبسم بسخرية,

-من؟ تساءلت دلال لتجيبها بلا مبالاة: دكتور هشام.

رفعت اليسا الهاتف لتجيب بينما عبثت دلال بفستانها تدعي اللا مبالاة مع أنها تُكوى من الداخل واستمعت لحديثها العادي معه حتى تنبهت عليها تقول:

-لا أريد هشام لا رغبة لي بالخروج"

-لكن. . . . حسناً سأسألها"

تطلعت اليسا بدلال لتقول لها: يدعونا لتناول العشاء خارجاً"

شعرت دلال بالقهر لأن الدعوة ليست لها بل هي جسرٌ سيخطو عليه للوصول لمبتغاه, قالت بابتسامة هادئة:

-لنخرج ونتسلى قليلاً"

أجابته بالموافقة على مضض فنهضت دلال ناحيتها لإزاحة الغم عن قلبيهما وتأبطت ذراعها قائلة بابتسامة: دعوته جاءت بوقتها. . . بدلاً من هذه التراجيديا السوداء التي أغرقتنا بها! ! . كلمة أخرى وكنت سأقفز من الشرفة وانتحر!

تطلعت بها اليسا شذراً ثم تعالت ضحكات الفتاتين وتوجهتا إلى الغرف لاستبدال ملابسهما للخروج.

********

بفيلا المنصور تجلس عسل ونور ووالديها برفقة آدم، انضم لهم بعد دقائق مراد الذي دلف لتوه من الخارج حيث تأخر بالشركة

-مساء الورد. . . لأجمل اخ بالدنيا"

قالتها نور وهي تندفع تجاه مراد فانضمت لها عسل بعد ان شعرت بالغيرة، لتحتضنه كذلك وهم يسيرون ليقهقه آدم قائلا:

-ستصبح جليس أطفال يا ابن خالتي.

مدت عسل له لسانها مشاكسة وهي تقرص ذقن مراد: قل أنك تغار من أخي الوسيم, أم تريدُ حُضناً كذلك"

رفع حاجبيه وقال ضاحكاً:
-أغار لأنني لم احتضن بابا مراد. . . ضاع عمري فعلا! ! ؟
-والله إنكَ طفل أكثر من عسل"
رن جرس الباب هذه اللحظة فاندفعت عسل ناحيته:
_إنه كرومي حتما "أنكس مراد رأسه إلى الأرض بانزعاج لتربت نور على يده بعدما تنبهت له.
التفت مراد عندما دلف كريم ليتطلعا ببعضهما نظراتٍ طويلة بينما توجهت جمانة لتلقي السلام على الجميع غير مدركين لهيب النظرات المطلة من عيني كريم ومراد, افلت الصغير والده وركض مبتهجاً: عمو ملاد. .
تلقفه مراد بين ذراعه قائلاً بلهفة: أهلاً بقلب عمو مراد, كيف حالك يا بطل؟
-أنا بخير اشتقت لك جداً"
تبسم مراد وقبله قائلاً: وأنا اشتقت لك جداً جداً جداً"
تجاهله كريم متوجهاً بسلامه للجميع ثم انضم يجلس بينهم.

**********

نهض هشام من على الكرسي حينما دلفت ملكة قلبه لداخل صالة المطعم لتتعلق عيناه على سطوتها التي تجبر قلبه على التناطح بداخل صدره, لتلك المرأة فعلاً تأثيرٌ سحريٌ عليه, ألقت إليسا السلام وكذلك فعلت دلال وجلستا على الطاولة, تطلعت اليه دلال فلأولِ مرةٍ تراه متأنقاً بهذا الشكل,أزاحت ببصرها عنهما وصارت تعبث بطرف حجابها.

-جيدٌ أنكِ أقنعتِها بالخروج, لم تفعلها سابقاً" قالها هشام باشاً وهو يتطلع ناحية دلال بامتنان فأومأت له دون أن تتنبه عليها أليسا وقد عرف كيف يرضخا للخروج لتجيب اليسا بهدوء:
_ولولاها تعرف بأني لن أفعلها أبداً"

حدق فيها نظراتٍ مطولةٍ من رسائلها المباشرة وغمغم : من يعرف, الزمن يغير كل شيْ أليست هذه قاعدتك الأزلية"!
-نعم ...لكن لكل قاعدةٍ شواذ دكتور هشام"

عقد ذراعيه ببعضهما وقال بابتسامةٍ هادئة : وكما العادة هذا هو الأسلوب السائد بالنسبةِ لكِ وقد لا يكون صحيحاً..

لاحظت دلال اضطراب الأجواء فاندفعت بالحديث لتزيل التوتر عنهما على الرغم من سهام اللهيب التي تخترق صدرها لكنها عافرت للسيطرة على أنفاسها واضطرابها أمامه, صحيحٌ انها غيرُ مرحبٍ بها بالنسبة إليه, بل لا يعتبرها أساساً بل مجرد جسرٍ خطى فوقه وسحقه بقدميه لكنها كانت فعلاً بحاجةٍ لاستنشاقِ هواءٍ نظيف...تطلعت على هاتفها قائلةً باندفاع: اعذراني يجب أن أغادر حالاً"

نهضت خلفها أليسا تتساءل بقلق : ما الأمر دلال؟

ارتبكت مجيبة...لأن.. ال...أبي...أبي اتصل بي, سأذهبُ لملاقاته.

وهرولت من أمامهما لتقف إليسا بارتباكٍ من تواجدها وحيدةً برفقة هشام الذي همس بعد لحظات: تفضلي, أم لأنها اضطرت للرحيل ستغادرين فوراً.!!

تطلعت فيه بارتباكٍ وخجل وعادت لتسحب الكرسي وتجلس معه فلن يكون موقفها جميلاً إن تركته بعد هروب دلال...

تبسم وعيناه تتراقصان بشغف وهو يراقبها بصمتٍ فقد كان الأمرُ أسهلَ مما تصور, خرجت دلال تتمشى خارجاً وقد التهب الدمع بمقلتيها, حتى انهارت باكيةً على إحدى مقاعد الحديقة القريبة من المطعم وهي تعاود قراءة رسالته التي أرسلها قبل ساعات (( أقنعيها كي أستطيع مقابلتها خارجاً ولن أنسى معروفك أبداً )) رمت الهاتف بقهرٍ ومسحت آثار الدموع عن عينيها.

**********

تطلع آدم تجاه نور وغمز لها لتتفهم على الفور وتهتف بمرح : هيا منذ زمنٍ طويلٍ لم نفعلها"

نهض مراد قائلاً ببرود : بالهناء, أنا مرهق سأصعد لأرتاح بغرفتي" تمسكت نور بساعده : لن أقبل أي اعتذار, جميعنا سنخرج.

-كريم ...هيا أم لديك اعتراضٌ أنت أيضاً؟ قالها آدم واتجه ناحية كريم الذي ضيق ما بين حاجبيه وقال باستسلام : ليس لدي اعتراض.

حملت عبير جواد الذي غفي على الأريكة لتأخذه إلى غرفتها وقالت بحنو: اذهبوا في رعاية الله سأهتم به مع عسل,

فهتفت عسل بغضب: واللهِ لن يخرج أحدٌ بدوني.

تعالت ضحكات آدم وهو يعبث بشعرها قائلاً : لن يخرج أحدٌ بدونك طبعاً وهل نستطيع" !!

تجهز الجميع وانطلقوا بسيارة مراد حتى وصلوا ناحية المطعم..

-ما أحلى اجتماعنا سوياً مجدداً : قالها آدم باسماً وهو يقلب نظراته مابين كريم ومراد الذي هز رأسه موافقاً بينما كريم يحوط جمانة بذراعه وكأنه يرسل تهديداً صريحاً وتأكيداً بأنها له وملكه فقط بينما مراد أحنى رأسه إلى الأسفل راسماً ابتسامةً صفراء من سخافة أفعال ابن عمه !تعالى رنينُ هاتفِ كريم فأجابه بينما انشغل مراد بالحديث مع آدم عن مشروع جديدٍ لتصميم بناءٍ لشركةٍ تجارية, وانشغلت الفتياتُ بثرثرتهن المعهودة, وكما تقول عبير دوماً ...الساحراتُ الثلاث!

**********

شرد هشام بها وهو يسند رأسه بكفيه وقال:

_أتعرفين أنكِ تشبهين فصول السنة"

-أنا!

هز رأسه مؤكداً وتابع:

-شعركِ كأوراق الخريف الأحمر. .
رائحةُ عطركِ كزهور الربيع مجتمعة. .
عيناكِ يحملان لهيب منتصف الصيف، لكن. . .
قرب يده ليلمس بأصابعه كف يدها الباردة لتسحبها فوراً فأردف بابتسامة ساخرة:
-وهكذا أنتِ باردةٌ كالشتاءِ. .
ثم قرب جذعه أكثر هامساً: بل وتبدئين بإطلاق جنون عواطفك الثلجية على من يحاول الاقتراب منكِ.

صمت الجميع حينما قالت عسل ب تفاجئ: أليست هذه أليسا! !
رفع الجميع أنظارهم ناحية اليسا التي احتقن وجهها بارتباكٍ من كلمات هشام فقال معقباً: هل أنا مخطئٌ بما قلته؟
حركت رأسها بارتباكٍ فهمس مجدداً: لمَ تهربين دائماً؟!
-إنها إليسا فعلاً" قالتها نور بابتسامةٍ واسعة فنهضت برفقة عسل وجمانة ناحيتها, بينما تعلقت عينا مراد على اليسا التي تجلس ومن وجهة نظره بانسجامٍ مع هذا الرجل! تجرأ هشام لاحتضان كفها هذه المرة بقوةٍ أكبر ليقول بهدوء: تعرفين أني معجبٌ بكِ جداً, ولن تشفع لكِ هذه المرة نظرية القاعدة والشواذ, " فتبسمت بهدوء وهي تسحبُ كفها من كفه وبرأسها تعصف مئات الأفكار
تنبه كريم لنظرات مراد الذي يتابعهما من بعيد فأطلق بسمة استهزاءٍ وهز رأسه متمتماً بلؤمٍ ظاهر: تم القصف . . .وجاري الإبادة"
اعتصر مراد الشوكة بيده وهو يتطلع بنظرات كريم الهازئة وقال جازاً على أسنانه: اهتم بشؤونك وكلمةٌ أخرى ستندم على اليوم الذي ولدتَ فيه"
زفر آدم قائلاً بحدة يخاطبهما: يكفي إلى هذا الحد وأنهيا خلافكما السخيف لم نخرج لنتشاجر بل لتتصالحا!
*********

-إليسا. . . كيف حالك يا بنت " قالتها نور بمرح لتتطلع اليسا ناحية الساحرات الثلاث وتنفرج عيناها لتفاجئ ,دفعت الكرسي بهدوء واعتلت شفتيها ابتسامةٌ ساحرة وعانقت الفتيات بلهفة.
-مر وقتٌ طويلٌ جداً. . . " قالتها جمانة التي رحبت بها بحفاوة لتتطلع بها اليسا وتجيب ببرودٍ لم تمانع جمانة: معك حق.
_أنتِ عسل أليس كذلك" هزت عسل رأسها لتحتضنها اليسا بمحبةٍ وهي تقول: ما شاء الله أصبحتِ بغاية الجمال"
ثم نقلت بصرها بينهن وقالت :إنه دكتور هشام, أستاذي في المستشفى.
تطلعت الفتيات ببعضهن لتفاجئ لتجيب اليسا وهي تحدق بنور: أكملت تعليمي وتخرجت من كلية الطب وحالياً متدربةً بقسم الطوارئ
-رائع. . . " ضحكت نور بانبهار وأردفت:
-فعلاً رائع أحسنتِ صنعاً.
أومأت لها إليسا وقالت بثبات: علينا إن نستمر بهذه الحياة.
-طبعاً, علينا أن ننسى الماضي وأن نستمر بهذه الحياة "قالتها جمانة بفخر. . فكم تغيرت أليسا بنظرهن جميعاً!
انتشلهم من حديثهم صوت آدم وكريم اللذان تقدما كذلك لإلقاء السلام على

اليسا بينما عقد هشام حاجبيه لتقوم اليسا بتعريفه عليهم ليرحب بهما كذلك, توقعت اليسا أن يكون مراد برفقتهم فانزاحت عيناها أرجاء الصالة حتى وقعت نظراتها على مراد الذي ما يزال يجلس على الطاولة وهو ما يزال يعتصر الشوكة بيده كمن توقفت الحياة عنه, كان لاهثاً وراءها ليحصل على الصفح والغفران الذي أراده منها والآن حين مقابلتها كان كالأبله فعلاً!

-لا هذه تحتاج لجلسةٍ طويلة" قالتها نور ثم أردفت جمانة: انضموا لنا رجاء هنالك يبدو أن الكثير قد فاتنا يا إليسا"

شعرت بالحرج فقالت جمانة بابتسامة: إلا إذا كنا قد تطفلنا عليكما وتريدان التكلم حديثاً خاصاً"

أما إليسا تناوبت نظراتها المرتبكة عليهم وعلي هشام لتقول بسرعة ربما لتهرب منه فالجلوس بينهم هذه اللحظة أهون عليها من الانفراد مع هشام:

لا. . لا أبداً لا يوجد شيءٌ خاص نتكلم به, ما رأيك أن نشاركهم؟

هز رأسه بهدوء قائلاً: لا مشكلة نتشرف بمشاركتكم "مشى الجميع وقامت اليسا بتعريفهم على هشام بسرعة, ثم وصلت ناحية مراد الذي نهض ما إن وصلوا ناحيتهم فصافح هشام ليقول بثبات:

-زوجها مراد

حدق فيه هشام وشد على كفه باسما: زوجها السابق"

أومئ له: نعم السابق"

احتقن وجه مراد أما اليسا فجلست بلا مبالاة على الكرسي الذي بجانب هشام وتشاغلت بعسل الثرثارة التي لم تكف عن الحديث لحظة واحدة عما فعلته طيلة سبع سنوات! . تجاذب الجميع أطراف الحديث وكلٌّ منهم يدور بفلك أفكاره العاصفة. . . . عشاءٌ غريبٌ جداً تناولوه, وكأنهم يضعون ذكرياتهم على أطباقِ بلوريةٍ تعري الماضي. . يتناولونها بألم, فيشعرون بكل لقمةٍ وكأنها دموعٌ مُرةٌ يلوكونها. .

سألتها جمانة: كيف حالكِ الآن ووالديكِ, متى رجعتِ من دبي؟

تطلعت فيها اليسا بابتسامةٍ هادئة وأجابت: بعدما توفي عمي منذُ حوالي عامين رجعت, وبالنسبة لوالدي الحمد لله إنهما بخير, مسافران للخارج عند شقيقي, ولا أدري ربما يستقران في أمريكا.

-إذن أنت بمفردك بالمنزل, ألا تشعرين بالوحدة؟ سألتها عسل لتجيب على الفور: أقضي أغلب الأوقات في المستشفى, ولا أعود سوى ليلاً وأرتمي على الوسادة.

أعقب هشام وهو يتبسم بحنو: إنها ذكيةٌ جداً وتعمل بإخلاص وتفاني,

سيكون لها مستقبلٌ باهر- بإذن الله.-
بادلته ابتسامته اللطيفة وقالت بخجل: لا تبالغ بمدحي وإلا أُصبتُ بالغرور.
تراقصت عيناه ببريقٍ خلابٍ وكأنه تناسى الجميع حوله وأجاب بصدق:
تعرفين بأني لا أبالغ بأي شيٍّ يُخصك.اشتعلت وجنتاها من الخجل والارتباك من نظرات الجميع اللذين فهموا ما يرمي إليه ومراد يعبث بطبقه ثم قال وهو يثبت نظراته ناحيتها: جيدٌ أنكِ قررتِ العمل لمستقبلك, إنه شيءٌ يدعو للفخر.

أجابته بهدوء: نعم.. الحياة مستمرة, لن تتوقف على ماضٍ عشته, ولا على شخصٍ خسرته, فالمستقبل فقط هو ما يجب أن نسعى إليه كيلا تتكرر أخطائنا السابقة.

ترك كريم الملعقة وعقد أصابعه قائلاً :الماضي يااااه ... الماضي لا يُنسى, لا تُمحى آثاره بسهولة.. خصوصاً إذا كان محفوراً ومتأصلاً بقلوبنا وعقولنا.

شبح ابتسامةٍ ارتسم على محياها وأجابت بثبات : معك حق سيد كريم... الماضي لا يُنسى, لذلك لا أندمُ على معرفة أي شخصٍ مر بحياتي...وكما يقولُ المثل , الناس الجيدون يعطونك السعادة, والناس السيئون يعطونك التجربة. أما الأسوأ فيعطونك درساً لتعتبر منه.

فقاطعها مراد قائلاً: وأفضل الناس هم من يعطونك الذكريات التي تفخر بها.... والتي يجب أن تظل محفورةٌ بذاكرتنا..

ابتلع كريم ريقه وقال وهو يتطلع بإليسا:

أتعلمين....بوقتٍ ما نحدث نفسنا ونقول أن لا شيء يستحق الغضب لأجله لكننا ندرك ذلك في وقتٍ متأخرٍ جداً, نقولها بعد أن نكون قد أفنينا أعمارنا فيمن لا يستحق فعلاً" وغمز مردفاً : وأحدثكِ عن تجربةٍ بالمناسبة"

اخترقت كلماته قلب مراد سهامٍ حارقة وقال :نعم....تحديداً نفني أعمارنا فيمن لا يستحق وذلك الشخص قد يكون أقربهم إليك لكنه يطعنك بظهركَ بدمٍ بارد, يستلذُ بحركَ ببطء وإصرار"

اتخذَ الحوارُ شكلاً عدائياً, تطلع الجميع بعيني مراد وكريم التي اشتعلت من الغضب والغيظ, حتى أن هشام تنبه لهذه الحرب بينهما تمسكت جمانة بكف كريم للسيطرة على أعصابه المشدودة فقاطعتهم نور لتغير مجرى الحديث:

-و وبأي مستشفى تعملين حالياً"

انسلخت نظرات كريم ومراد بصعوبة عن بعضهما لتردف هي ومراد بذات اللحظة : بمستشفى الرحمة"

ثم تطلعت بساعتها, اعذروني لكن تأخر الوقت يجب أن أعود سررت فعلاً برؤيتكم الليلة.

نهض الجميع حينها لتحتضنها اليسا مجيبة: ونحن كذلك سعدنا جداً بلقائك, سأعطيكِ رقم هاتفي وسأزوركِ قريباً.

**********

## الفصل السابع

وقف هشام بتلقائية وسط نظرات مراد المبهمة المنكبة عليه وقال بحبور: تشرفت بمعرفتكم, عن إذنكم " ليغادر مع إليسا..

تمتمت نور بانبهار: أيعقل أنها إليسا....يا إلهي كم تغيرت!

فأعقبت جمانة : وازدادت جمالاً " تناول مراد جاكيت بذلته وغادر وقد شعرَ باختناقٍ رهيب بصدره, وسط نظراتهم ولم يعلق أحدهم بحرفٍ آخر,

وصلت اليسا ناحية سيارتها وألقت السلام على هشام واستقلت سيارتها لكنه سارع وفتح الباب الآخر وجلس على المقعد وسط ذهول اليسا من

تصرفه فقال بهدوءٍ وهو يلمح مُراد خارجاً من باب المطعم: بإمكانك إيصالي أليس كذلك تعرفين أني لا أملكُ سيارة

شعرت بالحرج منه ولم تتنبه هي على مراد الذي تعلقت عينها عليهما ليحتقن وجهه بانفعالٍ هو نفسه لا يدري له سبباً مقنعاً لانزعاجه بعد هذه السنوات!

شغلت سيارتها وانطلقت مارةً من أمام مراد حتى تنبهت عليه أخيراً لتشيح بنظراتها عنه فوراً وتقبض على المقود بعصبيةٍ زائدة, لاحت ابتسامةٌ منهكةٌ ثغر مراد ورمى جاكيت بذلته على كتفه ومشى بخطواتٍ قاسيةٍ حتى قادته قدماه ناحية الحديقة القريبة من المطعم, تهادى على المقعد وهو يشعر بضيقٍ شديد, أرجع جذعه إلى الخلف وعادت كلمات اليسا تطرق ذاكرته بعنف((الحياة مستمرة, لن تتوقف على ماضٍ عشته, ولا على شخصٍ خسرته, فالمستقبل فقط هو ما يجب أن نسعى إليه كيلا تتكرر أخطائنا السابقة)) هذه الصغيرة علمته درساً قاسياً وما زالت حتى اللحظة تعطيهِ دروساً بالحياة!

توقفي إليسا"قالها هشام بعدما لاحظ اضطرابها الشديد لتتطلع به بضياع فعاود الحديث: سأقود أنا" استسلمت له وخرجت ليتبادلا المقاعد,ارتمت على الكرسي وهي تكافح دموعها, لم يشغل السيارة,بل جلس يراقبها بصمت: هل أنتِ بخير؟

هزت رأسها بإيجاب وتشاغلت بالتحديق بالنافذة ليتابع بهدوء: دليني على منزلك لأوصلك" هزت رأسها وأملته العنوان وأغمضت عينيها بعدها, التمس هشام ذلك الحزن الذي نُقِشِ على تعابير وجهها والذي جاهدت طيلة الجلسة معهم لإخفائه, آثر الصمت فهي لن تبوح له كعادتها..توقفت السيارة بعد مضي نصف ساعة أمام الفيلا ترجلا من السيارة وتوقفا على أعتاب البوابة الحديدية

-شكراً لك"

تبسم مجيباً بصدق: بل أنا من أشكركِ"

صمت محاولاً استجماع كلماته من جديد ومع أنه راغبٌ وبشدة التعرف عليها أكثر, على ذلك الماضي الذي تتأثر كلما طرق ذاكرتها, على زوجها

السابق الذي يلوعها عذاباً في كل مرةٍ يتقابلان لكن ابتلع حروفه حينما هربت من أمامه لتحتمي بمنزلها من صقيع الذكريات..

**********

استمع مراد لأنينٍ هو أشبه للبكاء, استدار بتلقائيةٍ ليرى تلك الفتاة التي تجلس على المقعد الخشبي أسفل الشجرة خلفه وتبكي بخفوت, ضيق عينيه أكثر وتقدم ناحيتها ..تنحنح قليلاً وتساءل: هل أنتِ بخيرٍ آنستي؟ أتحتاجين إلى مساعدة؟

رفعت رأسها ناحيته ومسحت دموعها نافيةً وهي تنهض من مكانها: لا..شكراً لك " ومشت من أمامه بغير اتزان,

قطب ما بين حاجبيه وتساءل وهو يسير خلفها: أمتأكدة ؟ لا تبدين بخير؟

توقفت واستدارت ناحيته وصرخت : أخبرتك أني بخير ألا تفهم!!

توقف مشدوهاً للحظاتٍ وقال بتأفف بعدما عرف بأنها تلك الممرضة التي قابلها سابقاً بالمستشفى, وتشاجر معها عندما سأل عن اليسا : كما تشائين كنت أريد المساعدة فقط" وخطى مبتعداً عنها بغضب فلا ينقصه هذه اللحظة جنون النساء, ولم يكد يبتعد حتى سمع صوت ارتطام, استدار ليراها قد سقطت مغشياً عليها, هرع ناحيتها يتحسس وجنتها فكانت باردةً كالثلج, نادى عليها وهو يربت وجنتيها بخفة وما كاد يخرج الهاتف ليتصل بالإسعاف حتى بدأت باستعادة وعيها فتحت عينيها لتنفر بعد هنيهةٍ بفزع من كونها بين ذراعيه, تبسم قائلاً لطمأنتها: حمداً لله على سلامتك, أغمي عليكِ" ساعدها على الاعتدال فتلمست حجابها الأبيض للاطمئنان على أنه لم ينزاح وشكرته فخفوت..

-عذراً لكن...هل التقينا سابقاً وجهك مألوف؟ قالتها وهي تحدق به فأجاب باسماً: وجهك يبدو مألوفاً أيضاً.

-حسناً لا عليكِ, اسمحي لي بإيصالكِ إذن"

نهضت دلال وهي تنفض ثوبها الطويل :لا شكراً لا داعِ لذلك.

_آنستي رجاء تبدين متعبة, ووجهكِ شاحب"

صمتت تحدق فيه وبعدها هزت رأسها موافقةً فهي لا زالت تشعر بدوارٍ شديد: يبدو أن ضغطي قد انخفض" تمشيا ناحية سيارته التي ركنها بجانب المطعم ليستقلها وتمتم بينه وبين نفسه: وأنا ضغطي قد ارتفع اليوم جداً! !
**********

دلفت إليسا إلى الفيلا واستبدلت ملابسها لأخرى مريحة وجلست أمام التلفاز لكن فكرها كان يسبحُ بعيداً, بعيداً لجلادها مراد, لابتسامته التي لا تريد التصديق بأنها اشتاقتها وبذاتِ الوقت تكرهها حد النفور! , لرائحة عطره الذي اجتاحت روحها من جديد. . . . ما يزال يضع ذات العطر الذي كبرت على استنشاقه. . بدا مُختلفاً جداً, شاحباً كسيراً! ! , خلعت تفكيرها مرغمةً عنه وتطلعت بساعتها التي تجاوزت الحادية عشرة بقليل ودلال لم تعد بعد! نهضت من مكانها لجانب النافذة العريضة وتناولت هاتفها الموضوع على المنضدة بجانب النافذة, كادت أن تتصل لكنها رأت سيارةً تدلف حديقتها حدقت أكثر باستغراب فلا أحد يزورها بالعادة!
خرجت تستطلع من يكون, توقفت السيارة وتقدمت اليسا منها حينما شاهدت دلال تترجل منها, اقتربت أكثر لتستطلع لكن السيارة كانت قد غادرت, وتقدمت منها دلال.

-لما تأخرتِ؟ قلقتُ عليكِ جداً.

-لم أنتبه على الساعة.

-ما الذي يريده والدك.

تطلعت فيها دلال بعدم فهم لتستكمل أليسا وهما تدلفان إلى الفيلا: ألم تقولي إنه يريدك.

-آه. . . نعم إنه, يبدو أنه سيتزوج

-يتزوج! ! تساءلت إإليسا باستغراب لتتأبط دلال ذراعها مجيبةً بابتسامة باهتة: نعم. . .

هزت رأسها باقتناع وتساءلت مجدداً بعدما غمزت لها بمكر: ومن أوصلكِ.

ضحكت دلال مجيبة: ابن الجيران.

-أهو جميل؟ تساءلت إليسا بابتسامة لتجيبها دلال بضحكة.

-جداً. . . . . جداً يااااه طولٌ بعرض. . . بارتفاع. .

-الله! ! سأشهد قصة حبٍّ إذن.

سحبت دلال يدها عن ساعد اليسا وقالت وهي تصعد درجات السلم, لا حبٌّ ولا سلطة باللبن . . .إنه متزوج, ليس ما يدور بخلدك, تصبحين على خير.

ودلفت إلى غرفتها هرباً من أسئلة أليسا المتلاحقة بينما اليسا كذلك دلفت إلى غرفتها وأغلقت الباب لترتمي على سريرها. . .
لن أفكر بك, اخرج من عقلي. . اخرج. . " نطقتها اليسا وهي تتقلب على السرير. . ثم تمتمت وهي تدفن رأسها بالوسادة: بالكاد شُفيتُ منك. . . لما اقتحمت حياتي مجدداً! لما عدت؟. !
ودلال. . تستند بجسدها على زجاج النافذة. . . شاردةً بألم, , بيأسٍ من أن يبادلها هشام هذا الشعور. . . بدلاً من أن تثير انتباهه قدمته ببساطةٍ لإليسا وعلي طبقٍ من ذهب! , مسحت دموعها التي ما تزال مصرةً على أن تروي وجنتيها, تشعر بالغيرة, بالحنق, بالغضب. . . وباليأس والضعف, لا تمتلك مقوماتٍ ك إليسا, الغنى, الجمال, من عائلةٍ مرموقة بمقابل فتاةٍ بسيطة الحال والدها سكير! تبسمت بتهكم على ما آل عليه حالها وخطت ناحية السرير لتندس فيه على أملِ أن تنام.

**********

بداخل الطابق الثاني من فيلا المنصور, رضخ كريم مرغماً لطلب عمه وعبير للبيات مع جمانة بها هذه الليلة لأن الصغير جواد نائمٌ بغرفة عسل. . . تقدمت منه جمانة قائلةً بعتاب:
لقد قسوتَ جداً بكلماتك الليلة" رمى قميصه بعنفٍ وهتف بها: عفواً. . . . أحزنتِ عليه, أوجع قلبك أليس كذلك"
حدقت به بصدمةٍ مجيبة: ما بك كريم, ما الذي جرى لك. . . إنه ابن عمك, صديق طفولتك, مخبأ أسرارك؟
-كان. . . . والزمن يغير كل شيء"
تطلعت فيه جمانة وهتفت به بحدة:
-لم أعد أعرفك يا كريم.! لقد تغيرت جداً منذ عودته وكأنك رجلٌ آخر" !
-ليته لم يعد ولو باستطاعتي لطردته من حياتنا جميعاً لننعم ببعض الهدوء " قالها بحقدٍ واضح وهو يجلس على السرير لتزداد صدمتها, لا يعقل أن يكون كرهه له تخطى الحد!
-أسفي عليك " نطقتها بلومٍ وخرجت من الغرفة.
بينما كريم ركل المنضدة بعنفٍ لتتساقط ومحتوياتها على الأرض ويتهشم ما عليها, تطلع ببقايا الزجاج المتناثر على الأرض. . . وكأنه يتطلع بشظايا روحه التي تخاف فقدان جمانة, دلف بعدها إلى الحمام ليأخذ حماماً

ساخناً عله يساعده على التخلص من التوتر بينما نزلت جمانة إلى حديقة الفيلا لترتمي على الأرجوحة الأريكة. . أنزلت إحدى قدميها لتهز الأرجوحة وهي تتطلع ناحية السماء وأخذت نفساً عميقاً تستنشق ريح النسيم المائل للبرودة. . . . لا تنكر أنها تعشق كريم, تحبه, تحب غيرته المجنونة, لكن ليس إلى هذا الحد! لا يعقل أن يحمل كل ذلك الحقد على ابن عمه لِذِكْرَيَات انقضى عليها أكثر من سبع سنوات! وضعت سماعة الأذن مشغلةً أغنيةً صاخبة وأغمضت عينيها بضيق وبذات اللحظة عبر مراد بسيارته البوابة الحديدية, ركنها وترجل منها دالفاً إلى الفيلا حتى لفت انتباهه ذلك الجسد الضئيل الذي يرتمي على الأرجوحة, تبسم بتلقائية وتوجه منها بخطى بطيئة, وقف قبالتها تماماً ونادى- :جمانة.
-جمانة "هزها برفق لتفتح عينيها فجأةً مرتعبة ليضحك على هيئتها. . . خلعت سماعات الأذن وهتفت به :هو ف ياه ! أرعبتني ما بك!
-آسف لكن ظننتكِ نائمةً هنا, الجو بارد ادخلي"
اعتدلت قائلة: سأدخل بعد قليل"

حسناً. . تصبحين على خير " قالها ومشى خطوتين لتقف متسائلة: أنت بخير, ءء أقصد اليوم, يعني. . . إليسا؟
استدار ناحيتها وضج قلبه حينها بطرقاتٍ عبثية وتبسم بتكشيرةٍ طفيفة: لن أكون بأفضل مما أنا عليه, لا تشغلي بالكِ بي"
ثم ابتعد مكملاً: تصبحين على خير"

*********
وسطعت شمس نهارٍ جديد لتنير أبصار سكان الأرض لكن. . . هل ستنير تلك الأشعة قلوبهم! كانت تجلس بالمكتب داخل المستشفى تراجع ملفات إحدى المرضى حينما دلفت إحدى الممرضات تقول لها:
-يستدعونك لمكتب المدير دكتورة نور اجتماعٌ طارئ"
-خيراً إن شاء الله. . حسناً قادمة"
قالتها بابتسامةٍ لطيفة ثم ألقت الملف ونهضت من خلف المكتب تحكم إغلاق معطفها الطبي, ودخلت إلى مكتب المدير حيث اجتمع الكادر الطبي, اتخذت مقعدها بينما تعالت تمتمات الأطباء من حولها حتى دلف أمير قائلاً بابتسامةٍ فتاكة وهو يرتدي معطفه الأبيض ويتركه مفتوحاً ومن

تحته قميصاً و بنطالاً أسودين:
-آسفٌ لجعلكم تنتظرون كان علي إنهاء بعض الأعمال"
سكت الجميع فجأةً يحدقون ببعضهم باستغراب من هذا الشاب الذي توقف وراء كرسيه وأمسك مقعده قائلاً بابتسامة:
-الدكتور أمير الرّيس, المديرُ الجديد لهذا المستشفى! !
حدقت به نور بصدمةٍ شديدة وبغيظ عندما ثبت نظراته عليها. . نظراتٍ كانت شديدة القتامة ولا تعلم لما دب الرعب بأوصالها من نظراته وكأنها تهديدٌ صريحٌ لها لكن تهديدٌ من أي نوع! , كانت على يمينه مباشرةً, أزاح الكرسي وجلس قائلاً بمهنية: سيتبقى النظام على ما هو عليه لكننا سنغير القليل بجدول المناوبات.
ظهر الامتعاض على وجه نور وأزاحت نظراتها عنه ليردف وهو ينهض ليوزع عليهم الجدول المبدئي يشرح لهم سير العمل, استلمت نور الورقة وقرأتها لتزم شفاهها بغضب ثم قالت بصوتٍ جاهدت لجعله متماسكاً, لكني لا أستطيع المناوبة ليلاً ليومين متتاليين أنا متزوجة.
-عفواً. . . دكتورة! ! اقترب منها أكثر مدّعياً أنه يقرأ الاسم المدون على بطاقتها المعلقة على صدرها وقال وهو يكتسح روحها بنظراته: - دكتورة. . نور, لستِ الوحيدة المتزوجة هنا على ما أظن! إن. . . جاءكِ مريضٌ بحالةٍ إسعافية ليلاً تقولين له عفواً أنا متزوجة لا أستطيع علاجك انتظر حتى الصباح!
-لم أقصد أن ءء" قاطعها قائلاً وهو يعتدل: مهما كان قصدك"
ثم قال مخاطباً الجميع: إن المريض لن يستطيع أن يلبس ثوب العافية بمجرد رغبته بذلك. . . لذلك من حقه علينا كأطباء أن نقدم له المساعدة اللازمة متى احتاجها, ومن الآن من لا يملك الشجاعة للتحمل والصبر بتقديس واجبه كطبيب. . . ومن لا يعي دوره كاملاً فليتفضل ليجلس بأحضان منزله الدافئ.
أطرقت نور رأسها للطاولة بغضبٍ وإحراج فهذا الوغدُ محقٌ بكلماته بدأت تهز رأسها بعصبية انتبه عليها ليقول: انتهينا لهذا اليوم ,وشكراً لأنكم منحتموني القليل من وقتكم الثمين"
نهض الجميع مغادرون فنادى عليها: دكتورة نور" تطلعت فيه وهي تعتصر قبضة يدها بغضب وتجاهد كيلا تفلتها على وجهه الثعلبي: لا ضغينة بيننا أليس كذلك؟
ثم اقترب منها أكثر بعدما انصرف الجميع قائلاً بعبث: على الأقل في الوقت الحالي"

رفعت رأسها ناحيته وقالت جازةً على أسنانها: ما مشكلتك معي؟
تبسم بهدوءٍ مستفز: - لا تستعجلي على رزقك.
أغمضت عينيها واستدارت عنه لتضرب الأرض ضرباً وهي تغادر ليراقبها وترتسمُ تكشيرةٌ مخيفةٌ على وجهه.
**********
حالةٌ من الهرج سادت بقسم الاسعاف حينما وصلت سيارات الإسعاف وهي تحمل مصابي حادث سير قبل أن ينظم الطاقم الطبي الحالات ويبدئون بعلاجها وتقديم العناية اللازمة للمرضى, انهمك هشام بإحدى المرضى كانت حالته حرجةٌ وزوجته رغم إصابتها تصرخ باكيةً بخوفٍ على زوجها من بعيد. . . .
صعدت إليسا بعد ساعةٍ للطابق الثاني فشاهدته يرتمي على أعلى السلم يسند ظهره على الحائط مغمضاً عينيه. . . . معطفه الأبيضُ ملطخٌ بالدماء واسفل السلم سكينٌ ملطخٌ بالدماء كذلك هرعت ناحيته بلهفةٍ هزته وهتفت بجزع :هشام! " فتح عينيه بتفاجئ لتتنهد اليسا وتضحك ببلاهة: أنت. . أنت بخير. .
تطلع فيها حتى استوعب ما يدور وتطلع لمعطفه الذي اغرورق بدماء إحدى المرضى ليبتسم بإنهاك على هيئتها المرتعبة! لا عليكِ أنا بخير"
-الدماء تغرقك!

-نفخ بضيق وأجاب بألم : كانت حالته حرجةٌ جداً ....مات, لم أستطع إنقاذه.

جلست مواجهةً له أعلى السلم وربتت على كفه : ليرحمه الله, أكيدةٌ بأنك حاولت جاهداً.

-الموتُ بشعٌ جداً يا إليسا....رغم أننا نقابله بشكلٍ شبه يومي, لا نستطيع أن نعتاد عليه!

أجابت: الموتُ لبعضهم راحةٌ يا هشام, ولحالة ذلك الرجل, أكيدةٌ بأن الموت كان له راحةٌ أكثر من أن يعيش بعاهةٍ دائمة"...

قلب كفه التي ما زالت إليسا تضع كفها عليه ليشابك أصابعه بأصابعها وقال بصوتٍ أجش :صراخُ زوجته حتى اللحظة يصمُ أذني... كانت تصرخ بألمٍ وقهر.

-لأنها فارقت رفيق الدرب.

أغمض عينيه وفتحهما قائلاً بخفوت:

-أنا.... أموت بكِ عشقاً, ومستعدٌ للموتِ لأجلك.... والبعدُ عنكِ كالموتِ تماماً"

حاولت سحب يدها بارتباكٍ من كلماته لكنه اقترب أكثر مكملاً ويتطلع بها بعينين منهكتين : حين تبتعدين عني...أشعر بأن روحي تنسحب عن جسدي ببطئٍ معذب, حتى لو لم يكتب لك أن تكوني من نصيبي... لكن لا تحرميني من وجودكِ بجانبي.

**********

## الفصل الثامن

ارتبكت من كلماته قائلةً بلعثمة يجب . .إن . .الإسعاف, سأذهب إليه" وأفلتت كفها بسرعةٍ عنه وهرولت تتقافز درجات السلم وبينما هو أرجع بظهره مجدداً مستنداً على الحائط يراقبها بعينيه تهرب كما العادة كالسندريلا من أميرها! لكن لسندريلا خاصته لا تريد أن تتجاوز مشهد ساعة منتصف الليل فهي في هروبٍ دائم! لمح دلال تتقدم عبر الرواق تحمل فنجان قهوتها تشرب منه فضج عقله المشوش وجسده المنهك يطلبها, تبسم وكأنه ظفر بالجائزة الكبرى وهب كالأسد عبر تلك الدرجات بثلاث قفزات حتى جمدت دلال برعبٍ حينما خرج أمامها كالجني منتشلاً

الكوب بخفةٍ من بين يديها قائلاً قبل أن يتجرع منه وكأنه لم يتذوق القهوة بحياته:
-دائماً ما تظهرين بالوقت المناسب دلالي, أعدي لنفسكِ كوباً آخر"
غمز لها بعينه ومشى يشربه باشتياق المغترب ليتوقف قلبها عن ضخ الدماء وما زالت أذنيها تعيدان كلمته(( دلالي. . . دلالي )) تبسمت ببلاهة وهي تجيبه: - بالهناء دكتور" هزت رأسها وقد استفاقت من حلمٍ جميل على دفعةٍ خفيفةٍ من إحدى الممرضات: ما بكِ تنحي قليلاً أحمل صندوقاً كبيراً! استدارت ناحية زميلتها وابتعدت عن الباب الذي تقف قبالته وأكملت طريقها. .
**********
رفع أمير ساقيه على المكتب يستريح بعد إجرائه عمليةٍ جراحيةٍ لأحد المرضى, يستعيد التوازن لروحه وجسده المنهك, على الرغم من غطرسته إلا أنه يقدس مهنته كطبيب, وبات يقدس هذه المهمة التي أُوكلت له من والده لأنها عرفته على صاحبة أجمل عيونٍ رآها بحياته, طرقت الباب مرتين ولم يجب لشروده, فتحته ودلفت إلى الداخل وتسمرت بمكانها وهي تراه مسترخياً بجلسته رأسه لأعلى مغمضاً عينيه وما يزال يسند قدميه فوق الطاولة, يبدو مسالماً جداً وهو يغلق عينيه, على عكس خبث نظراته ولونهما المربك! جلت حنجرتها لتصدر صوت حمحمةٍ خفيفة وتقدمت أكثر لتضع الملف على الطاولة, فتح ستار أهدابه عن بحر عينيه القاتمتين ليتطلع بها وقد شُتت تفكيره لوهلةٍ وهو لا يصدق كونها واقعاً أمامه وقد كان مغمضاً عينيه ليسترجع سحر عينيها, جسدها المتناغم, صوتها وهي تهدده. . . أنزل قدميه على الأرض كالمنوم مغناطيسياً فقالت بهدوء:
أحتاج توقيعك على هذا " رفع إحدى حاجبيه وتناول الورقة يقرأها ثم تطلع بها وهو يمزقها ويرميها على الأرض قائلاً: مع الرفض"
اعتصرت قبضتي يديها فقال مجدداً: أتريدين الهرب من الآن, ما زلنا في البداية"
ضيقت عينيها وهتفت به بتهديد: اسمعني يا هذا ومن كنت. . ابتعد عن طريقي أو تكلم بشكلٍ مباشر, ما مشكلتك معي؟!
نهض عن مقعده وتمشى ناحيتها: ومن أخبركِ بأن مشكلتي معك؟!
ثبتت نظراتها عليه: إذن مع من مشكلتك؟
طرق برؤوس أصابعه على الطاولة الخشبية مجيباً: أتعرفين دكتورة. . . أحياناً نكون بالمكان الخاطئ بالتوقيت الخاطئ مع الشخص الخاطئ. . . لكن هذه هي مفارقة القدر"

ركزت عينيها تحاول استشفاف ما يرمي إليه لتهز رأسها: لم أفهم, تكلم بوضوح"
تبسم قائلاً بلهجة الذئاب التي تبغضها: اذهبي لعملك, وتعلمي المواجهة بدلاً من الهروب!
لسعتها كلمته الآمرة التي تحتوي إغْوَاء من نوع غريب مرعب لتستدير بحنق مغادرة فقال مجدداً: بلغي تحياتي لآدم"
توقفت لبرهة ثم غادرت المكتب.

********
**

وقفت عسل أمام مدرستها تنتظر أن يشفق مراد أو آدم على حالها لإيصالها كما العادة بعدما هرب السائق الأخير من سلاطة لسانها, نفخت بحنقٍ وهي تتطلع على الساعة التي تجاوزت الواحدة وعشر دقائق بعد الظهر لتلمح أخيراً سيارة مراد تتوقف أمامها, أطلت برأسها لتأنيب أخيها على تأخيره لكنها تفاجأت بهذا الشاب الذي يجلس خلف المقود يخفي عينيه بنظارةٍ سوداء, مرتدياً كنزةً قطنية خضراء, شعرٌ أسودٌ كأشباح الليل, ناهيكَ عن عطره الذي غمر السيارة! أرجعت رأسها مجدداً إلى الخلف
وقد زمت شفاهها من الغيظ فها هو سائقٌ آخر ستضطر إلى لسعه بكلماتها.
. . أخرجت الهاتف واتصلت بمراد الذي أجابها على الفور: إذن وصل السائق.
-نعم أخي وصل"
قال مراد بهدوء: إن اشتكى منكِ لا تلوميني حينها, اتفقنا"
-لكن أخي! !
-هيا أغلقي لدي اجتماع "أغلق الخط من فوره لتقحم الهاتف مجدداً بحقيبتها بغيظ وتتوقف صائحةً بالشاب: أنتظر أن تنزل وتفتح لي الباب أيها المحترم"
طرق بأصابعه على المقود وكأنه يلحن مع الأغنية التي يستمع لها عبر سماعات الأذن:
-وأين يديكِ؟
ثم تطلع ناحيتها دون أن يزيح نظارته وقال بهدوءٍ ينافي براكين عينيها المتوقدة: مهمتي أن أوصلكِ فقط آنستي الصغيرة"
انفرجت عينيها بغضبٍ وحدقت به وهي تفتح الباب الخلفي وترمي الحقيبة وترتمي على المقعد بينما تطلع الشاب لها عبر المرآة وشغل السيارة

لينطلق"
عقدت يديها على صدرها طوال الطريق فها هو قد كسب ومن الجولة الأولى لاستفزازها, كان طوال الطريق مشغولاً يدندن مع الأغنية حتى وصلا ناحية الفيلا أوقف السيارة لتترجل منها وتغلق الباب بعنف وما كادت تمشي حتى قال بهدوءٍ مستفز:
-هذا الباب لا يصفق بتلك الطريقة يا صبية " شدت عسل بقبضتها على الحقيبة وتجاهلته لتدلف إلى الداخل بينما خلع فهد نظارته ورماها على تابلو السيارة: آه. . . لا أحب ارتداء النظارات" !
دلفت عسل كالإعصار لترمي الحقيبة على مدخل الصالة وتوجهت ناحية عبير وتقرص وجنتها بمشاكسة: ست عبير. . اشتقت لك جداً"
-أهلا حبيبتي, غيري ملابسك وتناولي غداءك"
أين جمانة؟ تساءلت وهي تصعد درجات السلم لتجيبها عبير: غادرا منذ الصباح"
طيب سامر عليها مَسَاءَا " قالتها وأكملت الصعود ناحية غرفتها واستبدلت ملابسها لأخرى مريحة وما تزال مغتاظةً من هذا السائق الجديد وتمتمت بسخط"
-وكم أنا مستفزة ,استفزني ذلك الأحمق ومن أول لحظة" ! !
**********
قاربت الساعة على أن تستقر على العاشرة مساءً عبر كريم بسيارته بوابة الفيلا وترجل عن سيارته ليتبسم حينما لمح جمانة تضع تلك العصبة على عينيها وهي تلاعب جواد وأصوات ضحكاتهما قد ملأت الحي كله! كانت ما تزال غاضبةً منه فهو حتى صباحاً لم يلقي عليها تحية الصباح ولم يتحادثا بما جرى ليلة البارحة, اقترب بهدوء منهما وقبل أن يصدع صوت الصغير إشهار له بالسكوت والابتعاد فانصاع جواد لوالده وهرول داخلاً إلى الفيلا وقد تعالت ضحكاته بينما ما زالت جمانة تنادي على الصغير الذي اختفت فجأةً ضحكاته, توقفت بمكانه ونادت بوجل: جواد! ولم يجب, كادت أن تفك العصبة عن عينيها وبلحظةٍ كانت مرميةً على كتف كريم! شهقت لِتُفَاجِئ لكنها سرعان ما قالت بغيظ بعدما ميزت رائحة عطره:
أنزلني كريم" !
تجاهلها وسار بها ناحية الحديقة الخلفية, خلعت العصبة بيديها لتضربه على كتفه بغيظ: أنزلني قلت لك ألم تسمع"
جلس على الأريكة الأرجوحة يتمسك بها وأمالها برفقٍ لتجلس وجلس بجانبها مبتسماً ابتسامةً بلهاء تزيد من غيظها, حاولت النهوض والتحرك

لكنه منعها عن ذلك وقال هامساً: ما تزالين غاضبةً مني إذن " أشاحت بوجهها عنه ليمسح بيده على شعرها بحنو وصولاً إلى ذقنها فأدار وجهها ناحيته وهمس بصدق: آسف, أخبرتك سابقاً, وسأخبرك مجدداً لا قدرة لي على تحمل وجوده بالقربِ منكِ"
زفرت بهدوء قبل أن تجيب :وأخبركَ مراد سابقاً أن كل شيٍّ انتهى بالنسبة إليه"
-ثماني سنوات تقريباً مرت يا جمانة، كلماته عنكِ حينما كان يأتيني ثملاً كل يوم. . وصفه لكِ. . لن أستطيع عدم التفكير بتلك الأشياء والكلمات التي كان يقولها"
احتضنت كفه بين كفيها وقالت بهدوء: أتعلم أنك بطريقة تفكيرك السلبية وبنبشك للماضي, قد تزيد الأمور سوءاً, أنا زوجتك الآن, ولدينا طفلٌ جميلٌ جداً. . . . والأهم من ذلك, أنا أحبك, ما الذي تريده أكثر. . . مجرد ذِكْرَيَات عن الماضي تبني عليها أوهاماً ستعذبنا كلينا. . .
-ونظراته تجاهك حتى اللحظة ماذا تسميها؟ لستُ أَحْمَق . . .أتفهمين؟ "
أشاحت بوجهها عنه فلا قدرة له على إقناعه فهو عنيدٌ جداً " أتعبتني كريم! حسناً حتى ولو كان يكن لي أية مشاعر إلى الآن لا أهتم ولن أهتم ولن يفعل هو شيئاً رجاء أرح أعصابك المشدودة وأرح أعصابي كذلك, لقد تعبت من طريقةِ تفكيرك السلبية على الدوام"
-سأحاول" قالها بابتسامةٍ عذبة لتتبسم بدورها بخجل عندما قبّل يدها معتذراً"
جفل الاثنين على صوت عسل المجنونة وهي تصيح باستنكار: استغفر الله. . . ما قلة التربية هذه! ! فعل فاضح في الطريق العام!
أفلتت جمانة نفسها فوراً ووقفت على الأرض بصدمة بينما عسل صدعت ضحكاتها العابثة لتهتف بها جمانة بغضب: فعل فاضح يا ابنة المجنونة! ! والله لأكسر عظامك أيتها الوقحة! !

وركضت خلف عسل التي هربت بدورها بينما صدعت ضحكات كريم ونهض ليدلف إلى الفيلا من البوابة الخلفية وهو يهتف: يا لهذه الفتاة! عائلة مجانين أقسم بالله!
قفزت جمانة على عسل لتطيحها على العشب ثبتتها وشرعت بدغدغتها لتتعالى ضحكات عسل. . لا رجاء كفي عن ذلك سيتوقف قلبي من الضحك! ! أفلتتها جمانة وقرصتها من أذنها لترفعها ولم تنتبه لمن يتطلع ناحيتهما بابتسامةٍ هادئة:

-كم مرةً أخبرتك أن تتأدبي يا بنت, عيب لم تعودي صغيرة على تلك التصرفات, وما الذي جاء بك إلى هنا بهذا الوقت بمفردك وتتلصصين كالسارق؟
-أنا أحضرتها " جمدت جمانة لثوان عندما تكلم مراد لترفع رأسها بهدوء وتنهض لترحب به بارتباك- :أءءأهلاً.
-أهلاً بكِ " أدار وجهه قائلاً: أين الأحمق. . ناديه.
-نعم؟ تساءلت بعدم فهم ليتبسم مراد قائلاً: زوجك الأحمق أريده.؟
-إنه. . . إنه بالداخل حضر لتوه, تفضل.
-أعرف أنه حضر لتوه. . . ناديه رجاء اتصلت به لكن هاتفه مقفل"
-حاضر سأستدعيه " نطقتها وانصرفت بينما مشت بجانبها عسل وهمست لها بخبث: لم أكن الوحيدة التي رأيت ما حصل بالمناسبة " لتبهت ملامح جمانة بإحراج وخجل شديدين وتضرب عسل على رقبتها فهذه الصغيرة ستصيبها بالجنون حتماً.
دلفت الفتاتان إلى الداخل بينما وقف مراد وحوله أوراق الشجرة التي تتلاعب بها نسمات الليل البارد لتتراقص، وشرد بالأرجوحة التي كانا يجلسان عليها منذ لحظات.....اتجهت عسل من فورها ناحية كريم الذي استبدل ملابسه وجلس على الاريكة بالصالة الرئيسية ,أطلقت صفيراً عالياً وجلست بجانبه وهي تقول بانبهارٍ مفتعل:

_الله أكبر...عضلاتك يزدادون انتفاخاً .. قلبي سيتوقف يا ابن عمي من حلاوتك ..اللهم لا حسيدة أخاف أن تفقع عضلات صدرك وساعديك إن نطقتُ حرفاً آخر"

تعالت ضحكات كريم وهو يحاوط كتف عسل بذراعه وينكش شعرها بقوة قائلاً : يا لهذا اللسان الذي سأقصه بالقريب العاجل, ومن أحضرك بها الوقت المتأخر أم أنكِ هنا من قبل !؟ "

قالت جمانة: مراد من أحضرها, وهو بالخارج بانتظارك" نظر لها بامتعاضٍ واضح وأرخى قبضته عن كتف عسل التي قالت بجدية :أنا طلبت منه أن أرافقه لأنكما هربتما صباحا دون أن أراكما, كرومي, أنت تعرف أني أحبك كمراد تماماً . .رجاء تصالحا اشتقت لجمعتنا سوياً دون مشاكل, أرجوك"
تبسمت ببراءةٍ مبالغٌ بها وهو ينفخ بعصبية وينهض قائلاً: إن شاء الله ,لا

تشغلي بالك أنتِ بمواضيعنا" مشى على مضض إلى الحديقة وتوقف أمام مراد الذي ألقى سيجاره وسحقه بحذائه الجلدي الأسود بينما راقبتهما جمانة وعسل من الشرفة بتوجس,
-ادخل: نطقها كريم ليهز مراد رأسه نافياً: أنت من سيخرج معي لنتحدث"
-فيمَ سنتحدث؟
-تعرف أنه يوجد الكثير لنتحدث به يا ابن العم, أنا بانتظارك بالسيارة " قالها وتوجه ناحية سيارته وجلس بداخلها فيما خطى كريم إلى الداخل لينتشل مفاتيحه وهاتفه وغادر لتراقبهما جمانة بتوتر. . .
داس على دواسة البنزين لينطلق بسيارته على الطريق الرئيسي بسرعةٍ وكريم يتطلع أمامه مباشرةً متحاشياً الحديث فيكفي تلك الأجواء المشحونة.
. قبض على المقود أكثر ومشاهدتهما سوياً بالحديقة منذ دقائق لم يفارق مخيلته أبداً زاد من سرعته أكثر وكأنه يهرب من ذكرياته معها ومرآها التي ما تزال تربكه ببقايا مشاعر وأدها تحت طبقاتٍ وطبقات من التجاهل, لكن من يتجاوز حادثة موت روحه!
تلاشت الأبنية من حولهما وصارت الأشجار تتسابق كومضاتٍ متسارعةٍ حولهما حتى دعس مراد فجأةً على الفرامل لتصدر سيارته صريراً عالياً قبل أن تتوقف كجثةٍ هامدة بهذا المكان المعزول! ترجل منها ومشى بضع خطوات على التراب وتوقف ليترجل كريم كذلك من السيارة ويسير تجاهه وقال ساخراً: يبدو أنك ستغتالني حتى اصطحبتني لهذا المكان,
احتقنت عينا مراد بغضبٍ مميت, بقهرٍ واضح استشفه كريم بسهولة, بل ويعرفه. . . لأنه يعرف ابن عمه, يعرف صديق طفولته وسكناته وحركاته, لكن كريم ولأجل جمانة مستعدٌّ بأن يسحق الجميع بمن فيهم مراد إن فكر بأن يفرقه عنها.
طالت نظراتهما المشتعلة قبل أن يخرج مراد مسدسه من حزام خاصرته ويمد يده بتلقائيةٍ ناحية كريم وهو يقول: الجميلُ ألأمنا نفكرُ بذاتِ الأسلوب, طلقة وينتهي كل عذابك يا ابن عمي. . . . وعذابي..

**********

## الفصل التاسع

تطلعت جمانة إلى الساعة التي تجاوزت الثانية عشرة بقليل، لا تعلم لما انتابها قلقٌ مفاجئ على كريم! جلست عسل بتململ على الأريكة حتى كادت أن تغفو وهي بانتظار مراد ,أخرجت جمانة الهاتف لتتصل لكنه لم يجبها كادت أن تحاول مرةً أخرى حتى سحبت عسل الهاتف من يدها وقالت بتأفف: دعينا منهما الآن دائماً ما يتشاجران ويتصالحان, أنا جائعة" تبسمت جمانة وقالت بنفاد صبر: تفضلي لنأكل وأنا أشعر بالجوع كذلك, كلما أتوتر أشعر بالجوع!

قهقهت عسل وتبعتها إلى المطبخ لتعد جمانة شطيرتين بينما شرعت الأخرى بعمل إبريق من الشاي . .

**********

تعانقت نظراتهما مطولاً قبل أن يجز كريم على أسنانه بغضب وكف مراد ما تزال مبسوطةً يتوضع عليها المسدس الذي قدمه له, ضرب كريم المسدس بيده ليسقط على الأرض وتقدم منه وتمسك بتلابيبه بغضبٍ وهو يصر على أسنانه صارخاً: ما الذي تحاول فعله أيها الغبي!
-أحاول أن أريحك وأريح نفسي. . . من اتهاماتك الغبية عن مشاعري لزوجتك, أحاول إراحة نفسي لأني وكلما حاولت وأد ماضيها وحبي لها, تقحمها بمخيلتي مجدداً, بتصرفاتك اللعينة وغبائك اللامتناهي"
كثير من الناس يعيشون طويلاً في الماضي، والماضي منصة للقفز لا أريكة للاسترخاء. . . . بينما كريم لم يتخلى عن الماضي. . نهشه حب مراد لجمانة ومشاعره التي وعلي الرغم من مرور تلك السنوات يبدو أنها لا تريد أن تنطفئ, أغمض كريم عينيه بقهرٍ تعاظم داخل صدره يتمنى لكمه وإردائه صريعاً هذه اللحظة, استدار عنه بحنق وجاهد نفسه لكن مراد دفع أكثر لاستفزازه وتقدم لقبالته ودفعه بعنفٍ وهو يصرخ:
-هيا اضرب. . . . اضربني اعرف أنك هذه اللحظة تتمنى فعلها. . . . لا تفكر بماضينا سوياً فقد محيناه مُنْذُ لحظة خيانتي يا صديق الطفولة, تمسّك بالآن، هُنا، حيث يغرق كل المستقبل في الماضي ,افعلها وسأصبح ماضياً, بعدما فقدتُ أنا ماضيي وحاضري فالمستقبل بين يديك أنت. . . .
تعالت وتيرة صراخه على كريم الذي جمد بمكانه كالصنم من لوعة كلمات ابن عمه. . . يرغب فعلاً بلكمه هذه اللحظة وهو يعرف جيداً أن ضرباته إذما أفلتها عليه سيرديه صريعاً حتماً والأحمق ما يزال يستفزه.
-لا تريد! أنا سأفعل " صرخ بها مراد بحدة وهجم على كريم بكل ما أوتي من قوة ليسقطا على الأرض بعنف تناثرت من حولهما الأتربة الجافة. . . .
تعالى زئيره وهو يلكم كريم ويصرخ بجنون تزامناً مع جنونِ الريح بهذا المكان القاحل:
_هذه لأنك طعنتني بظهري وتقربت منها بعدما بحت لك بمشاعري عنها"
أكال له لكمةً أخرى وصرخ مجدداً:

_وهذه لأنك سرقت حب حياتي وتزوجتها"
انهمرت دموعه مما جعل كريم يشفق عليه لأول مرةٍ بحياته رغم آلامه, لكمه مجدداً على معدته بعنفٍ وصرخ:
_وهذا لأني نسيتها. . . . نسيت حبها اللعين"
نهض من عليه يمسح دموعه وهو يلهث ليجاهد كريم ويقف على قدميه من ورائه فاستدار مراد ناحيته مجدداً وركله حانقاً:
_وهذه لأني أريد أن تعود علاقتي بك كما السابق"
ارتد كريم ليسقط على الأرض مجدداً بإنهاكٍ ودمعت عيناه هذه المرة بألمٍ وقهر فأغمضهما بقوةٍ بينما ارتمى كذلك مراد جالساً على الأرض, خيم الصمت عليهما لدقائق طويلة كان كريم فيها يفكر, يراجع حساباته مرةً وراء مرة, يراجع ذكريات صديق الطفولة والشباب, . . . من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل، ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي. . . . لذلك كان لا بد له أن يمسك زمام الأمور, هو الأقوى حالياً لذلك أطلق سبةً بذيئةً قبل أن ينهض بصعوبةٍ تجاه مراد ويتوقف قبالته, مد يده ناحيته ليساعده على النهوض فتطلع به مراد ومد يده ناحيته ليقف, تبسم كريم ابتسامةً أقرب لتكشيرة وبلحظةٍ كانت قبضة يده تخترق معدة مراد ليطلق صرخةً مدويةً بينما صرخ هو هذه المرة بجانب أذنه: لم أسرقها, هي اختارتني أنا. . . لو عرفتُ أن مشاعركما متبادلة لانسحبتُ من حياتها وتعرفُ أني لن أتردد في ذلك رغم صعوبة الأمر"
نازع مراد ليعب الهواء وقد شعر بألمٍ رهيبٍ بأمعائه وما يزال كريم يتمسك به ورغم ذلك جاهد ليرفع رأسه ركله كريم بعنفٍ مجدداً
وقال بهسيسٍ مختنق:
-وهذه لأني أريد كذلك أن تعود علاقتي بك كما السابق يا أخي"
ورغم آلامه الشديدة زرع ابتسامةً على وجهه قابلها كريم بكل صفاء ثم سحبه من على الأرض فاعتدل الأخير بوقفته ليتعانقا عناق أخوين فرقتهما الحياة وآلمهما حب

امرأةٍ واحدة...لكن جمعتهما روح الطفولة والذكريات التي لا يريد أحدٌ منهما أن تُمحى من ذاكرته.

**

*******

تجاوزت الساعة الرابعة بعد منتصف الليل وقد خارت قوى جمانة عن التحمل, لم تطق صبراً أكثر فاتصلت بآدم الذي هرع من فوره ملبياً نداء شقيقته التي ينهشها القلق, ربتت نور على كتفها لتطمئن لكن الأخرى كذلك بحالة قلقٍ علي مراد, يخاف الجميع من شجارٍ حتميّ بينهما. . . يقف آدم محتاراً وقلقاً وهو يعيد اتصالاته لكن هاتفي مراد وكريم خارج نطاق الخدمة. . . .

عبرت سيارة مراد بوابة الفيلا ليسمعها الجميع ويهرعون إلى الخارج, ترجل مراد وكريم من السيارة ثيابهما غير مهندمة وملطخةً بالتراب, ركضت جمانة بسرعةٍ لترتمي على صدر كريم وقد اغرورقت عينيها بالدموع بينما أغمض مراد عينيه عنهما بابتسامةٍ هادئة وتوجه ناحية نور وعسل وآدم بنظراتهم القلقة واستفهاماتهم عما حصل ولم تأخرا!

مسح كريم دموعها بيديه قائلاً وهو غارقٌ بعينيها السوداوين المحمرتين من البكاء: أنا بخير حبيبتي آسفٌ لأني أقلقتك؟

وكما قال له مراد قبل ساعات. . ((. تمسّك بالآن، هُنا، حيث يغرق كل المستقبل في الماضي (( . . . .وتمسك كريم بجمانة, بماضيه الرائع الذي قضاه برفقتها, بحاضره المبهج معها, بمستقبله الذي يريد منه أن يغرق بها وفيها ومعها. . . . ولأجلها فقط.

**********

حطت الساعة على التاسعة صباحاً حينما توجه مراد لتوقيع عقد عملٍ جديد لإنشاء تصميمٍ هندسيٍّ لفيلا أحد رجال الأعمال, بينما وصلت أليسا إلى المستشفى, وكعادة هشام الذي يكون قد سبقها بساعتين إلا أن صباحه لا يبدأ إلا برؤيتها فقط. . . تبسمت له ملقيةً تحية الصباح برفقة دلال, وشرعت متجهةً إلى عملها عندما رن هاتفها برقم شقيقها فأجابت على الفور ليتزلزل كيانها وتصرخ بهستيريا: مستحيل. . .

مستحيل! ! هرع ناحيتها هشام بقلق بينما تلقفت دلال الهاتف الذي وقع على الأرض وتحدثت به لازم شفاهها بألمٍ وشفقة وهي تجيب: -عظم الله أجركم, ليرحمهما الله, لا تقلق سيدي نحن برفقتها"

عاونها لتجلس بمكتبه بينما كانت ذاهلةً تحدق باللاشيء أمامها. . . جمدت عبراتها كما جمدت نظراتها بالحائط أمامها وهي تعيد كلمات شقيقها(( توفيا بحادث سيارة ليلة الأمس. . . . )) مالت برأسها على كتف هشام دون أن تتحدث ودون أن ينطق هو بكلمة كذلك, مهما تكلم وواساها لن يستطيع إطفاء حزن فقدانها والديها سوياً, لربما بقيا ساعةً كاملةً هي تذرف الدموع بصمت وهو بكل حبٍّ يتقبل دموعها لتروي كتفه. .

-هيا إلى المنزل اليسا" نطقها أخيراً لتتنبه أليسا أنه بجانبها, رفعت رأسها عن كتفه الذي أصابه الخدر لطول المدة التي اتكأت برأسها عليه وتطلعت به بعينين منكسرتين, كقطةٍ جائعةٍ للأمان, فقدت أمانها فجأةً, على الرغم من أنها عاشت وحيدةً أغلب شهور السنة, لكن تفكيرها بأنهما فارقاها للأبد جعلتها كسيرة القوة. . . . ومن قال بأنها قوية, هي ضعيفةٌ جداً, ضعيفةٌ وخائفة من كل شيء بهذه الحياة, رفعها بخفةٍ من خاصرتها لتسير بجانبه خطواتٍ بطيئة بينما اضطرت دلال لتبقى بالمستشفى لحين أن يوصل هشام أليسا إلى المنزل,

قاربت الساعة على الثانية عشرة ظهراً, دلفا بهدوءٍ بعد أن أخذ المفاتيح من حقيبتها وفتح الباب, ساعدها لتجلس على الأريكة وتوقف حائراً لا يدري هل عليه أن يجلس بجوارها أم يخرج, ضيق عينيه وهو ينظر ناحيتها بألمٍ ينهش روحه أطلق زفيراً ثم مال ناحيتها هامساً: -هل. . هل من أقارب لكِ أتصل بهم؟

تطلعت فيه وكأنه بوادٍ آخر عنها. . . . . بات صوتُ هشام بعيدٌ جداً عنها, بعيدٌ لدرجة أنها لم تفقه من كلماته حرفاً, هو يتحدث فقط يحرك شفاهه لكن دون صوت! كف عن سؤالها بعد أن لاحظ أنها لا تستجيب نظر إلى ساعته وتناول هاتفها من حقيبتها وبحث بين الأرقام لكنها لا تحتوي على اسم أحدٍ من عائلتها! زفر بحنقٍ عندما تراقص أمام عينيه اسم نور المنصور. . . إنها شقيقة زوجها السابق! هل يتصل بها؟ احتار بأمره لكنها الخيار الوحيد حالياً نهض من مكانه وتوجه إلى الخارج ليتصل ب نور التي أجابت على الفور ظناً منها أن أليسا من تتحدث, جمدت من كلمات هشام وهرعت من فورها ناحية فيلا أليسا بعد أن أملاها هشام الموقع"

عاد إلى الداخل ليجد أن أليسا قد تمددت على الأريكة بوضعية الجنين مغلقةً عينيها, صعد ناحية إحدى الغرف ليحضر لحافاً انحنى ناحيتها وقام بتغطيتها. . . أحست لتفتح عينيها المحمرتين وكأنها تناجيه أن يبقى بجوارها, شعرت بأنه يريد الهرب. . . كان يقاوم محارباً ضربات صدره بأن يأخذها بين ذراعيه ليمدها بالقوة والصلابة, لكنه يعرف بأن هذا لا يجوز. . . . لا يصح له بأن يفعلها, مسح على شعرها برفقٍ وهمس: أنا هنا, سأبقى بجانبك اتفقنا, نامي الآن"

وكأن كلماته مع ابتسامته المطمئنة جعلها تطمئن لتسدل أهدابها المرهقة لتغفو مجدداً هرباً من قسوة الواقع ومرارته, تراجع هشام إلى الوراء وجلس على الأريكة محدقاً فيها بعدما شغل القرآن الكريم عله يبث السكينة

لنفسها, والرحمة لوالديها المتوفيان . . . دلفت نور بقلقٍ من بوابة المنزل بعدما شاهدته مفتوحاً وهشام يجلس على الأريكة المقابلة لإليسا, توقف مكانه لتتقدم نور ناحيتها بحزنٍ جلي, تبادلا بضع كلماتٍ ليترك بعدها اليسا مرغماً مع نور ويغادر لأنه حالياً الطبيبُ الرئيسي بقسمِ الطوارئ وتواده ضروريٌّ جداً,

كان المساء قد حل لتعود دلال إلى الفيلا مسرعةً بينما نور كانت قد ظلت طوال تلك الفترة برفقة أليسا بعدما أعلمت آدم بما جرى وبأنها ستتأخر, جلست دلال برفقة نور وأليسا التي ما تزال نظراتها الكسيرة تتناوب بينهما, إنهما غريبتان عنها, لن تشعرا بما تعانيه أبداً, ترى نظراتهما الشفقة تجاهها فتزداد ألماً, ربتت دلال على كتف نور وقالت بهدوء: بإمكانك الرحيل إن رغبتِ أنا برفقتها ولن أتركها " تطلعت نور إلى ساعتها التي قاربت على التاسعة مساءً لتهز رأسها موافقةً على مضض ثم ربتت على كتف اليسا وعانقتها مواسية: سأمر عليكِ صباحاً " أومأت لها أليسا بصمتٍ لتغادر نور وتبقى دلال برفقتها وهشام يتصل كل ساعةٍ للاطمئنان عنها ولا يستطيع المجيء لأن الوقت متأخرٌ والفتاتان بمفردهما" أطلت الشمس أخيراً لتفك القيد عن حرية تحركاته ليتجهز هشام منطلقاً ناحية حبيبة الروح التي لم يمل الليل وهو يحادثها حتى ولو لم تجبه أو أجابته بمجرد همهمات, حتى تأكد من أنها غفت ليلاً, وصل صباحاً ليرى الفتيات مجتمعاتٍ حولها, دلال, عسل, نور, جمانة, عبير والتي عرف بأنها والدة مراد. . . للحظةٍ ارتعدت أوصاله وهو يرى أنها فعلاً بكنف عائلةٍ محبة, شعر بالخوف على الرغم من شعوره بالأمان لتواجدهم حولها, دلف كذلك آدم وكريم ليتكفلا بإجراءات العزاء اللازمة, الجميع يتحدث, يتحرك, يساندها. . حتى قرر كريم وآدم المغادرة لأعمالهما, ربت آدم على كتف هشام قائلاً بهدوء: الفتيات سيختتمن بها لا تقلق دكتور" تطلع به هشام وأومئ للجميع بامتنان لينطلق إلى عمله برفقة دلال التي أصرت كذلك عبير على ذهابها.

-ماما عبير" نطقتها أليسا وهي تسند رأسها على حجر عبير ثم أردفت: شكراً لحضورك"

قبلتها عبير بعطف وأجابت: بهية يرحمها الله كانت صديقتي المقربة, وأنتِ يا أليسا معزتك ومكانتك بقلبي ك مكانة نور وعسل, لعن الله الشيطان الذي تدخل بينك وبين مءء" قاطعتها أليسا برجاء: لا تذكريه أمامي, لا تخبروه رجاء لا أريد رؤيته"

أشفقت عبير عليها وربتت على كتفها وقد رضخت لمطلبها. . .

**********

يجلس بإحدى الملاهي الليلية وهو يقبض على كأس المشروب بين يديه يتطلع بتلك الراقصة التي يهتز جسدها بجنونٍ متزامنةً مع الموسيقى المجنونة التي تتواثب في المكان, منتظراً مراد الذي واعدة بهذا المكان, استند برأسه على كفه يلعب بفوهة الكأس حتى ألقى مراد السلام عليه, نهض وصافحه بابتسامةٍ واثقةٍ

-مراد بك. . . شرفٌ لي قبولك دعوتي المتواضعة.

تبسم مراد بلباقةٍ مجيباً: مع أني حالياً أحاول جاهداً الابتعاد عن هذه الأماكن, لكن لم أشئ رفض دعوتك سيد عماد"

جلس الرجلان يتبادلان الأحاديث ومن بينها أفكار عماد عن فيلا أحلامه التي أراد من مراد خصيصاً تصميمها:

-أريدك أن تعتبر أن تلك الفيلا هي ملكٌ لك. . . أبدع في تصميمها رجاء أريدها ذات تصميمٍ فريد وأخبرتك سابقاً أن الميزانية مفتوحة"

نطقها الرجل بجدية ليجيبه مراد برزانة: بغض النظر عن الميزانية أنا كل مشروعٍ أصممه أعتبره لي, لا تقلق, ستحصل على منزل أحلامك"

-لهذا اخترتك أنتَ لتصميمه, أنتَ عبقريٌّ يا رجل"

تطلع مراد على ساعته التي تجاوزت الواحدة ليلاً ونهض قائلاً بهدوء: والآن أستأذنك عماد بك عندي عملٌ غداً صباحاً والمكان هنا أصابني بالصداع, بإمكانك المرور على المكتب لتوقيع الأوراق ولنباشر العمل"

أومئ له بابتسامةٍ واثقة ليغادر مراد الملهى بينما رفع عماد الكأس وتجرعه بالكامل قبل أن يضع الكأس على الطاولة محدثاً دوياً لم يصل لأحدٍ من الحاضرين بهذا المكان الشيطاني حتماً

**********

## الفصل العاشر

تمطت عسل قليلاً أمام بوابة مدرستها قبل أن تتجه على مضض ناحية فهد الذي يتكئ على سيارة رضوان بانتظار أن يوصلها إلى المنزل, يضع نظارته الشمسية ويقف تحت أشعة الشمس التي تلتهب فوق

رأسه ,أنزل قدمه حينما تقدمت وتوقف راسماً ابتسامةً عريضة تظهر غمازتيه الغائرتين قائلاً وقد أيقن بأنها لن تتكلم: صباحُ العسل"
توقفت أمامه ببلاهة قبل أن تهتف بغضب: أتغازلني يا محترم ومن ثاني يومٍ فقط لعملك عندنا! واللهِ لأشكوك لأخي" أخرجت الهاتف لتتصل لكنه سحبه من بين يديها بخفة مجيباً: لا بد وأنك فهمتني بالخطأ. . . آنسة عسل" أقصد صباح الخير . . . .آنسة عسل, سقطت كلمتان سهواً"
-وأل التعريف التي بدأتها على اسمي؟
قطبت حاجبيها تتساءل بحنق لترتسم ابتسامةٌ هادئة على شفاهه مجيباً :آل التعريف جاءت من حيثُ لا أدري. . . تحدث مثل هذه الأمور أحيانا"
نفخت بعصبية وفتحت باب السيارة ورمت الحقيبة لتجلس بعدها على المقعد الأمامي وهي تهتف به: انطلق وكف عن الثرثرة"
أدى لها تحيةً مرحةً بيده واستقل مقعده مشغلاً السيارة فرفعت صوت المسجل على أغنيةٍ صاخبةٍ ذات إيقاعٍ تدندن معها متجاهلةً فهد الذي يدرس حركاتها جيداً, مد يده بتلقائيةٍ وأطفئ المسجل وبدل الموسيقى لأخرى هادئةً لتقطب حاجبيها: من سمح لك بتبديلها؟
رفع كتفيه قائلاً ببرود: الموسيقى هي التجسيد الملموس للجمال المسموع يا عسل، ودونها سيغدو الإنسان كائناً، جافاً، مُتصحراً، خاوياً، عيناً دون دمعها، وجسداً دون روحه. . . أنتِ بهذا الوقت وبعد ساعات دوام تحتاجين ما يهدئ روحك, تحتاجين ما يسمو بك نحو السكون والراحة لأعصابك لا ما يزيد توترها"
فتحت فاهها بغباء بنتٍ في الخمسة عشر عاماً يحدثونها عن المفاعل النووي! ابتسم لها ابتسامةً غارت على أثرها غمازتيه وأردف بهدوء. . الموسيقى الصاخبة لها وقتها صدقيني. . .
زمت شفاهها وقد أغراها حديثه حقاً عن الموسيقى وبعد محاولاتٍ جاهدةٍ من المقاومة استدارت مجدداً ناحيته وسألت: ومتى وقتها يا ترى؟
خلع نظارته بعدما دلفت السيارة بداخلِ نفقٍ بعد أن سلك طريقاً أطول ليكسب زيادةً في الوقت, وأجاب دون أن يتطلع ناحيتها: عندما تشعرين بالتوتر مثلاً. . . بالغضب, عندما تشعرين بأنك تريدين تفريغ شحنةٍ سلبية ضعي أغنية صاخبة. . . سيتناغم جسدك معها, سيفرغ غضبك من خلال الحركات اللاإرادية التي تقومين بها, كالطرق بأصابعك, هز قدميك وأنت جالسة, لربما الرقص كذلك. . .
تطلع فيها يحاول استشفاف تأثير كلماته فكانت نظرة الغباء ما تزال تطل

من حدقتيها البنيتان: فهمتِ"
تساءل بابتسامةٍ هادئة لتتنبه على شرودها بعينيه السوداوين الرائعتين وتقول باندفاع: طبعاً. . . . فهمت هل تظنني غبية؟
هز رأسه نافياً وأجاب :لستِ غبيةً حتماً"
-حسناً إذن أنا الآن كما أخبرتني. . . متوترة وأحتاج لموسيقى صاخبة"
لاحت ابتسامةٌ هادئةٌ على محياه قائلاً: أنت الآن مرهقة, وهنالك فرقٌ كبير بين الإرهاقِ والتوتر والغضب ,فرقي بين المشاعر التي تنتابكِ لتستطيعي اختيار الأغنية التي تناسب حالتكِ المزاجية"
ضحكت باستهزاء متسائلة: أنت سائقٌ أم خبير صوتيات؟
-لستُ خبير صوتيات, أتكلم عن تجربتي الشخصية, اسمعي الآن. . . لنجرب هذه التجربة ما رأيك؟
-وما هي؟ تساءلت بعدم فهمٍ ليعرج نحو شارعٍ جانبي حيث خفتت ضوضاء السيارات حتى صارت شبه معدومة. . . أوقف السيارة وقال بهدوء: الآن أغمضي عينيكِ وأرجعي رأسكِ للوراء واستمعي إلى هذه المعزوفة اتفقنا"
-ما هذا الغباء؟ قالتها ضاحكة ليجيب بذات الابتسامة: ألم نتفق أن تجربي "
-حسناً حسناً. . . لكن بعدها ستتجه فوراً إلى المنزل كيلا أتأخر"
-اتفقنا لن أؤخرك" قالها لتغلق عسل عينيها وترجع برأسها إلى الوراء تستند به على المقعد ليشغل لها الموسيقى. . . كانت تبتسم بسخريةٍ فلم تأخذها على محمل الجد ليتأملها مقاوماً ضحكاته ثم أطفئ الموسيقى فوراً لتفتح عيناً من عينيها وتقول ساخرة: هل انتهت التجربة الخارقة, ومن هذا؟ تعالت ضحكاته وهز رأسه نافياً: لا طبعاً لن تنتهي حتى تأخذيها على محمل الجد وتكفي عن الابتسام كالخرقاء وثانياً إنها موسيقى ضوء القمر لبيتهوفن"

- آه بيتهوفن. . تشرفنا, حسناً لا تتجاوز حدودك فلستُ خرقاء" ,
-حاضر لن أتجاوز حدودي, هيا أغمضي عينيكِ مجدداً وكفي عن الابتسام"
أومأت له وأعادت الكرة مجدداً هذه المرة تقاوم ابتسامتها حتى استطاعت فعلاً الاسترخاء والاندماج بالموسيقى وبعد خمس دقائق أوقفها. . .
استغرقت القليل من الوقت حتى تفتح عينيها مجدداً بابتسامةٍ بلهاء على محياها, هز رأسه متسائلاً :هواه بما تشعرين الآن؟" .

_أشعر بالسخافة! انطلق بحق الله ما هذا الهبل! " عض شفاهه بحنقٍ بينما تعالت ضحكات عسل العابثة وهي تعيد تشغيل موسيقاها الصاخبة تستمع لها ليشغل السيارة وينطلق مكملاً طريقه. . مع أنها فعلاً شعرت بالاسترخاء والسكون.

**********

اعتاد على زيارتها منذ عدة أيام بعد انتهاء دوامه كل يومٍ منذ وفاة والديها, جلس على الأريكة المقابلة لتستقبله بفستانها البيتي الأسود الطويل ذو القبة الخانقة, وشعرها المتماوج الذي يميل للاحمرار, توقف بلا إرادةٍ منه يحدق بهذه الزهرة الذابلة ومع ذلك بدت كالقمر بالنسبة له, وضعت جمانة فنجان القهوة أمامه تحدق فيها فبدت اليسا كمن يأخذ حفنةً من الملح ويسكبها فوق جراحه لتزيد من آلامها الصامتة وهي منفصلةً عن الواقع.

كيف حالكِ اليوم؟ تساءل بابتسامةٍ هادئةٍ لتهز رأسها مجيبة: الحمد لله"

-ما رأيكِ أن نتمشى بالحديقة قليلاً, الجو رائعٌ الليلة"

-لا أريد"

حك هشام ذقنه بينما هزت جمانة رأسها بيأس فغمز لها بعينيه بأنه سيقنعها حتماً ثم حادث أليسا مجدداً: عليكِ الخروج ومعاودة العمل بالمستشفى لتتجاوزي محنتك, لن تنسي إذما بقيتِ تعتكفين بالمنزل.

-أتريد مني أن أنسى أهلي؟ هتفت بها بحنقٍ لينهض ويجلس بجانبها قائلاً بعتاب: لم أقصد بأن تنسي أهلكِ طبعاً, لكن هذه مشيئة الله, وواجبكِ كطبيبة يجعلك مجبرةً على مزاولة مهنتك حتى رغم آلامك.

أعقبت جمانة بعدما تطلعت على جواد الذي يلعب بالصالة. . .: نعم يا اليسا الدكتور هشام على حق عليكِ العودة لعملك أو على الأقل اخرجي لحديقة منزلك لتشتمي هواء نقياً الجلوس بالمنزل سيزيد آلامك"

حدقت اليسا بجمود ناحية جمانة التي اعتادت بشكلٍ شبه يومي أن تزورها بل وتمكث معها طيلة الفترة الصباحية حتى تصل دلال مساءً. . .

**********

ولمَ لم تخبريني قبل الآن! ! انتفض مراد صارخاً بحدة على نور وأردف بغضب: لو لم أعرف بالصدفة من الإنترنت بعدما استطعت تصفحه لم يكن ليخبرني أحد! !

أخي. . أهدأ كنت منشغلاً جداً بالفترةِ الماضية. . .., و. . والله لا دخل لي كانت أيضاً لا. . لا أعرف يبدو أنها لا تريد رؤيتك!

-لا تريد رؤيتي! !

-لا تريد رؤيتي! ! ! ارتفع صوته بحدة وقذف بفنجان القهوة المتموضع على المنضدة بجواره ورد بحنق: طبعاً. . . أكيد ما أنا مراد الوغد عديم الشرف والذي أحال حياة الجميع لجحيم"
-أخي لا تتكلم بهذه الطريقة! !
مسح وجهه بيديه وغادر حانقاً بينما تناديه نور وعسل لتهدئته لكنه لم يستجب وغادر وهو يتمتم بغضب: الكل يعرف وأنا كالعادة خارج حساباتكم بكل شَيّ. . .
انطلق بسيارته بسرعةٍ ليتهادى بعض دقائق على أعتاب المستشفى بعدما توجه للفيلا القديمة التي يعرفها لكنه تفاجئ بأنهم قد انتقلوا منذ زمنٍ منها. . . توقف بسيارته مغمضاً عينيه يحاول تهدئة أعصابه التي تَلِفَتْ ,فتح زر قميصه ليدلك رقبته وقد شعر باختناقٍ شديد, فدفع الباب ليخرج وهو يتنفس بصعوبةٍ وقد اشتعلت النيران بصدره, كان يريد تحطيم كل ما حوله ,كُلّ شَيّ تمنى أن يحطمه هذه اللحظة وهو يستند بيديه على سيارته تتعاظم آلام صدغه ولم يستفق من غضبه إلا على صوتٍ أنثويٍ يناديه: هل أنتَ بخيرٍ سيدي؟
رفع رأسه بهدوء وتطلع ناحية الجهة اليمنى ليفاجئ الاثنان: سيد مراد! . . . أنتَ بخير؟
ضيق عينيه يحاول تذكر ملامح هذه الشابة المحجبة حتى تبسم بتكلف: آنسة دلال! , أنا بخير لا تشغلي بالك"
-اسمح لي. . . لا تبدو بخير
أخذ نفساً عميقاً واعتدل بوقفته أكثر رافضاً دعوتها لكنها قالت بهدوء: لو سمحت سيدي وجهك محتقنٌ جداً, دعني أقيس لك الضغط على الأقل.
-لا. . . لكن. . سآخذ كأس ماءٍ فقط " ومشى معها ليدلفا استراحة المستشفى وارتمى على الكرسي بينما توجهت دلال من فورها وعادت بعد لحظاتٍ تمسك بيدها جهاز قياس الضغط ليزفر بضيق: أخبرتك أني بخير مجردُ صداع وسيزول"
-رجاء سيدي" تطلعت فيه بابتسامةٍ مطمئنة لينصاع لها ويشمر عن كم قميصه لتقوم بقياس ضغطه ثم تقول بعتاب: أرأيت ضغطك مرتفع قليلاً" أرخى كم قميصه مجدداً وحاول تغيير دفة الحديث :تناوبين الليلة هنا؟
-لا, لكن لظروفٍ خاصة اضطررتُ التأخر قليلاً " صمتت قليلاً ثم تابعت بتردد:
-أنتَ . . .آسفة عَلَى تطفلي. . . لكن جئت لهنا هل تحتاج إلى شيءٍ ما؟
هز رأسه نافياً وأجابها: لا تشغلي بالك " وطال صمتهما هذه المرة لتقطعه

بعد فترة: رافقني لأعطيك دَوَاءَا قبل أن أغادر"
-صدقيني لا دَاع لذلك"
اقتربت منها إحدى الممرضات قائلةً بامتعاض: اسمعي واليوم كذلك لن يجيء عم عيسى لإيصالنا" تجهم وجه دلال وزفرت بحنق: حسناً سنجمع بعضنا كالبارحة ونستقل إحدى سيارات الأجرة وأمرنا لله" لتوافقها صديقتها وتذهب لإخبار البقية
نهض مراد لتنهض بدورها: أنا مصرة. . . كإصرارك ذلك اليوم حينما أوصلتني عندما كنت متعبة, دعني أرد لك الدين على الأقل"
تبسم هذه المرة من قلبه وأومئ لها مجيباً: لكن على شرط أن أوصلك مرةً أخرى اليوم فكما سمعت أن عم عيسى لن يوصلكن"
تعالت ضحكات دلال: عم عيسى دائماً مريض. . . ليكن الله في عونه وعوننا"
وفعلاً ما هي إلا دقائق حتى كانت دلال تستقل السيارة مجدداً برفقته ليقوم مراد بإيصالها مرةً أخرى. . .
*********
أومأت لهن أليسا بطاعة لتخرج إلى الحديقة عل الهواء العليل يزيل عنها القليل من الحزن الذي استعمر فؤادها وجلست على الكرسي بينما استأذن هشام للذهاب إلى الحمام وقد انشغلت جمانة بجواد لتجلبه فقد تأخر وحان وقت رحيلها, لمحت إليسا سيارةً تقترب حتى توقفت بساحة الفيلا. .
استدارت ونهضت عن كرسيها ليترجل مراد ودلال من السيارة بذات اللحظة التي تطلعت فيها بصدمةٍ زلزلت كيانهما معاً . .اجتاحتها مشاعرٌ متضاربةٌ لا تعرف كنهها, هبت مشاعرٌ محملةٌ بعبق الذكريات الغابرة.... بعبق الألم والحنين الموجع لرجلٍ اغتال مشاعرها, ودهسها بعنف مراتٍ ومرات... والغريب أنه دهسها كذلك هذه اللحظة ودلال برفقته, واختفت ابتسامةُ مراد حينما ظهرت أليسا أمامه, أكانت كفينوس أو هكذا تراءى له ! توقف صوته وهو يحادث دلال التي تشكرته, اختنقت الحروف بحنجرته ولم تخرج وهو يرى ذبولها بهذا الشكل توقف قلبه عن النبض, توقف الزمن به وهو يتطلع بها, بثوبها البيتي الأسود الذي يسترسل على طول جسدها الممشوق لشعرها الذي يتهادى على كتفيها

استدارت دلال بتلقائيةٍ ناحية إليسا التي احتقن وجهها...لتنفرج عينيها بصدمة والآن فقط لربطت بين اسم مراد زوج اليسا السابق وهذا

الرجل...بل وتذكرت أنه ذاته من تشاجرت معه منذُ عام حينما سألها عن إليسا, تمتمت بسخطٍ تكلم نفسها : يا لغبائي, كيف لم أتذكره!

ووسط فوضى المشاعر المتضاربة تقدم مراد ناحية اليسا بخطى بطيئة...يسير ويسير لكن قدماه لم تقودانه إليها رغم المسافة القصيرة التي تفصله عنها, نقلت دلال عينيها بينهما " سلخت اليسا نظراتها القاتلة عنه, تشكرته دلال وهربت لتتركهما بمفردهما, استدارت اليسا لتلحق بدلال لكن يده سارعت بالتقاط ساعدها وشفاهه تقول: رجاءاً....إليسا.

استدارت وتطلعت بضيق ناحية كفه التي تقبض على ساعدها فأنزلها فوراً, قال بلهفة : لم أعرف أنكِ تقطنين هنا" ثم أردف:

-ليرحمهما الله, علمت اليوم فقط بالحادثة , ذهبت لمنزلكم القديم وعلمت بأنكم انتقلتم.

اقترب منها أكثر باللحظة التي خرج فيها هشام ليرى مراد أمامها ويشعر بلطمةٍ قويةٍ على صدره.... قال مراد بعد صمتها المطبق:

-أعرف أن الوقت ليس ملائمٌ لكن....هل لنا أن نتحدث

-لا شيء نتحدث فيه مراد بك.

-بلى إليسا يوجد" .....

-لا أعلم ما يدور بخلدك, لكن....صدقني, بالنسبة لي انتهى كل شيء"

تقدمت جمانة لتنضم لهشام الذي يراقب حديثهما أعلى الدرجات القليلة ولا قدرة له على الاقتراب, لتهمس بتفاجئ بجانبه : مراد هنا!

كان الصغير أن يهرع ناحيته لكن جمانة حملت جواد وقالت بهدوء : ليس الآن عزيزي...

لم أستطع أن أكون بجانبك حتى بهذا الوضع. . . آسف " قالها مراد فأشاحت بنظراتها بعيداً تكافح لخنق دموعٍ تتسابق للتمرد والتساقط تقدم منها أكثر قائلاً برصانة: لا أريد منكِ أن تتقبليني بحياتكِ مجدداً إن لم ترغبي لكن. . . أود فعلاً أن أكون بجانبكِ هذه اللحظة, على الأقل حتى

تتجاوزي محنتك"
لكنها تبسمت بقوةٍ استهجنها فعلاً تهدج صوتها مجيبة: سأتجاوز هذه المحنة بكَ أوبدونك"
شد فكه متنفساً بعمق قبل أن ينطق: لا أريد منكِ شيئاً. . . سوى أن تسامحيني, أنا آسف. . . .
قاطعته وأجابت وهي تحدق بعينيه بقوة:
-وأنا آسفة. . . آسفةٌ على سنواتِ عمري التي ضاعت هباء برفقتك, آسفةٌ على مشاعر تذوقتها لأول مرة بحياتي. . . . ظننتها ستستمر أبد الدهر مع أولِ حبٍّ بحياتي. . . لا ليس أول حب, بل من تبرعمت مشاعر الحب على يديه, لكنه أثبت لي أن الحب كذبة وأن الخيانة هي من أصل البشر!
وهربت من أمامه لتجتاز هشام الذي تَتَسَمَّر أمام الباب, رفع مراد نظراته ليتلقى الصفعة العاشرة لهذا اليوم. . . . جمانة هنا, وهشام أَيْضًا . . .دلف هشام وراء إليسا وكأنه من أهل المنزل, أطلق بسمةً بروحٍ ميتة ناحيتهم. . . وكأن الثلاثة يقيمون حفل تأبينٍ لروحه وهم يدورون حولَ جثمانه! حتى جواد الصغير الذي ركض ناحيته متمسكاً بساقه لم يستطع أن يلتفت ناحيته كما العادة!
أغلقت اليسا باب غرفتها واستندت عليه مغمضةً عينيها بقهر تكافح لتتنفس وهشام توقف أسفل السلم يتطلع لأعلى بينما تراقبه دلال من الصالة بغيرةٍ تنهش روحها. . . مراد تحاشى جمانة التي تتطلع ناحيته بشفقة وابتلع الغصة المستوطنة بأعماق روحه وغادر. . . . . الانكسار قد تضخم ليشمل الجميع هذه اللحظة, انكسرت أرواحهم وتناثرت شظاياها تخترق صدورهم واحداً تلو الآخر. . .
هرب مراد كعادته مع أنه كان راغباً بهذه اللحظة بأن يخبر اليسا بما اعتمر بصدره منذ سنوات. . أراد بأن يخبرها بأنه نادمٌ فعلاً, يحترق على كل دمعةٍ ذَرَفْت من عينيها بسببه. . . يريد الصفح فقط! استدار مجدداً ليستقل سيارته وارتمى على المقعد بينما ارتمت إليسا على سريرها. . . خارت قواها أخيراً لتطلق العنان لدموعٍ حبستها طويلاً لكن مراد. . . سجن دموع عينيه بأهدابه, أغمض عينيه بقوة ,ضغط بإصبعيه عليهما وهو يلعن جبنه وخوفه وماضيه, صعد هشام بتثاقلٍ درجات السلم حتى توقف أمام غرفتها, طرق الباب وهو يستمع لشهقاتها الباكية التي سحقت روحه.

تراجعت دلال نحو الحديقة علها تبكي بحريةٍ بعيداً عنهما. . . وظل مراد يستند برأسه على المقود لدقائق منتظراً جمانة التي فهمت انتظاره لها ليقوم بإيصالها لأن الوقت قد تأخر, تقدمت بخطى مترددة بينما يكافح جواد النوم لتضعه على المقعد الخلفي وتتقدم لتجلس بجانب مراد الذي رفع رأسه حينما جلست بجانبه وصفقت الباب, تجاهلها وشغل السيارة لينطلق بها وسط صمتٍ مطبق ,غفا الصغير بعد دقائق ورن هاتف مراد
الذي أخذ نفساً عميقاً وزفرة بروية, أوقف السيارة وأجاب: أهلاً فهد. . . .
أخذ نظرةً خاطفةً ناحية جمانة التي تشرد بالنافذة خارجاً وأردف يحادثه:
سنلتقي إذن إن شاء الله غداً, وشكراً لكَ مرةً أخرى.
صمتَ قليلاً يسمعُ إليه وأجاب بنزق فليسَ وقته الآن:
-أعرفُ أن الوضع صعبٌ عليك لكنه الحل الوحيد, لا أريد أذيتها فلن تتقبل الأمر إذا كان مباشراً

**********

## الفصل الحادي عشر

توقف مراد بعد دقائق أمام فيلا عمه محمد دون أن يتفوه بحرف, استدارت جمانة ناحيته وتطلعت بتعابير وجهه المتجهم: شكرا للتوصيلة"
نطقتها جمانة ليهز مراد رأسه وهو لا يتطلع بها فشعرت بما يعانيه من ألم في الفترة الأخيرة, فتحت باب السيارة وترجلت منها وكادت أن تفتح باب الجهة الخلفية لتحمل صغيرها فعالجها بقوله: لا تنسي وشاحك" استدارت ناحية يده الممدودة بعدما ترجل كذلك لكنها هزت رأسها نافية: ليس لي" ضيق ما بين حاجبيه ليغمغم معتذراً: إذن هو لدلال, لا يهم أعيديه إليها عندما تزورينهم" انفرج حاجباها دهشةً كونه يعرف دلال بل وتستقل السيارة برفقته, شردت قليلاً قبل أن تمد يدها وتناولته من بين يديه: حسناً سأفعل" وحملت الصغير لتغادر وسط نظراته التي جاهد لانتزاعها عنها"واستقل سيارته من جديد مستكملاً الطريق إلى منزله وتمتم بابتسامةٍ متألمة: ما زلتِ تضعين العطر نفسه!
**********

أطل صباح اليوم التالي تجهزت ورفعت شعرها المائل إلى الحمرة, وتطلعت بنفسها في المرأة باللباس الأسود الذي ترتديه ,ابتداء من البنطال حتى القميص والجاكيت, أحكمت لف وشاحها الصوفي الأزرق حول رقبتها وخرجت لتلحق بدلال قبل مغادرتها,
وصلتا بعد مضي نصف ساعة, لتتلقى التعازي من الجميع أما هشام فلأول مرةٍ يكون قد تأخر في الذهاب, لقد طال سهاده الليلة الماضية بعدما جرى بمنزل اليسا, حينها لم تجبه بل اكتفت ببكاءٍ متألمٍ ليرتد عن الباب بضع خطوات ويجلس أعلى الدرجات دون حولٍ ولا قوة, يريد مواساتها, طمأنتها أنه هنا, لكن مجيء زوجها السابق حطم كل شيء
بقي لساعةٍ من الزمن يجلس أعلى السلم حتى انقطع صوت بكائها, اقترب من الباب أكثر يستمع فعلي الأغلب قد غفت لشدة إرهاقها, أطلق تنهيدةً عميقة وهرول بعدها درجات السلم ليغادر المكان, حينها حتى بمنزله جافاه النوم,
**********

ارتدت إليسا معطفها الطبي وشرعت بمعاينة أحد المرضى, تجاوزت الساعة العاشرة والنصف, وصل هشام أخيراً وفور وصوله اشترى لنفسه القهوة عله ينشط قليلاً ثم بدأ بعمله ليعود بعد فترةٍ لمكتبه. . . دلف إلى الداخل ليتوقف على بعد

خطواتٍ من المكتب ويبتسم بحنو بعدما رأى أليسا منهمكةً بالعبث بحاسوبه جلى صوته قائلاً بإشراق: وأتساءل لما كان المستشفى منيراً على غير عادته..!

جفلت إليسا لثوان لحديثه المفاجئ لكنها تبسمت : - أهلاً دكتور, تأخرت اليوم على غير عادتك"

-إحداهن أطارت النوم عن عيني ليلة البارحة " قالها بمرح وغمز لها ثم ارتمى على الكرسي أمامها لتجيب بخجل:

-آسفةٌ على ما جرى لم أودعك بشكلٍ لائق"

-لا عليكِ...المهم أنكِ بخير" أومأت له وانشغلت مجدداً تعمل على الحاسوب ليقول باسماً وهو يحني جذعه للأمام مستنداً بكفه على الطاولة: - لو كنتِ زوجتي لقلت أنكِ تفتشين ورائي بغيابي"

أطلقت ضحكةً خافته على كلماته وقالت بخجل: أتثقف قليلاً من مجلداتك الشيقة , يبدو أن معلوماتي الطبية عن بعض الأمراض بدأت تتبخر"

-إن كان الأمر كذلك فاعبثي به على راحتك " ثم مال هامساً : لكن إياكِ أن تقربي على ملفٍ يحمل عنوان

(Stealing my heart )غمز لها نهض وغادر المكتب!

**********

*****

وعلى عكس الهدوء النسبي السابق كان المستشفى الذي تعمل به نور تسود حالةٌ من الهرج. . . . اجتمع الأطباء يستقبلون الحالات الإسعافية جراء انقلاب إحدى الحافلات لتتفاوت الحالات ما بين الحرجة والطفيفة, استنفر الأطباء والممرضون لإنقاذ الأرواح بينما نور ولأول مرةٍ تلمح الجانب الإنساني من أمير الذي نزل عن عرشه الذي لطالما أرهبها به ليقوم بواجبه على أكمل وجه على الرغم من كونه مختصاً بالجراحة لكنه نزل ليكون معهم, , بل ولمحت لثوانٍ لمعةً من الطيبة والنقاء بعينيه الزرقاوين عندما تلاقت نظراتهما لوهلةٍ حينما اجتمعا على علاج أحج المصابين الذي

عانى من كسرٍ بالرقبة. . . أشاحت بنظراتها عنه وانشغلت بعلاج الرجل ليتنهد أمير بعد أن استطاعوا السيطرة على الوضع ليرتمي الجميع بعدها بإنهاك. . . بعدما توزع المرضى على الغرف لينعموا براحةٍ مؤقتة.
توجه أمير ناحية المغسلة ليشطف يديه اللتين تلطختا بالدماء وخلع معطفه الطبي الأبيض ورماه بإحدى سلات الغسيل وخرج ليقف أمام باب المستشفى ليستنشق الهواء النقي ويريح أعصابه التي تلفت هذا اليوم. .
ومن بعيد تقدمت جمانة لتدلف إلى المستشفى ليتطلع أمير بها وقد عرفها فوراً, تابعها بعينيه حتى توارت عن ناظريه ودلف ورائها بثقة, استقلت المصعد كاد أن يغلق لولا أن وضع أمير يده يمنعه ومن الانغلاق ودلف معها باسماً: صباح الخير"
تطلعت جمانة بهذا الجبل الجليدي الذي سيلتصق بالسقف جراء فارق الطول بينهما وغمغمت باستغراب: صباح النور"
خرجت من المصعد وتوجهت ناحية غرفة التبديل حيث تكلمت مع نور وأخبرتها بمكان جلوسها بينما تابع أمير للطابق الأخير متوجهاً ناحية مكتبه, دلفت جمانة إلى الداخل لتفاجئ بهيئة نور المزرية! !
-ما الذي حصل لتتلوثي بهذا الشكل؟ ! تنهدت نور مجيبة: حادثٌ مريعٌ جداً حصل اليوم. . . . على الرغم من ارتدائي المعطف لكن الدماء أغرقت البنطال كذلك. لذلك طلبتُ منكِ إحضار مَلَابِس لي"
-لا عليكِ أصلاً كنتُ أريدك بموضوعٍ مهم"
-خيراً؟
-غيري ملابسك ولو أنتِ متفرغة سأنتظركِ باستراحة المستشفى وسنتحدث"
-حسناً لن أتأخر"
**********
تطلعت ناحية الباب لبرهةٍ ثم نقرت على هذا الملف بعد بحثٍ بين أقراص الحاسوب عنه. . .
فضولها غلبها طبعاً, هكذا هي طريقة البشر. . . . لو قالوا إن أمامك تسعةٌ وتسعون باباً أدخلها كلها لكن الباب الأخير إياك أن تطرقه, سنترك الأبواب التسعة والتسعين وستدفع الباب الأخير لتدخله!
وفعلاً ما إن فتحت الملف الذي يحمل عنوان (Stealing my heart) حتى تفاجأت بعشرات الأيقونات, اختارت خيار تكبير الصور لتنفرج عينيها. . عشرات الصور لها, بل تجميعية صورٍ وأغلبها تم التقاطها لها عن بعد. . !

تاهت مع كمية الصور المتواجدة لتمرر لأسفل حتى لمحت ملفاً آخر باسم ( امتلاكي ) سعادةٌ غريبةٌ تغلغلت بروحها وهي تنقر لفتحه كذلك ففضولها قتلها فعلاً : ملفات وورد.... الكثير منها دون أسماء.. اختارت إحداها ونقرت عليه ... لتنقر روحها تلك الخاطرة العذبة ... بل نقراتٍ ونقراتٍ دغدغت روحها وهي تقرأ حروفه عنها ..ومع كل حرفٍ تنفصل عن واقعها..

))أنتِ من تملكتِ هذا القلب الذي ينبض وسينبض لكِ حتى آخر العمر... اليسا زهرتي, العطر الذي يغلف سماء هذه الحياة التي يفوح بها شذاكِ كمعنى اسمكِ تماماً..

))ملاكي! لربما تم استخدام هذا الاسم كثيراً بين العشاق حتى صار بلا معنى ... أنتِ لستِ بملاكي أنتِ امتلاكي... شيءٌ يخصني, كالكلمات حينما تعانقها الأسطر.. كالأسطر حينما تغفو بداخل وريقات الكتاب بسلامٍ إلى الأبد, فلو فكر أحدهم أن يمحو تلك الكلمات...تتمزق صفحاته فيفقد الكتاب محتواه إلى الأبد((

))الحبُ..أنتِ والحياةُ هواكِ((

وغيرها وغيرها..... قلبت وقلبت لتكتنز عينيها بدموع نديةٍ, ذلك الشعور الذي دغدغ روحها لم تستشعره سابقاً بهذه القوة, صحيحٌ أنه اعترف لها سابقاً, لكن كتاباته عنها...خواطره واحاديث روحه الصادقة لها رونقاً خاصاً, تساقطت دمعةٌ على طول وجنتها وهي تلعن غبائها حينما تذكرت والديها ...فباغتها صوته هامساً : أتدركينَ أن أنفاسك المتواجدة بسماء المستشفى هي من يحييني"

انتفض جسدها على تواجده المفاجئ فأغمضت عينيها ليسحب الكرسي ويجلس بجانبها بابتسامةٍ حانية وهمس مجدداً : الفضولُ قتل القط"

تبسمت بخجل وأطرقت رأسها على حجرها وقد جمدت يدها الممسكة بفأرة الحاسوب وشعرت بتشنجٍ بها فلم تستطع حتى إغلاق الملفات.

-أنا... يجب أن..

قالتها بلعثمةٍ ثم استدارت للجهة الأخرى لتغادر فأمسك كفها بسرعةٍ وهمس : إلى متى ستهربين مني؟

تطلعت بيده التي تقبض على كفها وقطبت حاجبيها بضيق ليسحب يده فوراً وينهض متكأً بظهره على الطاولة ,

-أنا...لا أهرب"

-ألم يحن الوقت لتفسحي المجال لتجربةٍ جديدةٍ بحياتك؟

اعتصرت قبضة يدها بتوتر ثم تطلعت فيه وما زالت عينيها تكتنزان بالدموع : أنا حالياً بأسوء أيام حياتي, هذا الموضوع بعيدٌ عن تفكيري حالياً ما لم اعيد التوازن لنفسي.

-لأنكِ بأسوء أيامك دعيني أقف بجانبك, يكفيكِ هرباً من ذكرياتكِ , نظفي روحك من شوائب الماضي وأمسكي بكفي لننطلق لرحلةٍ جديدةٍ سوياً إليسا ...

-المسألةُ ليست بهذه البساطة, أنا.... أنا قلبي ميت أتفهم, أتدركُ ما عانيته بالماضي ؟

تنهد تنهيدةً عميقة وأجاب بصدق : معك حق... لا يشعر بأوجاع الروح سوى أصحابها لكن, أتعرفين ما سينتشلكِ حتماً من ضيقك ؟

تطلعت فيه بابتسامةٍ باهتة وأجابت : من ؟ أنت!

أطرق رأسه إلى الأرض ضاحكاً وقال وهو ينحني تجاه درج المكتب ليخرج منها مصحفاً ثم رفعه قائلاً بثبات: بل توكلك على الله, تحتاجين ما يزيل الشوائب من قلبك وروحك إليسا, والقرآن الكريم وتمسكك بالله هو ما سيفيدك حالياً, لا أنا ولا غيري.

تفاجأت بكلماته الحانية الصادقة ليضج قلبها بعنفٍ فشعرت أن كلماته زلزلت كيانها ...وضع القرآن الكريم على المكتب وأردف: خذيه, اقرأي

فيه كل يومٍ ليلاً قبل أن تنامي..بالمناسبة, هذه النسخة هديةٌ من والدي رحمه الله , أي أنها عزيزةٌ جداً على قلبي.

وخطى خارجاً من الغرفة..

********

تطلعت نور بجمانة باستغراب بعدما جلستا بمقهى المستشفى وقالت بقلق : لا أظنها فكرةٌ جيدة, أخاف أن يغضب إن اكتشف أننا....

مالت جمانة بجذعها ناحية نور وقالت بنفاذ صبر : أتدركين أنه حتى اللحظة لا يستطيع نسياني أو حتى الابتعاد عنها ! إنه عالقٌ بالماضي ولا يتزحزح عنه... أيعجبكِ حالُ شقيقك.

نفثت نور بضيق ورفعت كتفيها: أعرف ما به وأشعر. ., إن مراد . .وعلى الرغم من حياته السابقة لكن حبه صادق, عميق, لا يتنازل بسهولة.

-لهذا علينا نحن إخراجه من الماضي. ., حتى الآن علاقته جيدة بكريم بعد عودتهم تلك الليلة, لكني خائفةٌ فعلاً من المستقبل من لحظة ضعفٍ أو طيشٍ بتصرفها فنقعُ بمشكلةٍ جسيمة!

اعتصرت نور الكوب بقبضتها وتمتمت: أتمنى أن تنجحي صدقاً. . . لكن إن علم كريم أو آدم. .

-لا . .إياكِ, هتفت فيها جمانة وأردفت: هذا الموضوع بيننا فقط مفهوم على الأقل في القوتِ الحالي وأنا اتفقتُ مع عسل على ذلك وتفهمت الموضوع بل وستساعدنا, عليكِ أنتِ فقط أن تخبريني بالوقت المناسب للتنفيذ.

-حسناً. .

**********

وضع مراد مخططات الفيلا أمام آدم الذي رفع حاجبيه دهشةً وربت على كتفه:

-إنه رائعٌ فعلاً! ! يا إلهي لن أصل لبراعتك مطلقاً!

اعتدل مراد بوقفته وحك أرنبة أنفه قائلاً بفخر: كي تعرف مع من تتعامل" تعالت ضحكاتهما فتساءل آدم: لكنه مكلفٌ جداً! هل أخبرته بالتكاليف؟

قال وهو ينقر بأصابعه على التصميم: الميزانية مفتوحة.

_اللهم لا حسد.
رماه مراد بالقلم وهتف: ما بالك كالنساء العجائز! , هيا وقع على الموافقة أيها المدير لنباشر العمل الفعلي!
عض آدم على شفاهه وتطلع بتردد ناحية مراد قبل أن يلتقط القلم من على الأرض ويتقدم ليجلس قبالته:
-تعرف أني لستُ بمستواك. . وليس من حقي أن أدير شركةً أفنيت أنت ووالدك سنواتٍ من عمركما عليها, أليس كذلك؟
نفخ مراد بضيق: لا تردد تلك الأسطوانة مجدداً آدم!
رمى آدم القلم بعصبيةٍ على الطاولة: هذه الشركة لك, مكانك الأساسي هنا خلف المكتب لا أمامي, إلى متى سنستكمل هذه اللعبة السخيفة! يكفي بأني توليت الإدارة بسنوات غيابك, والآن لقد رجعت فانتهى دوري.
نهض من وراء المكتب ونفخ بعصبية وكاد أن يغادر لكن آدم هتف به: ما رأيك بأن أقدم استقالتي, وحينها لنرى من سيدير هذه الشركة. !
تطلع فيه مبهوتاً وأجاب: أتريد أن تضعني تحت الأمر الواقع أليس كذلك؟
تقدم منه آدم وشد على عضده قائلاً بثبات: لا بل أريد أن أعيدك لموقعك الأساسي, لا سنك ولا مكانتك تجعلك تنتظر موافقتي على بضع مشاريع. !
تطلع فيه بثبات ليستسلم ويهز رأسه موافقاً ليحتضنه آدم وهو يضحك
فدفعه مراد بغيظ: ولد" ! !
تعالت ضحكات آدم العابثة وركض نحو المكتب ليعبث بإحدى الأدراج ثم أخرج الورقة وقال آمراً: وقع.
تقدم منه مراد لتفاجئ :أوقع على ماذا! قرأ الورقة ليشهق: وجاهزةٌ أيضاً ! !
-طبعاً. . . أتريد مني أن أنتظر كي تغير رأيك! لقد جهزتها منذ عامٍ كامل, ورضوان بيك قد وقع كذلك منذُ زمنٍ طويل وتحتاجُ توقيعكَ فقط.
تبسم مراد وجلس خلف المكتب ووقع على ورقة تنحي آدم ليتم تعيينه مديراً فمال من خلفه آدم وقال هامساً:
_حسناً. . . أنا لم أعد مديراً, لكني اعتدتُ على البذخ. . . ارفع راتبي حباً بالله"
صر مراد على أسنانه بغيظ وضربه بكوعه على معدته ليتمتم بسخط :أكبر يا ولد! !
-حبيبي.

.

*********

## الفصل الثاني عشر

الآلام التي تستعمر قلوبنا كأوراق أشجار الخريف...حينما تهب عليها الرياح تتطاير الأوراق حاملةً معها الذكريات المؤلمة...ستتعرى قلوبنا كالأشجار حينها لتلتهب أوجاع الروح...سيلسعنا الصقيع كما الشتاء , لكننا حتماً سنُزهِرُ مجدداً, ستتفتحُ قلوبنا بعد الألم, فهذه هي الحياة...وآن أوان قلبك أن يزهر ((

طوال طريق عودتها وهي تتذكر كلمات هشام, هو محقٌ فعلاً, بكل ما قاله, دلفت إلى المنزل بعدما تجاوزت الساعة التاسعة مساءاً ونادت على دلال التي سبقتها لانتهاء دوامها , لكنها لم تجب ! تعجبت وبحثت عنها بأرجاء المنزل حتى دلفت لغرفتها فرأتها تصلي, استندت على الباب وتطلعت بها, لطالما كانت دلال تحافظ على فروضها, لم تكن سابقاً تقف عند هذه النقطة لكن الآن تحديداً لا تعرف اليسا لما شعرت بشوقٍ للصلاة التي تناستها مطولاً, أغمضت عينيها وهي تغادر إلى غرفتها وفتحت الحقيبة لتخرج القرآن الكريم الذي أهداها إياه هشام, وتطلعت فيه...هل قراءته ستساعدها حقاً! بعد دقائق نهضت إلى الحمام وتوضأت وفتحت القرآن لتقرأ به, بينما انتهت دلال من فرضها خلعت الإسدال وذهبت لملاقاة اليسا , تقدمت خطوتين فلمحتها تجلس على السرير وهي تقرأ من كتاب الله وقد تهدج صوتها أثناء التلاوة, تبسمت بسعادة وتراجعت عدة خطوات كيلا تزعجها وهبطت السلم إلى الصالة لتجلس بانتظارها ,

**********

غادر أمير المستشفى, استقل سيارته وانطلق بأقصى سرعته فيها ينهب الشوارع حتى توقف أمام الشاطئ, أطفئ محرك السيارة وأرجع برأسه إلى الوراء لدقائق قليلةٍ كانت كافيةً لاستعادةِ التوازن لنفسه قبل أن يترجلَ من سيارته وجلس على الكرسي أمام الشاطئ يستنشقُ عبيرَ البحر الأخاذ الذي أخذهُ لرحلةٍ بعيدةٍ جداً أرجع رأسه للوراء وأغمضَ عينيه متنهداً حتى انتظمت أنفاسه, كانَ مُرهقاً جداً هذا اليوم جراء كثرة المصابين الذي قام بإسعافهم, لذلك استسلم للنومِ على الكرسي بعدما داعبت نسمات الليل

الباردة جسده, هاجمته أثناء غفوته صورةَ بيسان وهي تصرخ ....
تصرخُ وتشتمه حتى تقطعت أنفاسها وهي تدفعه بعنفٍ : أنت لستَ أخي..... أنتَ شيطان, شيطان!!

تلبدت السماءُ بغيومٍ داكنةٍ وبدأت قطراتُ المطرِ تُبللُ وجنتيه ليشهق وقد تعالت وتيرة ضربات صدره, حدق ناحية السماء مُستقبلاً دموعَ السماءِ بصمت, هذه اللحظة دمعت عيناهُ لتمتزِجَ بقطرات المطر تدارك نفسه وهبَّ واقفاً وخطى نحو سيارته وارتمى بداخلها وانطلق وما زالت كلماتُ شقيقته بيسان تطرقُ ناقوسَ ذكرياته:

-أنتَ ووالدك لعنةٌ حلت على . . .بِسَبَبِكُمَا تَدَمَّرَتْ وخسرتُ حُبّ حياتي.
صفعها حينها بعنفٍ لترتمي تحت قدميه فانحنى تجاهها وهو يقبضُ على شعرها بعنفٍ وجرها ناحيةَ غرفتها وما زالت تتلوى من الألم, قاطع شهقاتها الباكية وهو يهتف: إن سمعتُ كلمةً أخرى عنه ستكون نهايتُكِ على يدي ستتزوجين من أحمد وهذا قرارُنا الأخير.
تطلعت فيه بعجزٍ حينها ووقفت مترنحة, وبلحظاتٍ كانت بيسان قد زحفت بإنهاكٍ ناحية الشرفة وبلحظةٍ رفعت ساقيها وتعلقت على السور, انفرجت عيناهُ بِهَلَع وخطى تجاهها لكنها صرخت مُجدداً: لن أقبل به, أفهمتم, الموتُ أهونُ عليَّ من هذه الزيجة الملعونة ,أن كنتَ أنتَ لعبةً بي والدك لن أكون أنا كذلك يكفي ما أمرُ به.
قالتها وقد تهدج صوتها. . . ارتعب من فكرة فقدانِ شقيقته الوحيدة وتوسلها حينها بأن تهدئ لكنها كانت مُغيبةً تماماً عن التعقل, اقترب خطوةً أخرى منها وهو يتأسفُ ويعتذر فهذا قرارُ أبيه, وعدها بأنهما لن يزوجوها من ابن ذلك التاجر.
وفعلاً هدأت قليلاً إثر كلماته ونبرته الصادقة وحينما قطع الخطوات القليلة للإمساكِ بها كانت قد تبسمت وهمست وكأنها انفصلت عن الواقع: لكن آدم, وبعدَ كُلّ شيء تزوج! ! تركني أنا وتزوجها!
همستها وقد تورمت عيناها من شدة البكاء وأرجعت بظهرها إلى الوراء باستسلام لتهوي ناحية الأرض بعنفٍ ولتنطلقُ من حَنْجَرَته صرخةٌ مدوية هزت أركان الشارع بأسره,
رجع من لطم ذكرياته على صوت بوقِ سيارةٍ كاد أن يرتطم بها فداس على الفرامل بقوة وقد تعالت وتيرةُ أنفاسه الغاضبة,
**********
بالمناسبة. . . الحب مسألةٌ متأرجحةٌ كما الحياة تماماً, عليكَ أن تتجاوز

الأوجاع, أن تدهسها ولربما أن تدهس الحُب. . لتسترجع ربيع روحك. .
نطقتها جُمانة صباحاً ما إن دلفت لغُرفةِ مراد, فانتفض من على السرير بتفاجُئ وهو يُحدقُ بها وَظَنَّ لوهلةٍ بأنه يحلم! توقف وجمد للحظاتٍ وهي تدلفُ بكل ثقة وتُغلِقُ الباب من خلفها وتسيرُ بثباتٍ ناحيتهُ حتى لم يعد يفصلُ بينهما الكثير. .
-جمانة! ! ماذا تُريدين؟
تساءل بارتباكٍ وهو يُحدقُ فيها وَيَعْتَدَل بجلسته فما زال اَلنُّعَاس يداعبُ جفونه المتثاقلة, فأجابت بثقة: أريدُكَ أن تكونَ بخير.
تطلع فيها مبهوتاً وابتلع ريقه بتوتر غير مُدركٍ لانقلاب تصرفاتها, أغمضَ عينيه بقوةٍ مستغفراً الله وكأن النظرَ إليها لعنةٌ ستغرقه في الضلال, ثم أمسك كفها بقبضته بعنفٍ عندما شعر بأنها ستتمادى وزمجر:
-ماذا دهاكِ ,أأنتِ واعيةٌ على تصرفاتك. ! !
فغمغمت بجمود: واعية, ومدركةٌ لما أفعل. . . أريدُ أن تعود مراد القديم" .
أدركت التماع عينيه ونظرة التحير والخوف والتخبط التي تطل منهما, في هذه اللحظة لكم كرهت نفسها خوفا من عواقب ما تقدم على فعله, اقتربت منه أكثر فدفعها بعُنفٍ بيديه لترتدَ إلى الوراء وقال بحنق: هل شربتِ شيئاً جمانة, هل تشاجرتِ كريم! !
تبسمت وأجابت وهي تتطلعُ فيه بثبات: أتعلم. . . بعد زواجي, كنتُ دائماً أسألك عما بك. . لأنك ابن خالتي, لأنك الرجل الذي أعادني لأهلي, الرجل الذي أعادني للحياة بعدما كنتُ على شفا حفرةٍ من الموت, وصحيحٌ أنك لخبطت مشاعري لأيامٍ قبل ابتعادي عنك, لكن الآن انتهى كل شيءٍ بالنسبةِ لي, محوتُ آثارَ عاطفةٍ كانت تستميلني نحو الرجل الوسيم الثري الذي تمسك بي وبحث عني طويلاً, وأثبت لي في كل مرةٍ صدق مشاعره ,اَلْحُبّ يا مراد ليسَ سبباً كافياً للارتباط, بل أن تُفكِرَ بعقلكَ وقلبكَ معاً كي تختار شريكك المناسب.
اهتز صوته وهو يسألها بثباتٍ يدعيه

-ما الأمر؟
خطت تجاهه وأمسكت بكفه بين كفيها الصغيرين وقالت برجاء:
-مكانتك كبيرةٌ جداً بقلبي مراد, وجود عائلتي بعدما تعايشتُ مع أني يتيمة جعلني أتمسكُ بكل واحدٍ فيكم, لا أريد أن تضيع نفسك جراء الماضي ,إنسي كل ما جرى, إنساني ,إنسي أليسا لأنها كذلك قد اختارت حياتها. . . وأظنك فهمت قصدي جيداً, فهشام قد استطاع أن يُساعدها ويمد

لها العون وأثبتَ بأنهُ يَسْتَحِقّهَا ,ابتعد عن الماضي وادفعهُ بعيداً عنك, عُد لعملك بشكلٍ جدي, ابحث عن الحب الحقيقي هذه المرة, الحب الذي سيقوّيك ويقودك لبر الأمان فنحنُ لم نسبب لكَ سوى الألم"

-كفى جمانة " قالها بهسيسٍ وهو يتطلع فيها بعينين ملتهبتين, لكنها تطلعت فيه بثبات وأردفت:

-ما زلت على غبائك القديم مراد! , نظراتك الحمقاء ما تزال تلاحقني, نظراتُكَ تجاهي تقلقني منك. . . وتخيفني وبذات الوقت عُدتَ تلاحق اليسا. . . أنت ذاتك ما تزال خائفاً ومضطرباً. . . لربما أنا فعلاً وكغرورٍ أنثوي. . . أحب أن يتلوى أحدهم لأجلي. . . حتى ولو كنتُ متزوجة, لربما تفكيري مريض لكنك تغذيه بأفعالك وطيشك فأنت أضعف من أن تواجه مشكلاتك وأضعفُ من أن تبتعد, كفاكَ ضَعْفًا وانتبه لنفسك!

مشت من أمامه بعدما أطلقت سهامها وهي متأكدةٌ من أنه سينفجر. . . وما خاب ظنها به أمسكها من ساعدها وأدارها ناحيته قائلاً بغضب بعدما زلزلت كيانه من الداخل:

-وأنا. . . لن أكون بخيرٍ فعلاً, ما دمتِ تظهرين أمامي كما السابق, وتتطلعين بي كما السابق, وتقتربين مني"

-أتعلم. . . . . سأقتربُ منك يا مُراد وَبِكُلّ مرةٍ أراكَ بها فأنا أحب نظراتك المنكسرة ناحيتي فهل ستفعلها مجدداً وستخونُ ابن عمك. !

قالتها بلؤمٍ جلي وهي تحدق بعينيه اللتين ضاقتا بشكلٍ مرعب, فتطلعت فيه نظرةً أخيرة قبل أن تغادر من أمامه ليرتد على السرير وقد تعالت وتيرة أنفاسه الحانقة, بينما هي سرعان ما ركضت تجاه غرفة عسل وما إن دلفت حتى استكانت على الباب خلفها وقد ارتجف جسدها بأكمله خوفاً واضطراباً, وبالكاد أعادت السيطرة على نفسها وتمنت فعلاً أن تكون قد نجحت في القسم الأول من خطتها وما عليها الآن سوى أن تكمل القسم الآخر,

تطلع بالباب بحنقٍ ومشى باتجاهه قبل أن يخبطه بعنفٍ لينغلق وقد شعر بأن جمانة قد اختلعت روحه من مكانها, كان يودُ لو يصرخ, يريدُ أن يفعلها هذه اللحظة لكن يخشى أن يُفزعَ جميعَ من بالمنزل. . .

هندمت جمانة ملابسها قليلاً وخرجت بحذرٍ وما إن رأتها عسل بأسفل السلم حتى هرولت تجاهها لتومئ لها بأن كل شيءٍ سار كما هو مخططٌ له لطمأنتها. . . مع أنها تشعرُ أنها ارتكبت خطأً ربما! ! تمتمت عسل: الجميعُ ما يزالون نائمين الحمدُ لله,

-سأعودُ الآن إلى المنزل إذن أومأت لها عسل مودعةً وخرجت برفقتها

لتوصد البوابةِ وتعودَ إلى غُرفتها فتلاقت بالرواق مع مراد الذي استحالَ وجههُ لنارٍ متأججة الاشتعال, أطرقت رأسها ناحية الأرض وتمتمت : صباح الخير اخي, قبل أن تهرول من أمامه وتدلف إلى غرفتها لتتجهز للذهاب إلى مدرستها, بينما هو أكمل طريقه إلى الخارج وانطلق بسيارته بسرعةٍ ليلتقي بجمانة على الطريق أوقف السيارة بعنفٍ لتصدر عجلاتها صوتَ صريرٍ عالٍ أفزعها لتتطلع ناحية عينيه المشتعلتين, ترجل عن سيارته وصفق الباب بعنفٍ ليرتج الزجاج حتى كاد أن يتهشم, وتقدم ناحيتها ليشد على ساعديها بعنفٍ وكاد أن يمزقهما لشدة ضغطه عليهما, تطلع فيها بعينين كالجحيم وهتف بعدما دفعها بغلظةٍ على الحائط الذي تدلت أمامه الحشائش فأغرقها بها حتى كادت أن تختفي بين الأوراق الخضراء انغرست إحدى الأشواك بكتفها فأغمضت عينيها بألمٍ لكنه كان حالياً غائباً عن الوعي أو المنطق زمجر قائلاً بهسيسٍ مختنق وقد دمعت عيناه:

-من الآن وعزة الله وجلاله سأختلع هذا الأحمق الذي ما يزال ينبض لكِ وسأدهسه بحذائي, وسأعود كما السابق هذا وعدٌ مني ...أنتِ من الآن, لا شيءَ بحياتي, صفحةٌ ومزقتُها من كتابي.

تبسمت بارتياح مفتعل وأجابت وهي تسيطرُ على اضطرابها : يااه... هذا ما أريده بالضبط ,اخلع قلبك وادهسه بوطئ قدميك وإن رغبت سأساعدك بدهسه وبتمزيق صفحاتي جميعها من داخل كتابك....لكن بشرط أن تعيد التوازن لحياتك يا ابن خالتي"

افلت ساعديها من قبضتيه باستسلام فدفعته برفقٍ لتعبر متجاوزةً إياه ثم ربتت على كتفه وشدت عليه بأناملها وقالت بهدوء وهو ما يزالُ محدقاً بالحائط العشبي أمامه متخشبٌ لا قدرةَ له على التحرك:

-اعتبر مشاعركَ تجاهي بهذه اللحظةِ كأوراق الخريف المتطايرةِ التي اختطفت قلبك ورمته بعيداً جداً... بعيدٌ لدرجةِ أن تذهب وتبحثَ عنه لعله وقعَ بمكانٍ يقودُكَ لبر الأمان , افتح عينيك جيداً فالحياةُ تستحقُ أن تعيشها سعيداً بعيداً عن الجميع... وعني.

ثم أكملت المسير وقد ندت عينيها بدموع متعاطفةٍ معه, بالكاد استطاع السيطرة على ضربات قلبه التي تناطحت بداخل صدره المكلوم, لكنها

كانت محقة, كان لا بد من مواجهته بعد هذه السنوات, هو تجابه مع الجميع عداها, وحارب الجميع بسببها ..عداها !! وها هي الآن قد وضعت النقطة بآخر السطر, اندفعت يديه ليضرب الحائط لتنغرسَ الأشواكُ بكفيه واستند برأسه ليغرق كذلك بين الاوراق وصارت عيناه تسقيان أوراق النباتِ الأخضر بصمت, توقفت على بعد عدة أمتار لأنها لم تسمع صوتَ سيارته لتراهُ منغرساً بين الأعشاب المتدلية على الحائط, أطلقت تنهيدةً عميقةً وأكملت طريقها حتى وصلت ناحية حديقة الفيلا

**********

**بعد عدة ايام...**

رجت عسل وكان فهد بانتظارها كما العادةِ مرتدياً نظارته السوداء حتى ولو كان اَلْجَوّ غائماً ومُلبداً بغيومٍ تنذرُ بأمطارٍ عنيفة, ألقت السلام وارتمت على المقعد المجاور بينما خلع هو نظارته متبسماً ابتسامةً أظهرت غمازتيه الغائرتين وألقى النظارة ثم بدأ بقيادةِ السيارة, صحيحٌ أنه اتفق مع مُراد على جلسات العلاج واقتصارها على السيارة بحجة أنه السائق, وصحيحٌ أنه استهجن هذا الاقتراح بدايةً لكنه الآن, يشعرُ فعلاً بالبهجةِ كلما التقى كتلة الإعصار المسماة بعسل, هي حَالَة فريدةٌ جداً! ليست مريضة, بل هي عاقلةٌ لدرجةِ أن تُحاربَ الخطأ وتجابهُ بشراسة, ليست مريضة, بل ذاتُ مبدأ وهدفٍ واضح, تُريدُ أن تلتحق بالكلية الحربية! . ويا لهُ من طموح جامح بالنسبةِ لفتاةٍ كعسل, اسمٌ لا يُشابِهُ تصرفاتها البتة!
اعترفت له في تلك الأيام عن سر الشجار الأخير في المدرسة, وكيف استطاعت أن تخلع الحزام من وسطها لتضربَ به زميلتها دفاعاً عن الأخرى! ضحك حينها من أعماقِ قلبه لدرجةِ أنه أوقف السيارة وقد تعالت قهقهاته. . . هذه الفتاةُ ممتعةٌ جداً! !
لكنها بعدما ضحكت عبسَ وجهها وتطلعت فيه بيأسٍ مُرْدِفه:
-أحياناً أشعرُ أنهم لا يفهمونني! ! حتى أني سمعتُ والدتي تُخبر والدي بأني اِحْتَاجَ استشارةً نفسية! ! وكأنني فتاةٌ مريضةٌ يا فهد! , ما ذنبي أن كانت هذه شخصيتي.
اعتدل بجلسته وقد انتبهت حواسه ليسألها منتقياً كلماته بعناية:
-لستِ حتماً مريضةً يا عسل, لكن بطبيعة البشرِ تنبذُ أي أحدٍ مختلف, ووالدتكِ كأي أمٍّ تريدُ أن تكون ابنتها فتاةٌ رقيقةٌ شفافة, وربما تحبُ أن تتصرفَ كالفتياتِ بحياءٍ وخجل,

-لكن تصرفاتي ليست خاطئة -! !ربما, لأنهم يرون الموضوعَ من جهةٍ واحدة, عليكِ أنتِ أن تشرحي لهم, أن تفتحي قلبك لعائلتكِ وتتناقشي معهم وتدافعي عن مبادئك وما تعتقدين انه صحيحاً أليسَ كذلك ؟

تطلعت فيه عسل حينها وشردت بحديثه قبل أن تباغته بسؤالها:

-ماهي دراستُكَ يا فهد!! تبدو مثقفاً ومتفهماً جداً على عكسهم.

صمت قليلاً يفكر, فهو فعلاً لا يريدُ أن يكذب ولا يريدها أن تبتعد بعدما وثقت به لذلك رفع وجهه قائلاً نصف الحقيقة,

-درستُ علمَ اجتماع..

قاطعته بلهفة وقد انفرجت عيناها: وتعملُ سائقاً!!!

تبسم حينها وشغل السيارة من جديد قائلاً:

-كلٌ منا يحاربُ على طريقته آنسة عسل.

**********

## الفصل الثالث عشر

حسمت جمانة أمرها وانطقت مساءاً برفقة نور وعسل إلى منزل إليسا لزيارتها , جلست الفتياتُ في حديقة المنزل وقد رحبت بهن أليسا بحبور حيثُ كانت النسمات الباردةُ تزكي أنوفهن فالتحفت كلٌ منهن بشالٍ صوفيٍ تقيهن البرد وشرعنَ بالثرثرة, حيث كانت اليسا قد استعادت حيويتها وتناست حزنها قليلاً, غادرت بعد دقائق لتحضر مشروباً ساخناً فأخرجت جمانة فوراً الوشاحَ من حقيبتها وقالت تحادث دلال:

-خذي إنه لكِ لقد طلبَ مني مراد أن أعيدهُ لكِ فقد نسيته بسيارته,

تسلمت دلال الوشاحَ من جمانة ووضعته على حجرها وشكرتها, وبعد أن عادت اليسا ووزعت عليهن أكوابَ الشاي الدافئ رن هاتفُها لتتبسم مجيبةً شقيقها ساهر فتنفرجُ أساريرها بفرحٍ عارم وهي تحادثه, أغلقت الخط وقالت بسعادة : سيأتي أخي من أميركا يا بنات.

تبسمت الفتياتُ بسعادةٍ في حين قالت دلال : إذن حانَ الوقتُ كي أنتقلَ لمسكنٍ آخر يا اليسا.

-لا طبعاً, لن تنتقلي لأيِ مكان, زيارته لن تتعدى الأسبوعين فلديه عملٌ وعائلةٌ خارجاً.

هزت دلال رأسها برفضٍ مجيبة: لا تنسي أني محجبة, سأحرجهُ وأحرجُ نفسي, كما أنني بكافةِ الأحوالِ يجبُ أن أستقلَ بمنزلٍ خاصٍ بي لن أبقى عندكِ دائماً, ما فعلتيهِ معي كافٍ جداً حتى اللحظة.

تطلعت جمانة ناحية نور بنظراتٍ مطولةٍ لتفهم الأخيرة ما ترمي إليه وقالت مباشرةً لدلال: إذن ستنتقلين للسكن الملحقِ الخاصِ بمنزل خالتي عبير يا دلال, إنه فارغٌ منذُ زمن, ما رأيكِ يا نور.

تطلعت فيها نور وقالت مؤكدة: طبعاً فكرةٌ جميلةٌ جداً, لقد سبقتني باقتراحِكِ يا جمانة.

صفقت عسل بمرح: نعم وبذلك يكونُ لي صديقةٌ تسليني فأنا أشعرُ بمللٍ كبيرٍ مساءً وحدي.

-شكراً لاقتراحكِما لكني لا أستطيع, أريدُ الاستقلالَ بمنزلٍ خاصٍ بي لن أتنقل طوالَ عمري,

رحبت اليسا بالفكرةِ بعفويةٍ وقالت تحثها على الموافقة : تحتاجينَ الآن للنقودِ يا دلال قبل أن تستقري , امكثي في المُلحقِ لعدةِ أشهرٍ على الأقل وبعدها بإمكانكِ الاستئجار براحةٍ أكبر, على الأقلِ مبدئياً إن تهجمَ والدكِ عليكِ مجدداً كما فعلَ بالمستشفى يتصدى له أحدهم ويحميكِ.

هل ما زالَ يتواصلُ معكِ ويهددك؟ تساءلت جمانة فقد باحت لهن دلال سبب انتقالها للمعيشة برفقة اليسا, لتهز رأسها مؤكدة:

-لا أظنه سيتهج علي مجدداً, سيتزوج قريباً ويحتاجُ مني مساعدةً ماليةً أخيرة على حد قوله,

تغضن جبينها بأسى لتربت نور على كتفها : أرأيتِ لذلكَ يجبُ أن تكوني بحمايةِ أحدهم, وأهلي سيدافعونَ عنكِ

فوافقتها الفتياتُ مما دفع دلال لتقول بهدوء: إسألي والديكِ قبلاً يا نور وبعدها نرى ما علينا فعله.

-طبعاً ولن يرفضا الأمر إن شاءالله. بل سيرحبانِ بكِ.

**********

جلسَ كريم برفقةِ مراد كأيامٍ خلت, وانضم إليهما آدم لآن نور لديها مناوبةٌ في المستشفى, أخرجوا أوراقَ اللعبِ بعدما استدعوا ضياءَ الدين, زوجَ رهف_ شقيقة كريم_ للعب برفقتهم لتمضيةِ الأمسيةِ بلعبةٍ خفيفة, كان كريم يتطلعُ به بين حينٍ وآخر, تلكَ النظرةُ المُطفئةُ بعينيه أتعبته كما أتعبت الجميع, يحتاجُ تغييراً جدياً بحياته فعلاً, لم يدع الشكَ هذهِ المرةَ يُسيطرُ عليه, وربما جمانة التي قررت أن تروي له القليلَ مما نوته بالاتفاق مع نور, أخبرته حينها أنه التقته بالطريقِ صباحاً حينما كانت تهرولُ خارجاً, أخبرتهُ بأنها تتألمُ لأجله وتريدُ مساعدته, وعلى الرُغمِ من غيرته الشديدةِ

إلا أنه استمعَ لها, على الأقلِ اعترفت لهُ أنها تريد مساعدة مراد بطريقةٍ غيرِ مباشرة, وعن فكرتهما هي ونور, فرحبَ بتلكَ الفكرةِ و وافقها بشدة, تعالت صيحاتُ الشبابِ والضحكاتِ من آدم وضياء الدين الذين احتدا باللعب لينطلق من ألسنتهما السبابُ الهادرُ لتصل أصواتهم لعبير وتتبسم قبل أنت تغفو بجانبِ زوجها وهي تدعوا لابنها مُراد بصلاحِ حاله....

**********

تجاوزت الساعةُ الثانية بعدَ منتصفِ الليل, خُفِفَت الأنوارُ وقد داعبَ جفنيها النُعاسُ لتسدلهما وهي جالسةٌ باستراحةِ المستشفى وقد أسندت رأسها على الطاولةِ الزجاجية.

بطقمه الطبي الأزرق ومن فوقه قميصهُ الأبيض المفتوحُ تقدم أمير ليرتشفَ كوباً من القهوةِ تُبقيهِ متيقظاً, حصل على قهوته لتداعب أنفه رائحتها المُحببةَ إلى قلبه, ومن بين البُخارِ المُتصاعِدِ من الكوب, أدرك وجهها الملائكي, بقميصها وحجابها الأبيضين فبدت بين البخار المتصاعد من كوبه كملاكٍ أخاذ, ليتقدم كالمُغيبِ ناحيتها, سارَ بتؤدةٍ حتى صار قبالتها ليسحبَ الكرسي المقابل بهدوءٍ ويجلسَ أمامها, كان عقلهُ الآن يعملُ بجنون, كيفَ له أن يؤذي هذا الملاك حتى ولو عن طريقِ زوجها, لن يقدرَ على ذلك. يستحيلُ أن يبكي هاتين العينين اللتان سلبتاه عقله وتفكيره! للحظاتٍ تشتت تفكيره قبل أن يغمض عينيه بقوةٍ ويدفعَ بالكرسي بعنفٍ ليصدرَ صوتَ احتكاكٍ عالٍ على الأرضية وهو يسيرُ مبتعداً يتمتم بحنق : اللعنةُ عليكَ أيها الجبان, شقيقتك ماتت بسببهم !! بينما فتحت نور عينيها بفزع جراء صوتِ الكرسي الذي زُحزِحَ عن مكانه لتتطلع به وهو يسير مبتعداً فتتأففَ بحنقٍ وتتمتم : فعل ذلكَ عن عمد, يا له من مزعج وكأنه إذا ملكَ المُستشفى ملكَ الكون كله!!

في السادسةِ والنصف صباحاً دلف لداخل المنزلِ الذي يعبقُ بذكرى الألمِ من كل جانب, خلع سترته وارتمى على الأريكة وقد أخذ منه الإرهاقُ مأخذه بعد مناوبته الطويلةَ في المستشفى, كان أمير يشتهي النوم فقط ولا شيء غيره, خلع حذاءه وتمدد واضعاً ساعده على جبهته وما كان يغمضُ عينيه لدقائِقَ حتى سمع صوت انفراج بابِ غرفةِ والده وصوتَ خطواته تقترب بهدوء, تطلعَ فيه والدهُ بغضبٍ قبل أن يلكزه من كتفه بعكازه وهو يصيحُ بصوته الجهوري: انهض يا ولد.

رفع ساعده وتطلع بوالده بعينين مرهقتين وبالكاد اعتدل بجلسته, كان والده مكفهر الوجه, قال بغضبٍ هادر:

-أطالبك بالأخذِ بثأرِ شقيقتِك من ذلك الوغد وها أنت تُلاحِقُ زوجته كمراهقٍ طائش!!

اشاح أمير بوجهه بتأففٍ فلكزه والده مرةً أخرى بعكازه وصاحَ مجدداً : وعزة الله إن لم تنفذ ما اتفقنا عليه قبل شهرٍ لأنهي عليه بمعرفتي, ألا يُعتمدُ عليكَ بشيءٍ أيها العاق.!

احتقنت عينا أمير وهب واقفاً وجز على أسنانه: أتراقبني حتى بالمستشفى !! أخبرتك أني أحتاجُ وقتاً لذلك .واتركها بعيداً عن الموضوع, لا دخلَ لها !

ارتسمت ابتسامةٌ هازئةٌ على وجه الأب وقال بخبث : وسأراقبك حتى بحمامِكَ الخاص, لم أدفع كُلَ تِلكَ المصاريف وأُسيطرُ على المستشفى كي تتصرفَ بغباءٍ كطفلٍ ساذج,

تطلع فيه أمير بوجهٍ مُحتقن: كنتَ تدبرُ لأن تسلمني المستشفى منذُ وقتٍ طويلٍ جدا فلا تدعي حجّة الثأر أبي

انتعلَ حذائه وانصرف من أمام والده الذي جلسَ على الأريكةِ مستنداً على عكازه والغضبُ يتطاير من شدقيه فيتنفسُ كثورٍ هائج ثم ارتفع صوته صارخاً بابنه قبل أن يغادر:

. -إن لم تنفذ ما اتفقنا عليه أقسمُ بالله أن يكون انتقامي مناصفةً بينها وبين زوجها كلامي واضح.

أمسك بمقبض الباب بغضب لثوانٍ قبل أن يفتحه ويغادرُ صافقاً البابَ خلفه بحنق وأفكارٌ متسارعةٌ تدورُ بخلده, شغلَ سيارته مجدداً وقد تعاظم إرهاقهُ وألمُ صدغه, يريدُ النومَ فقط... قاد سيارته كالمغيب ناحية المستشفى وسار بالرواق الطويل لتناديه إحدى الممراض, مريضٌ بحاجةٍ لمساعدة, أطلق تنهيدةً عميقة وتبعها ليعاين المريض الذي يصرخُ من شدةِ ألمه بعد استيقاظه من العملية التي أجراها ,بعدما زال مفعول المخدر, عاينه وحقنه بمخدرٍ ليريحه ثم سارَ كالمغيب بعدما صارت الرؤيا لديه شبه ضبابية

وتداخلت الأصوات ببعضها البعض, دفع باب غرفةٍ فارغة واستلقى على السرير ليغطَ من فوره بنومٍ عميق.

**********

تحادثت نور مساء اليوم التالي مع والديها عن دلال وحاجتها لمنزلٍ يأويها وبعد مباحثاتٍ طويلة رحب رضوانُ وعبير بالفكرة فلم تتردد لحظةً واحدة بالاتصال بدلال وإخبارها عن موافقتهما, وطالبتها بتجهيز أمتعتها لتأتي جمانة لاصطحابها, وفعلاً في صباح اليوم التالي كانت دلال قد تجهزت و وضبت أغراضها, ودعتها اليسا وعانقتها بحرارة:

-سأشتاقُ لكِ جداً, لا أعرف ما الذي سأفعلهُ بغيابك.

ربتت دلال على كتفها وقالت بتأثر: وأنا أيضاً لكننا سنلتقي يومياً بالمستشفى, بلغي تحياتي لشقيقك, وواظبي على الطريق إليه يا اليسا, فهو من سينتشلك من بؤسك. عن اذنك.

وغادرت دلال لتضع حقائبها بالسيارة ولم تفهم من هو الذي ستواصل طريقها اليه!! نادت بعدها اليسا بصوتٍ مرتبكٍ لجمانة:

-كيف...هو مراد؟

أجفلت جمانة كمن لسعه تيارٌ كهربائي من سؤالها واستدارت ناحيتها : يحاولُ أن يكونَ بخير,

-قسوتُ عليهِ بآخرِ لقاء أليسَ كذلك؟

قالتها مجدداً أليسا بضياع وألم لتتطلع جمانة بينها وبين دلال التي ما تزال تضع الحقائب وقالت بتشتت: ربما.

ثم تنهدت وأمسكت بكتفِ اليسا وقالت برجاء: هل ما تزالين تكنينَ مشاعرَ لمراد,

قاطعتها اليسا فوراً نافية: لا, لا أكنُ له أيةُ مشاعر, انسي كل ما قلته, مجردُ سؤالٍ فقط. كان يجبُ أن أعامله بطريقةٍ أخرى عندما جاء لتقديم العزاء, لقد تغيرَ الكثيرُ يا جمانة, الكثيرُ فعلاً قد تغيرَ بحياتي, وأولهم أني

صرتُ أرى الحياةَ من وجهةِ نظرٍ عقلانية, لن أدعَ نفسي عبدةً لآلامي بعد اليوم, الحياة ستستمر أليس كذلك.

-بلى... الحياةُ ستستمر, بحلوها ومرها,

ثم أردفت بعد صمت.....ودكتور هشام ؟

تساءلت بغتةً لتتطلع فيها اليسا بارتباك : ما به؟

وبذاتِ اللحظة رن هاتف اليسا فتعالت ضحكات جمانة وهتفت: ابن حلال " ثم غمزت لها وأردفت وهي تلوح لها مبتعدة : أنتِ من سيخبرني مابه, لكن ليس الآن, اتفقنا.

ضحكت اليسا وقد احمرت وجنتاها ودلفت للداخل لتجيبه بينما انطلقت الفتاتان لفيلا رضوان.

وصلت جمانة برفقة دلال لتفاجئ من روعةِ هذا المكان!! لا تعرفُ لمَ شعرت بخوفٍ دفينٍ بأعماقها من معيشتها هنا, لكن فعلاً عليها أن توفر القليل من النقود قبل أن تستقر فوالدها لا يترك بحوزتها سوى القليلُ فقط بالكاد يكفيها, استقبلتها عبير بحبور مما أزاحَ القليلُ من التوتر من لقائها, وقد كانت عبير فعلاً نعم السيدة , أوصلتها إلى الطابق الثاني حيثُ الملحق الذي كان يقطن فيه آدم قبل زواجه من نور, كان مرتباً ونظيفاً ويبعثُ الراحةَ في النفس, صحيحٌ أنه يغلبُ عليه الطابعُ الذكوري لكن لا يهمها, المهم أنها ستمكثُ بمنزلٍ مؤمن بالقربِ من أناسٍ يخافون الله.

غيرت ملابسها بعدما شكرت السيدة عبير وارتدت إسدال الصلاة لتؤدي صلاة الظُهرِ بينما لاعبت جمانة ابنها جواد في الطابق السفلي وعبير شرعت بتجهيز طعامِ الغداء بمساعدة الخادمة , طُرِقَ البابُ بعد قليلٍ ليطل كريم وقد فتحت له الخادمةُ الباب, غمز لها و همس سائلاً عن زوجته التي كانت كعادتها تحبُ الجلوسَ بالحديقة الخلفية أمام حوضِ السباحة, شكرها ثم خطا بهدوءٍ بعدما ألقى التحية على زوجة عمه عبير ناحية الحديقةِ الخلفية حيثُ تجلسُ جمانة ليتقدم منها بهدوءٍ من الخلف وما كاد يقترب حتى قالت باستهزاء:

-العب غيرها !! استطيعُ استنشاق رائحة عطرك عن بعد ألفِ ميل..

تعالت ضحكاته هذه المرة عالياً وهو يضع بثقلَ ساعدة على كتفها قائلاً بعبث : ألن أنجح مرةً بإخافتك؟

راقصت حاجبيها نافية وقالت :ِلمَ حضرتَ باكراً ؟

فقال وهو يقرصها من وجنتها: حماتي دعتني لتناول الملوخية...ياااه رائحتها تُدغدغُ القلب.

-ألا تفكر إلا بمعدتِكَ يا رجل!! قل أنك اشتقتَ لي, لجنيتك , لحبيبتك!!كما كنت تفعل سابقاً..

حك ذقنه عابثاً ثم قال وهو يجثو على ركبته أمامه: اشتقتُ لجنيتي العنيدة ...لحبيبتي التي أذوب فيها عشقاً" ثم نهض وقد أخذ نفساً عميقاً وهو يخطو مبتعداً عنها : لكن والحق يقال... لو كانت الملوخيةُ أنثى لتزوجتها, اعذريني أحبها أكثرَ منكِ.

لتتعالى ضحكاتها وهي تهزُ رأسها بيأس منه ..تركَ جواد السيارة التي كان يلعب بها بالحديقة وركض ناحية والده الذي تلقفه بين ذراعيه ليسقطا معاً على الأرضِ وسط قهقهاتِ الصغير الذي لم يهدأ وهو يكيلُ اللكماتِ لمعدة والده الذي بدأ منذُ مدةٍ يعلمه الملاكمة!

**********

كان هشام يستمعُ لأغانيه المفضلةِ ويدندن معها وهو يجهزُ طبقاً من المعكرونة التي لا يجيد تجهيز غيرها, انتهى وجلس أمام الطاولة بعدما وضع الطبق الذي يتصاعد البخارُ منه, أمسك الشوكة وشرع بالتهام طبق المعكرونة بتلذذ حينَ رن هاتفه فتلقفه مجيباً بعبث: أهلاً...الشيف بوراك يتكلم"

تعالت قهقهات والدته فقالت : إذن تأكلُ المعكرونة كعادتك!

تنهد بحسرة مجيباً : لا تذكريني بمأساتي... لكن لا هناك تنويع, فمرة تكون بالصلصة ومرةً بالخضار أو اللحم.

-ممم فعلاً تنويعٌ فعلاً, أنت لو تقتنع مني وتتزوج ابنة خالك فاطمة.....

فقاطعها هشام فوراً مكملاً حديث والدته : أه..... لو تتزوج ابنة خالك فاطمة فهي سيدةُ منزلٍ رائعة وطباخةٌ ماهرة وتحيكُ الجرابات بشكلٍ جيد وتتقافزُ على الجدران!! ...وكأنني سأتزوجُ مدبرةٍ للمنزل يا أمي أليس كذلك!! أريدُ أنثى يا أمي... أنثى, ليسَ مجرد آلةٍ للطبخ والتنظيف.!!

تنهدت والدته وقالت تحاول مجاراته: نعم تريدُ أنثى من بنات هذا الجيل ممن لا يجدن صنع طبقٍ من البيض و حين تتزوجها وترجعُ لمنزلك وتلك الخرقاء لم تعد لكَ شيئاً سيخرجُ الطابعُ الذكوري وتبدآ بالشجار!..

وضع الشوكةَ من يده وقال ممازحاً والدته بحب: بل اريدُ أنثى متكاملةٌ كحالكِ يا غالية...عظيمةٌ في تنظيمِ منزلها وعاشقةٌ مع زوجها ومثقفة , طلبي ليسَ صعب لكن اعذريني فاطمة ليست أكثر من مرآةٍ لوالدتها ممن يؤمنون أن السيدة للتنظيف والطبخ ! عندما أقول لها مرحباً تحدقُ في كالبلهاء لتنتقي الكلمة المناسبةَ للرد!

-هذا خجلٌ يا بني.

-لا اعذريني هذا هَبَل!

صمتت والدته للحظاتٍ انشغل فيها بإكمالِ التهامه لطبقه فقالت بمكر: ولد!! هل هناك إحداهُن ببالك!؟

شرق المعكرونة وتعالى صوت سعاله فتلقف كأس الماء ليتجرعه ثم أجاب بخبث: معكرونة حمقاء أخطأت طريقها لمجرى التنفس!!

-هشام!!

فأجاب والدته ضاحكاً : ربما, من يدري.!

**********

أنهت دلال توضيبَ أمتعتها بداخل الخزانة واستلقت على السرير قليلاً تفكر بالمستقبل الغامض الذي ينتظرها, تنهدت وخرجت بعد دقائِقَ تستنشقُ الهواء العليل في الشرفة المطلةِ على الحديقة... إنه بيتُ رائع ! نطقتها بانبهارٍ وهي تجول بعينيها أرجاء المكان حتى اقتربت سيارةُ مراد وعبرت البوابة الحديدية وترجل منها بوقاره المعتاد الذي وعلى الرغم من مسحةِ

الحزت البادي على سحنته إلا أنه ما يزال ذو هيبة وخاصةً بعد أن بدأت بعضُ الشعيراتِ الرماديةِ بالتخلل بين شعيراته الداكنة لتضيفَ له المزيد من الوقار, غضت بصرها عنه ودلف إلى الداخل على صوت طرقاتٍ على بابها, حيث دخلت جمانة لتدعوها لتناول العشاء. اعتذرت بلباقةٍ وخجل وتعللت بأنها متعبة وتريد النوم قليلاً فما كان من جمانة إلا أن تتفهم ارتباكها وخجلها كونهم غرباء عنها ولم تزد بإصرارها لذلك سارعت بالمغادرة, وأوصت عسل بأن توصل لها حصتها من الطعام إلى الأعلى, وعلى المائدةِ اجتمع رضوانُ وزوجته وكريم وجمانة وعسل ومراد ...وحتى عابد الذي عادَ لتوه من سفره حيثُ كان يريحُ نفسه قليلاً بعيداً عن أجواء المدينةِ وصخبها,

لفهم جوٌ من الألفةِ والمودة ومراد مجردَ نظرةٍ لم يمنح جمانة, بل كانت نظراته قاسيةٌ جداً, يحدقُ بطبقهِ وكأن أمامه وحشٌ مفترس لا يريد إظهار ضعفه ناحيته, وبذاتِ الوقت كان كريم منتبهاً على تصرفاته ونظراته, يحصي حتى عدد أنفاسه,

بعد العشاء لاعبَ مراد الصغير جواد قليلاً في غرفته كعادته كلما يلتقيه قبل أن يغفو على حجره فيقومُ بكلِ هدوءٍ ويضعه على السرير ويحكم غطاءه ثم يخرج من الغرفة. انضم لهم مجدداً وقد بدا أكثر ارتياحاً وتناسى الجميعُ اخباره بالضيفةِ التي تقطنُ بالشقةِ العلوية حيثُ انشغلوا بأحاديثهم مع عابد وخاصةً بعد أن انضم لهم آدم ونور الذي اشتاق لوالده جداً.

**********

## الفصل الرابع عشر

*الذكريات الجمَيلة أصبحَت تأتِي على هَيئةِ وجع. ذكرياتنا، ماضينا، أشخاص مروا بحياتنا وأصبحوا ذكرى، وأشخاص يشدون الرحال إلى عالم من البعد والاشتياق، وبين النسيان والذكرى. رحلوا ولم يتركوا لنا سوى بقايا ماضي، عطر لا ينسى، صوت نتمناه، حضن نفتقده، حب يكبر*

*ويقتل، صور صامتة، شوق لا يبرد، دموع لا تجف، ألم لا ينتهي، منزل خالٍ مليء بالذكريات، وثياب معلقة تقتلنا بين الحين والآخر*

**منقول**

**********

لم تكن المشكلةُ بأنها تحبه بل بذلك الشرخُ الكبيرُ الذي تركه داخل صدرها قبل تلاشيه من حياتها, ذكرياتُ اَلْحُبّ الأول, همسةُ العشق الأولى, القبلةُ الأولى, ذلك الاحتواء الذي شعرت به بين يديه فيما مضى, أن يكون صادقاً محباً, مُخلصاً. . . . وبلحظةٍ تكتشفُ أن تلك الذكريات واللحظات التي جمعتهما سوياً لم تكن سوى كذبة! كان هو ذلك القمر الذي أنار حياتها, محور الكون بالنسبةِ لفتاةٍ تبرعمت مشاعرها
على حبّ ظنته سيتخلدُ للأبد, لكن( كونه) هو وفضاءه. . . . كان يتسعُ لها ولأقمارٍ كثيرة!
ربما شفيت اليسا من حب مراد, لكن تلك الندبة لن تزول آثارها بسهولة وخاصةً بعد عودته من جديد, وكأنه قام بنبشِ التراب المتراكم فوق قبر ذكرياتهما سوياً فأخرجَ جثمان الماضي إلى السطح لينهشَ فيه أكثر. .
التقاها مصادفةً مساء اليوم ,وكأن الزمن بهذه اللحظة قد توقف بينهما عندما قابلته وجهاً لوجه بإحدى مطاعم المعجنات التي اعتاد أن يصحبها إليها فيما مضى, كانت جالسةً تلتهم البيتزا التي قامت بطلبها بعدما شعرت بالجوع وهي تتسوق. . . أما هو فخطى للداخل يحدوه الشوق لتناول فطير الجبن الذي يشتهر به هذا المكان رغم بساطته إلا أن الطعامُ فيه له نكهةٌ خاصة. . وربما ذكرياتهما فيه كان لها تلك النكهةُ الخاصة, توقف ينظر لها بابتسامةٍ هادئة بينما رفعت نظرها لتفاجئ به وقد تلوث محيطُ شفاهها بالكاتشب ضحك بهدوءٍ فتنبهت ومسحت فمها بالمنديل بحرج ورمته على الطاولة فتقدمَ منها بهدوءٍ قائلاً:
-فعلاً ما تزالين طفلةً عندما يتعلقُ الأمر بالبيتزا!
أشاحت بنظراتها عنه وحاولت أن تمسك الشوكة فقال بتردد: هل. . . بإمكاني الجلوسُ برفقتك.
هزت رأسها بصمتٍ موافقةً فسحب كرسيه وجلس, كانت أغنية خوليو أكليسياس ( أنا لم أتغير ) تنبعثُ بصوتٍ هادئ مما جعلهما يصمتان وينصتان إليها. . قال بعدما تناست وجوده أمامها وأكملت التهام البيتزا:
أنتِ فعلاً تغيرتِ كثيراً. . لكن عيناكِ ما تزالان دافئتين جداً مهما حاوطهما

الكحل و, أخفى حقيقتهما التبرج الذي تضعينه.
تطلعت فيه مجدداً وقالت بهدوء: لكنك لم تتغير مراد. . . لم تتغير أبداً.
أبعدت الطبق ومسحت فمها بالمنديل
-أعرف النهايات لا يشترط أن تكون سعيدة. . لكن البداية الجديدة يجب أن تكون صحيحة, ألا تدركين أني تغيرت كثيراً بل وخسرت كثيراً جداً" قالها بصوتٍ مهزوزٍ وهو يحدق بها بعينيٍ آثمٍ يطلب الغفران.
حدجته بنظرة غضبٍ وقالت محاولةً السيطرة على أعصابها المشدودة:
الزمن. . . . توقف عندي من اللحظة التي وأدت فيها حبي تجاهك, لذلك لن ألتمس التغير حتى ولو طرأ على شخصيتك. . . أنا أراكَ بعيونِ الماضي فقط"
ألقت النقود على الطاولة ونهضت لتهرب من أمامه فهرول تجاهها مسرعاً وصدع صوته عندما وصلا لباب المطعم:
-أعرف أن الجرح الذي سببته لكِ مؤلمٌ جداً ولن تشفي منه بسهولة لكن . . .وبلحظةٍ شدها إليه قبل أن تفتح الباب والتف بها ناحية المرآة الكبيرة المعلقة لترى انعاكسهما على المرآة وهو يمسك بساعديها ويقول بخفوتٍ من ورائها:

-انظري جيداً ... ألا ترين التغير الذي طرأ على كلينا, ألا تحصين التعب الذي تملكني والندم الذي نهش روحي طيلة سبع سنوات يا إليسا...

-سبع سنواتٍ عشتها أنتَ بقهر بمقابل..." اغتالت حروفها وقالت بقهر بعدما استدارت لتواجهه ولا يفصل بينهما الكثير :

-سبع سنواتٍ مقابل صفقةٍ رخيصة عقدتها مع والدي لتتزوج من قاصر, أعرف كل شيءٍ يا مراد , اكتشفت أمر تلك الأسهم التي بشركة إعمار والتي سجلتها لوالدي بعد كتب الكتاب مباشرةً, كنتُ مجرد سلعةٍ باعها والدي رحمه الله طمعاً بزيادة نقوده ونفوذه لطمته بإصبعها على صدره وأردفت : ولعبةً بيديك, لعبةٌ تؤمن أنت بقرارة نفسك بأنها لا تجابه خيانتك لأنها صغيرة, لم تصد ق بأني من الممكن أن أتجرأ أنا بطلب الطلاق مهما فعلت أنت , نعم تغيرنا كثيراً لم أعد تلك الحمقاء الساذجة التي تؤمن بالحب, أصلاً عندما تعرفتُ عليكَ كنتُ ما أزال مراهقةً لم تعرف معنى الحب, وبعدما عرفت كل شيْ وفهمت كل شيء تمنيت لو أني لم أعرف الحب...ولم أعرفك, لو أستطيعُ محوَ الماضي, لمحوتك من حياتي.

كان صامتاً يحدق بها, أتعبته المواجهات فعلاً.. أولاً جمانة وكلماتها التي سحقت روحه , والآن كلماتُ هذه الصغيرةِ التي لم تعد كذلك, لم يعثر على كلمةٍ ينطقها بين جنون كلماتها مشاعره هذه اللحظة بل اكتفى بالتحديق فيها بصمتٍ خانق...أردفت :

-أخبرتك منذ سبع سنوات بأن جروح الروح لا تشفى ... والآن أعيدها لك جروح الروح لا تشفى, بل و الألم الذي زرعته بداخلي انتشرت شظاياه وانغرست بقلبي كساكينَ مزقتَ لحمي دون أن يرفَ لكَ جُفن, أنت لم تحبني طيلة زواجنا, لم تبادلني تلك المشاعر الصادقة التي كنتُ أكنها لك فعلامَ تريدُ الصفحَ مني!!؟

فتح مراد الباب لتهب الريح محتضنةً جسده الذي ارتعش وغادر دون أن يتفوه بحرف بعد وابل كلماتها القاسية ليستقل سيارته ويجلس فيها بينما اليسا راقبته من خلف الزجاج وهو يجلسُ بداخلِ سيارته وكأنها بهذه اللحظة تمنت فعلاً أنها كانت أقل قسوةً معه, لما دائماً تقسو عليه بهذا الشكلِ كلما تقابلا؟ كذبت عليه عندما أخبرته أنه لم يتغير, ربما كانت تقصد أنه ما يزالُ يضع ذات العطر الذي عشقت استنشاقه فيما مضى, ما يزالُ على نفسِ الأناقةِ والوقار... لكن الموضوع فعلاً اتخذ منحنىً حاداً جداً, هذا الرجلُ ليس مراد الذي تعرفه, روحٌ أخرى بجسدِ مُراد...غابت داخل المطعمِ لدقائق ثم خرجت لتراه ما يزال جالساً بسيارته مغمضاً عينيه وكأنه انفصل عن الواقع تماماً..

فتحت باب سيارته دون تردد واندفعت لتجلس على الكرسي المجاور ليفتح عينيه بتفاجئٍ من تصرفها فوضعت على التابلو فطيرة الجبن بعد أن ابتاعتها له وقالت بارتباك: أعرفُ أنكَ جئت لتشتريها!!

اعتدل على مقعده عندما عبقت رائحةُ الفطيرة بالسيارة وعلى الرغم من احتراقه الفعلي من كلماتها قبل دقائق إلا أنه أطلق ضحكاتٍ عاليةٍ وعيناه دامعتان ثم قال بعدم تصديق وبصوتٍ هامس: أنتِ...أنتِ مجنونة !!

عضت على شفاهها بحرج وخجل من كلماته ثم أطرقت رأسها على حجرها وانسابت دموعها بصمت فأمسك مراد بالمقود لينطلق بسيارته دون أن تعترض, لو قرر هذه اللحظة أن يأخذها ليغتالها ويدفن جثمانها بأحدِ القبورِ لن تعارضه! سار لمدةٍ وجيزةٍ ثم أوقف السيارة بعيداً عن

صخب السوق بمكانٍ هادئٍ نسبياً, مد يده بتردد ومسح وجنتها من الدموع ثم همس بحنان :

-أحببتُكِ إليسا, صدقاً, أحببتُ تلك البراءة التي كنتِ تمتلكينها, والتي ما تزالين متمسكةً بها, أنتِ تتصرفينَ على سجيتك, ببساطةٍ وعفوية, لربما لأن حياتي وبفترةٍ شبابي كنتُ طائشاً.. مثالاً للشابِ الثري, الذي يمتلك رغد الدنيا بأسرها, لم أفرق كثيراً بين الصواب والخطأ, حتى بعدما تزوجنا, حاولتُ جاهداً الالتزام.. لكن شيئاً طرأ على مشاعري لا أعلم حقاً..

-جمانة..

قالتها وهي تحدق فيه بانكسار فأومئ لها مؤكداً ببسمةٍ منهكة : جمانة, غلطةُ حياتي, كانت ذلك الغول الذي أسرني بأصفادٍ وأبى أن يحررني.

ضحكت هذه المرة من بين دموعها فأردفَ مجدداً: وها أنا أحترقُ منذُ ابتعادكما عني.. لن أكذبَ عليكِ مشاعري ناحيتها كانت قوية, وكنتِ باستسلامكِ وبراءتك لا ترحميننني كذلك .

مسحت دموعها وتناولت الكيس من على التابلو وأخرجت فطيرة الجبن ومدتها له مجيبة :

-والآن تغير كل شيء, أنا وأنت وحتى جمانة... ما رأيك بأن تتذوقها إنها لذيذة.

تبسم وتناول الفطيرة من بين يديها وقسمها مناصفةً ثم قال مؤكداً :

-نعم تغير كل شيء وإن سامحتِني فعلاً تناوليها معي, صحيحٌ أنها طريقةُ مصالحةٍ غبية لكن... ربما هكذا أفضل.

هزت رأسها مؤكدة وتابعت: طريقةُ مصالحةٍ غبيةٍ جداً وعلى الرغم من شعوري بالشبع سأشاركك بالقليل فرائحتها لا تقاوم !

تناول قضمةً من قطعته بينما شردت اليسا به قليلاً قبل أن تنطق مجدداً :

-سامحتك فعلاً...ربما منذُ زمنٍ طويل, لكن أرجوا ألا تطالبني بأكثر..

اندفع مجيباً : اطمئني أعرفُ أنكِ شققتِ طريقاً آخر لا وجودَ لي فيه, جلُ همي ومطلبي هو مسامحتكِ وفقط ولا أطالبكِ بأي شيءٍ آخر, كي أمضي أنا قُدماً كذلك .

-جيد" لم تستطع سوى أن تجيبه بهذه الكلمة ! وسط لطماتِ مشاعرها المتضاربةِ وهي برفقته... لاحَ شبحُ هشام من بعيد وكأنه ارتسمَ خلفَ الزجاج والآن بين ماضٍ ومستقبل تضاربت أفكارها, وأدت صوتها الداخلي وقضمت من الفطيرة!

**********

في تلك الليلة وبعدما عادت ظلت تتقلبُ في السرير بعدما شعرت بوحشةٍ تقتحم عالمها مجدداً بعد مغادرة دلال, جافاها النوم واقتحمت الأجواءُ كوابيس الواقع من جديد ,والديها اللذين توفيا, شقيقها الوحيد ساهر المسافر خارجاً والذي شق طريقه بعيداً عن الجميع ..حتى أقاربها ممن نبذهم والدها سابقاً بسبب أنانيته التي أبعدت الجميع, لم تجد يد العون من أحدٍ منهم! ومراد وبلحظةِ غباءٍ غريبة سامحته!

أنتِ وحيدةً أليسا ككلبٍ بائس! نطقتها بمرارةٍ وندت من عينيها دموعُ صمتٍ ووحشة, فما أصعبَ أن تشعرك جدرانك التي ألفتها بالوحشة, وكأن الجدران قامت بالإطباقِ على جسدها شيئاً فشيئاً, اعتدلت بمجلسها ونهضت بعدما بللت دموعها وسادتها, توضأت وتناولت القرآن الكريم وشرعت بالتلاوة لعلها تشعرُ بالطمأنينةِ والسكون فبهذه الأوقات أيقنت...أن التلاوة والتقرب من الله هي من ستداوي جراح روحها.

بينما لم يختلف الليل بتفاصيله عن مراد سوى بأن عائلته معه, وبجانبه, ويساندونه على الرغم من أنه قد أصبح بعمرٍ هو مُطالبٌ فيه بمعونة وسند والديه وشقيقتيه, هو أصبح عماد الأسرة بعدما أخذ الكِبَرُ من والده رضوان وأثبت نفسه وبجدارةٍ عليه...! كم مر العمرُ سريعاً به دون أن يدري!

حتى هو يعدو بالأربعين تقدم من مرآته متأملاً تفاصيل وجهه وتلك الشعيرات الرمادية التي أعلنت نفسها بجدارةٍ متخللةً خصلات شعره, لكثرة الهموم التي أثقلت صدره, لقد كبرتَ يا مُراد!! وها أنتَ وحيدٌ دون أن تؤسس عائلةً ككلبٍ تَعِس!!

نطقها كذلك عدما تراجع ناحية سريره ليجلس عليه وما يزال يحدق بمرآته وكأنه يواجه ماضيه وحاضره بجلسةِ حُكمٍ على فظائع ما ارتكبه سابقاً, كان يحتاجُ هذه اللطمة ليستفيق فعلاً, وروحه على الرغم من ألمها إلا أنه يشعرُ بسكينةٍ غريبة من حين رؤيته لإليسا هذا اليوم يكفي أنها سامحته, نطقتها لتزيل ذلك الهم الذي أثقل روحه, كانت تلك الفطيرة أشهى فطيرةٍ تناولها منذ أعوام ! وتمنى فقط لو أنه أعادَ الماضي مجدداً ومحى تلك السنوات من ذاكرته ومن الجميع, لتغير الكثيرُ فعلاً لكن حالياً لا فائدة من الندم

***

**********

وذلك الصباح بالنسبةِ لعسل, لم يكن كسابقيه, فالخيانة تختلفُ معانيها وتتسع, نُدركها فنشعرُ بخيبةِ أملٍ كبيرةٍ وكأن سكيناً قد غُرِسَ في صدورنا, كانت تمسكُ هاتفَ فهد هذا الصباح في السيارة وقد ندت دمعةٌ من عينيها, كانَ قد ذهبَ لشراء حاجياتٍ بطريقه فنسي هاتفه بداخل السيارة وحينها تعالى الرنين, مرة واثنتان لتتطلع عسل بهذا الاسم(عيادة) ظنت أن الأمر جلل لذلك الاتصال فارتأت أن تجيب لتخبرهم أن السائق مشغولٌ قليلاً....

-رجاء أخبري الدكتور فهد بأن موعد جلسته مع ميادة في تمام العاشرة.

-عفواً....أنا.. لم أفهم.

نطقتها عسل بلعثمةٍ واضحة وكأن أحدهم قد قام بصفعها بعنفٍ لتختل مداركها لثوانٍ قبل أن تقول السكرتيرة مجدداً:

-مريضتهُ ميادة, جلسته معها اليوم فهي بحالةٍ نفسيةٍ سيئة, حاولت الانتحار مجدداً , رجاء أخبريه.

كان الهاتفُ ما يزالُ مُعلقاً على أذنها حينما قدم فهد بابتسامته المعهودة وجلس خلف المقود يحمل بيده قطعة شوكولا قام بشرائها لعسل, تطلعت عسل فيه وكأن قلبها قد هوى ليتكسر وتتناثر أجزاؤه محدثةً دوياً سمع أصداؤه بكل مكان.... ضيق ما بين حاجبيه وعسل تقبض على هاتفه قبل أن تدمع عيناها وتدعي التماسك وهي تمد له بالهاتف وتقول بلهجةٍ كسيرة:

-مريضتك ميادة..... تحتاجك, دكتور فهد.

نطقتها بتمهل وهي تنظرُ لعينيه بشكلٍ مباشر فشعرَ وكأنه قد تعرى أمامها, تعلقت عيناه عليها محاولاً لملمة شجاعةٍ واهيةٍ لينطق أمام هذه الصغيرة التي قدمت له الكثير فعلاً من الشجاعة والقوة ما لم يقدمه الرجال !!, لم يكن يريدها أن تعرف الحقيقة بهذه السرعة بل وبهذه الطريقة تلك الفتاةُ استثنائية, شعرَ وكأنه خائن, خان مبادئه وأمانته وأخلاقه, وكأنه هذه اللحظة قد اكتشفَ ماكان غافلاً عنه, لم يكن يجدو به الكذب مهما كان السبب.!!

لم يمسك الهاتف من يدها فرمته على التابلوه وقالت بلهجةٍ آمرة : أعدني إلى المنزل وشكراً على تلك الكذبة اللطيفةِ التي مارستها معي, أسلوبٌ جديدٌ فعلاً لعلاج المجانين أمثالي!

ثم وضعت سماعات الأذن وشغلت موسيقى صاخبة لتتشاغل بها عنه.

-عسل , سأوضحُ لكِ الأمر" نطقها وهو يبعد إحدى سماعات الأذن فانتشلته منه بحدة وقالت بحنق :

-أعدني إلى المنزل أو اخرج من السيارة.

أخذ نفساً عميقاً قبلَ أن يشغل السيارة وينطلق بها عائداً إلى المنزل دون إيصالها إلى مدرستها...بينما هي كانت صلبةً جداً أمامه, صُلبةٍ لدرجةِ أن فؤادها قد تكسر لألفِ قطعةٍ وقطعة, من ذلك المجرم, من عائلتها والذي تواطئ معه منهم! أهي مجنونة!! أيرونها مجنونةً حقاً, أليست فتاةً سوية! ظلت تفكر بذلك طيلة الطريق حتى وصلت السيارة لانعطافة الشارع الذي تطلُ عليه الفيلا...

- توقف .

نطقتها بعدما شعرت باختناقٍ رهيب فنفذ مطلبها, وما إن أوقف السيارةُ حتى ترجلت منها وهرولت بسرعةٍ وصارت تركضُ بكل قوتها.... انتشل مفاتيح السيارةِ على عجل وحاول مجاراتها وناداها لكنها لم تستجب له حتى توقف بعدما يأس من اللحاقِ بها فقد كانت سريعةٌ جداً, تعالى لهاثه وإنهاكه فلا قدرة له على المواصلة وإلا هاجمته نوبة الربو مجدداً, حاول

جاهداً السيطرة على آلام صدره ولاحقها بعينيه وهي تركضُ بهذا الشارع الطويل, كانت جراح قلبها هي من تمدها بالقوةِ لتركضَ بسرعة... ظلت تركض حتى تهاوت على ركبتيها بمنتصفِ الشارع, سار ناحيتها وقد تعالى تنفسها وقد كانت الشجيراتُ تظللها على الجانبين بأغصانها ...انسابت دموعها وكأن لا قدرة لها على إيقافها... صرت على أسنانها بغضبٍ حينما حطت كفه على كتفها فانتفضت واقفةً ودفعته بغلظةٍ على صدره وهي تقول بهسيسٍ حانق : من أخبركَ بأني مريضة واحتاجُ طبيبَ مجانين!!

دفعته مجدداً وقالت بحنق : هل أنا مجنونة!! الاختلافُ أصبحَ جنوناً بقاموسكم ! كنتُ أثقُ فيك....أنتَ, أنتَ الوحيدُ الذي شعرتُ بأنه يفهمني!!...

-لستِ كذلك أبداً يا عسل, أخبرتكِ سابقاً, أنتِ مميزة, كانوا يريدون مساعدتك فقط, لم يفكر أحدهم بلحظةٍ أنكِ مجنونة, ولا أنا

-أحدهم!! إذن جميعُ من في المنزلِ يعرفُ أنك تقومُ بعلاجي بهذه الطريقةِ الرخيصةَ!!

-لم أكن أنا سوى وسيلةٍ لمساعدتك, لإيجادِ ذاتك الضائعة....لكني اكتشفتُ بعدما عرفتكِ أن ذاتي أنا هي الضائعة, أنتِ قوية, طموحة, مميزة, أنا لا أكذبُ في ذلك, صدقيني كنتُ سأعترفُ لكِ بكلِ شيء

تطلعت فيه بعيونٍ تحجر الدمع فيهما ثم قالت بقهرٍ قبلَ أن تغادره باتجاه منزلها:

-قدم تقريركَ النهائي لهم إذن واخرج من حياتي مُرتاحَ البال...انتهت مهمتك دكتور فهد.

**********

## الفصل الخامس عشر

قال نزار قباني فيما مضى...إن الحروفَ تموتُ حينَ تُقالُ ,

لكن ألا تدركون أن تلك الحروفَ ذاتها وعلى الرغمِ من بساطتها في كثيرٍ من الأحيانِ تقومُ بإنعاشِ قلبٍ وأده الإنهاكُ والحزن! كلمةٌ ننطقها بصدق تُشفي أوجاع الروح , وكلمةٌ أخرى قاسيةٌ ربما ننطقها كذلك لمن نُحِب وحتى ولو دون قصد فنودي بقلبه إلى التهلكة, فرجاء رفقاً بقلوبِ أحبائكم, رفقاً بمشاعرهم لأن ذلك الجرح الذي تسببونه لن يداوى بسهولة..

كانت عسل قوية, وعلى الرغم من سنواتِ عمرها التي لم تتجاوز الخمسة عشر إلا أنها تريدُ أن تثبت لنفسها وللجميع أنها قويةً وضد الصدمات ! ربما بعد ابتعاد أخيها الوحيد مراد منذُ سنوات عنهم وسفره الطويل وتزوج نور وآدم وانشغالِ والديها بحزنهم على ما حل بأسرتهم, ظلت تلكَ الصغيرةُ تكبرُ فيما بينهم, وربما على هامش حياتهم, فالأولويةُ دائماً للغائبين وللماضي, تقربت بتلكَ الفترة من جمانة وكريم بزياراتٍ شبه يومية, تعلمت الملاكمة منهما وبعدها التحقت بدوراتٍ للدفاع عن النفس والكاراتيه, قصت شعرها حينما بلغت الثالثة عشرَ من العمر وحينها فاجأت الجميع بما فعلت, حتى ألبستها الطفولية من حينها تغيرت تماماً وصارت أكثر غرابة واسوداداً, وتعودت من حينها أن تمسحَ الحُزنَ من قلبها فقد نالَ منها لسنواتٍ طويلةٍ تجرعته من خلال نظرات والديها, من الأطعمة وحتى الأثاثُ حولها كان كئيباً طيلة سنوات !

حتى عاد مراد وتغير الكثيرُ , ضحكةُ رضوان وعبير قد عادت مشرقةً كالسابق, حتى نور بدت أكثرَ إشراقاً وحيوية, كريم وموقفه السلبي وجمانة الخائفة من عودة مراد, راقبت الجميعَ وتصرفاتهم أما هي فلم يتغير شيءٌ فيها, لأنها ببساطةٍ بالكاد تذكرُ شقيقها الذي غابَ لسبع سنواتٍ كاملةٍ تتأملُ صوره فقط من خلال الألبوم الذي كانت تشاهده عبير كُلَ يوم.!

وقفت على شرفتها تتأملُ نجومَ السماء الصافية مساء هذا اليوم, وتغطت بوشاح صوفيٍ يقيها برودة المساء بعدما قرأت رسالة فهد الأخيرة (( آسف )) تبسمت بتهكمٍ ورمت الجهاز على فراشها وكأن ما جرى سيداويه ذلك الفهد بكلمة آسف! هل ستعيد كلمته الواهية ترميم قلبها الذي تشقق, هل ستبكي! البكاءُ والهروبُ للضعفاء, هذا ما كانت تردده دائماً حتى اللحظة,

لطالما بكت في الماضي وحيدةً على سريرها بعد شعورها بالفراغ والوحدة بهذا السن الصغيرة ولم يزدها ذلك أو يداويها, لكنها هذه اللحظة لعنت ضعفها وبكائها البارحة أمام فهد! فهو أخرُ من كانت تتمنى البكاء أمامه, مسحت عينيها بسرعةٍ كيلا تشهد على بكائها نجومُ السماءِ كذلك وأطلقت تنهيدةً عالية عندما طُرقَ البابُ ودلف مراد إلى الداخل لأنها لم تتناول العشاء برفقتهم كذلك هذا اليوم, أطلَ بابتسامةٍ واسعة من باب الشرفة بينما تجاهلت وجوده ووضعت سماعات الأذن لتتظاهر بالاندماج بسماع الموسيقى, بل ورفعت الصوت كيلا تستمع لصوته وهو يناديها, توقف خلفها وانتشل السماعتين قائلاً بعتاب: لمَ تتجاهليني؟

-ولمَ قد أتجاهلُ أخي العزيز يا ترى؟!

قالتها ساخرةً بينما تحدقُ فيه بعينينِ ملتهبتين من الغضب, أطفئ الهاتف ليتوقفَ صخبُ الموسيقى وقال دون أن يحيد ببصره عنها:

-أعرفكِ صادقةً ولا تخفين شيئاً, ما بك ؟

فقالت وقد لطمته بإصبعها على صدره بغضب: وأنا....لم أكن أعرفُ أنكَ خائن, خُنتَ ثقتي بك ولن أسامحكَ أبداً.

تطلع فيها مراد مصدوماً وقال بقلق: ما الأمر يا عسل؟

رنَ هاتفه فتلقفه من جيب بنطاله الرياضي ليطالع اسم فهد على الشاشة فقد قرر فهد أن يحكي له ما جرى خاصةً أنها لم تعد تجيب عليه فازداد قلقه عليها, تطلع مراد فيها مجدداً وكأنه استشفَ سببَ غضبها, أمالت الهاتف لتقرأ اسم فهد بعدما طال الرنين ولم يجبه فقالت بحدة :

-ربما.... لو تحدثتَ معي بشكلٍ مباشر وعرضتَ علي الذهاب معك لمرشدٍ نفسي, صدقني سأفعلها, لكن أن تسخروا مني بهذا الشكل, أن تخدعوني ظناً منكم أنني مجنونة هذا ما لن أسامحكم عليه أبداً, أنت وأي أحدٍ تواطئ معكَ يا .... يا أخي.!

غادرت من أمامه فهتف بعدما أمسك بساعدها : ليسَ الأمرُ كما تتصورينَ يا عسل, كنتُ أريدُ مساعدتكِ فقط, لم أخبركِ لأني أعرف أنكِ ستتضايقين.

أفلتت ساعدها وقال بحدة بعدما استدارت لتواجهه مجدداً وارتفع صوتها :

-تعرف! وهل تعرفني يا أخي؟ هل تعرفُني حتى تلقي الأحكام من تلقاءِ نفسك؟ هل تعرفُ ما أحبُ وأكره؟ هل تعرفُ أكلتي المفضلة؟ لوني المفضل؟ أفكاري؟؟ أخبرني هل تعرفُ شيئاً عن أفكاري؟ أيُ الكتبِ أُفضّل؟ هل تعرفُ شيئاً عني, هل حاورتني من قبل, جميعكم يلقي الأوامر فقط...أوامر أوامر هذا ما أتلقاه منكم! ؟

دخلت عبير بعدما سمعت ارتفاع صوت ابنتها لداخل الغرفة فاستدارت عسل مجدداً وصرخت بوالدتها: حتى أنتِ ..حتى أنتِ لا تعرفينَ شيئاً عني, طيلةَ سنوات وأنت لا همَّ لكِ سوى مراد والبكاءِ على مراد الغائب, لا تعرفونَ عني سوى تلك الفتاة ذات اللسانِ اللاذع والشجارات الدائمة, بدلاً من سؤالي عما بي, أسألوا أنفسكم أولاً عما فعلتموه بي بتجاهلكم.

اندفعت خارجةً من باب الغرفة بينما حدقَ مراد بوالدته التي انسابت دمعاتها وسألت بقلق: ما بها ! ما الذي جرى؟

- لا تقلقي غاليتي ستهدأ بعد قليل

تعالى رنينُ هاتفه مجدداً فخرج من الغرفة هرباً من والدته و ليستفهم من فهد عما جرى بالتفصيل بينما كانت عسل قد هبطت نحو الحديقة وجلست على المقعد الخشبي وقد اعتصرت قبضتيها على ركبتيها وانسابت دموعها هذه المرة دون أن تداريها..

**********

دقائقُ أخرى مرت حتى تعالى صوتُ صياح رجُلٍ بعد أن دفع البوابة الحديدية وخطى بخطىً واثقة نحو الداخل وهو يصيح ويشتم, نهضت عسل بخوفٍ من هذا الذي يتهجم على منزلهم وأغلق مراد الهاتف من فوره وخرج ليستطع الأمر بينما كان الرجل ما يزال يطلقُ سيلَ شتائم عن ابنته عديمة الشرف والأخلاق التي تسكنُ بمنزلٍ مليءٍ بالرجال!

حاول مرادإيقافه للاستفهام عما به هذا الرجل حتى تنبهت دلال لصوت والدها فارتدت إسدال الصلاة وهرولت للحديقة بضيقٍ وخجل لما يسببه لها والدها من مشكلاتٍ أينما ذهبت, تطلع مراد بها بصدمةٍ من وجودها بالفيلا

فلم يكن بعد قد أخبره أحدٌ بوجودها بالملحق, بينما تقدم والدها كثورٍ هائج وسحبها من الإسدال وقال بصراخ: ما الذي تفعلينه هنا يا فاجرة أتريدين جلب العار لعائلتنا !

أمسك مراد بساعد الرجل وشد على قبضته قائلاً بحنق: احترم نفسك واعرف عمن تتحدث يا هذا.

خرجت عبير بعدها فوراً لتأخذ دلال الباكية لجانبها وتقول بغضب: ابنتك شريفةٌ وطاهرة وستبقى كذلك ايها الرجل, إنها تعيش هنا معي وتحت حمايتي, إياك وإيذائها

تعالى زئير الرجل وتطلع نحو الفيلا بشكلٍ ساخر قائلاً: يبدو أنها هنا لأغراضٍ دنيئةٍ لنفسكم... وربما هذا من جلبها لهنا لمتعته الخاصة!

وأشار لمراد باستهتار شهقت دلال من أقوال والدها الذي طعن بشرفها أمام الجميع وأولهم مراد الذي دفع الرجل بغلظةٍ من كتفه محذراً: كلمةٌ أخرى وأقسمُ بالله أن تكون الليل بائتاً بقسم الشرطة.

-لا والله أنا من سيحضر لكم الشرطة.

صرخ بها والد دلال بينما اشتد بكائها فقالت بألم: لا, لا ذنب لهم سأذهبُ معك يا أبي, سأذهب"

-ومن قال بأني أريدكِ بعد الآن !" أجاب الأب باستهتار فتشبثت بها عبيبر قائلةً بحزم: لن تذهبي لأي مكان مع أحد, نحنُ نريدكِ معنا.

ثم تطلعت بمراد نظرةً طويلة فهم معناها مراد جيداً, دخلت عبير برفقة دلال لداخل الفيلا بينما حاول مراد السيطرة على أعصابه قدر المستطاع وقال برصانة: الآنسة دلال هنا, تعملُ كممرضةٍ لوالدي مفهوم.

فغر الأب فاه ثم فرك كفيه ببعضهما قائلاً بهدوءٍ نسبي:آه..آسفٌ لأني لم أفهم أصل الموضوع لكن تعرف أن ألسنة الناسِ لا ترحم.. ,إن كان الأمرُ لأجلِ العمل...سأتغاضى عن مبيتها هنا, لكن..

قاطعه مراد قائلاً بثبات: غداً سأحلُ بالموضوعِ بشكلٍ يرضيكَ أيها السيد.

فهم ما يرمي اليه مراد فسال لعابه بطمعٍ وقال مندفعاً: هل آتيك مساءاً؟

_لا, سيصلكَ كلُ شيءٍ لباب منزلك, أترك لي العنوان

قالها محدقاً بالرجلِ فأومئ له هذا الأخير وأذعن لأمره لينصرف بعدها حالماً بالغد !!

دخل مراد لداخل الفيلا ليحدق بوالدته ودلال التي انكمشت على نفسها بخجلٍ وما زالت دموعها تنهمر وهز رأسه لوالدته ففهمت أنه تفاهم معه.

رفعت دلال رأسها بخجلٍ وقالت له بعدما حطت نظراته عليها : آسفةٌ لما جرى, سألملمُ أغراضي وأرحل لا اريد التسببَ لكم بالمتاعب وشكراً جداً لوقوفكم بجانبي.

-لن تذهبي لمكان وأخبرتك بذلك" قالتها عبير بعتاب فقال مراد معقباً: مرحبٌ بكِ هنا آنسة دلال لكني تفاجأت فقط من وجودك لا اكثر فلم يخبرني أحد نظراً لانشغالي طوال اليوم خارجاً.

-هيا امسحي دموعك وسأذهب لأعدُ لكِ كوباً من شاي الأعشاب عله يريحك قليلاً" نهضت عبير فأومأت لها دلال شاكرةً بينما تقدم مراد أكثر ليجلس قبالتها قائلاً بهدوء: حللتُ الأمر وكلُ شيءٍ سيكون بخير إن شاء الله, لا تقلقي, أنت الآن بحمايتنا آنسة دلال, اعتبريني بمثابة شقيقٍ كبير وأي شيء تحتاجينه اطلبيه دون تردد, اتفقنا.

عضت على شفاهها بحرج من دفئ كلماته وصدقها, ومسحت دموعها قائلةً : شكراً لك سيدي, شكراً.

رن جرس الباب بهذه اللحظة لكنه أجابها:

-لا عليكِ آنستي هذا واجبي" ثم أضاف باسماً حينما دلف كريم من الباب بعدما فتحت له الخادمة : على الأقل هناك من سيعالج ارتفاغ ضغطي بسبب هذا الأحمق كتلة المصائب المتحركة! " تبسمت دلال بخجل و قهقه كريم بمكرٍ وتقدم أكثرمن مراد وسحبه قائلاً :

-لن تداوي ارتفاع ضغطه فقط صدقيني" وغمز لها دون أن يفهم دلال أو مراد شيئاً من حديثه.

-ما سرُ هذه الزيارة المباغتة يا ترى؟

تساءل مراد لتجيب عسل وقد هبطت درجات السلم وهي تحمل حقيبةً صغيرة: أنا من دعوته,

تقدمت أكثر قائلة: هيا كريم.

سبقته عسل ناحية الباب بشموخ دون أن تلقي بالاً لمراد الذي توقف مشدوهاً بمكانه فرفع كريم يديه باستسلام ثم أشار له بأنه سيحادثه لاحقاً وغاب وراء عسل التي خرجت لتنتظره بجانب السيارة.

احتقنت ملامح مراد وارتد جالساً بينما دخلت عبير مجدداً للصالة وهي تحمل كوباً من شاي الاعشاب نهضت دلال لتتناوله منها فتساءلت عبير : من الذي حضر؟

-ابنتك دعت كريم ليصحبها لمنزلهم.

ارتد عبير جالسةً على الأريكة بحزن وقالت باندفاع: ما بها؟ ما الذي جرى ؟؟

تلكئ مراد قليلاً فشعرت دلال بالحرج فبدى بأنه سيحكي شيئاً خاصاً بالعائلة لذلك استأذنت منهم بأدب وخرجت لتصعد إلى الملحق, هز مراد قدمه بعصبيه وشرع يشرح لوالدته ما الذي فعله بالاتفاق مع والده و الطبيب فهد.

**********
*

كانت اليسا منشغلةً طوال اليوم بالتحضر لمجيء شقيقها ساهر, فها هي تقوم بإعداد مختلف أنواع الأطعمة التي تتذكر بأن شقيقها يحبها, تساعد الخادمة في ذلك وتشرف على تذوق الطعام بين حينٍ وحين, فهي لم تره منذ أكثر من خمس سنوات حينما جاء بزيارةٍ سريعةٍ كعادته لم تتعدى الاسبوع قبل أن يعود مجدداً لحياته وعمله, لم تكن علاقتهم سيئةٌ حتماً لكنها كانت عادية, ربما ابتعاده عنهم منذ كانت اليسا لا تتجاوز الإحدى عشر عاماً وسفره قامت بصنعِ حاجزٍ بينهما, ذلك الحاجز الذي يخلف

المهاجر لنفسه وذويه, حيث يكون لا بد من اتصالاتٍ يوميةٍ لأقاربه ومعارفه ثم شيئاً فشيئاً تقل تلك الاتصالات لتتحطم أواصر تلك الروابط ولا يتبقى سوى مكالمةٌ كل بضع أيام وبعدها ربما كل شهرٍ أو عام!

لكنه شقيقها على أية حال, لأجل طفولتهما سوياً وذكريات البراءة ,كانت تتجهز أليسا, وربما كونها تحتاجُ فعلاً من يكون بجانبها بهذا الوقت.. تطلعت ناحية ساعتها وقد شارفت الشمس على المغيب وذهبت الخادمة لمنزلها بعدما جهزت كل ما قد يحتاجونه, أبدلت اليسا ملابسها على عجلٍ وانتظرت بلهفةٍ وصول شقيقها, وحين تمام الساعة السابعةِ مساءاً طرق الباب لتهرع فوراً ناحيته وتفتحُ الباب فتحدق به بصدمة!

-هشام!!

نطقتها بارتباكٍ بينما تفحصها هشام جيداً, بدت رقيقةً تتزين بثوبٍ أزرق يصل إلى ما تحت ركبتيها بقليل, تبدو مختلفةٌ فعلاً! تبسم بصفاءٍ قائلاً وهو يرفعُ كيساً يحمله:

-لم تجيبي على اتصالاتي ,كنتُ قريباً من هنا ففكرتُ أن نتناول العشاء سوياً..

ضمت شفاهها بخجلٍ كونها لا تستطيع دعوته للدخول فقالت بلعثمة:

-كنتُ.. كنتُ مشغولةً جداً.

-أسنبقى واقفين طويلاً إذن؟

تنحنحت بارتباكٍ ثم قالت بخجل:

-اعذرني لكن, أنا وحدي حالياً في المنزل دلال والخادمة ليستا هنا..

تدارك نفسه فوراً ليشعر بالحرج فحك شعر رأسه متمتماً باعتذارات:

-آه عفواً, آسف, لا عليكِ إذن سنتناوله بوقتٍ لاحق, لكن أجيبي رجاءاً على الهاتف كيلا أقلق مجدداً.

هزت رأسها موافقةً قبل أن يغادر مستقلاً سيارته وبعد أن اجتاز البوابة بقليل لمح سيارة أجرى تعبر البوابة انتابه فضولٌ جارف لمعرفة ضيفها الشاب فترجل عن سيارته المتواضعة التي استطاع دفعَ القسطِ الأول منذُ فترةٍ وجيزة وتسلمها اليوم, مشى بخطى حثيثة وسار حتى وصل ناحية البوابة لتتسع حدقتيه بصدمةٍ وهو يرى ذلك الوغد يحتضن إليسا بهذه الأريحية!! بل ويقبل يديها ووجنتيها!

قبض على البوابةِ الحديدية وشعر بغضبٍ هادر يجتاحُ كيانه وتأجج أكثر حينما دلفا سوياً ناحية الفيلا وأغلقا الباب:

-مستحيل!!

لم يفهم أو يستوعب هشام ما حصل فعلاً,بقي لدقائق واقفاً أمام البوابة الحديدية مشدوهاً مصدوماً ثم عاد ليجلس بداخل سيارته وهو يركز بنظراته على نقطةٍ وهميةٍ أمامه, لا بل كانت الشياطين هذه اللحظة تتراقصُ أمام ضوء سيارته الأصفر وصدره المضطربُ يشاركها رقصاتها بينما تعالت ضحكات اليسا المرحة وهي برفقة شقيقها ساهر و هما يتناولان طعام العشاء ويحكي لها عن مصائب ابنه المشاكس!

**********

## الفصل السادس عشر

عندما تقررُ أن تمتهن مهنةً كالطب عليك أن تؤمن بأنكَ تكرسُ حياتك لغيرك, بأي لحظةٍ وأينما كنت حينما يناديك واجبكَ المقدس عليكَ أن تهرعَ إليه دون كللٍ أو تململ, وهذا ما تؤمن به نور واستطاع آدم أن يتفهمه مرغماً, مساء هذا اليوم وحين استقلالها السيارة لعودة إلى المنزل بعد انتهاء عملها في المستشفى, رن هاتفها بإصرار لمرتين, أجابت الهاتف لتهتف بها امرأةٌ بجزع
))ساعديني. . . . . تأخر الإسعاف. . . . . زوجي يموت! ! )) استطاعت بعد جهدٍ أن تستمع إلى العنوان من المرأة التي لم تكف عن البكاء وانعطفت بسيارتها للذهاب إلى العنوان التي أملته لها المرأة وبعد مدةٍ وجيزةٍ وصلت للعنوان وترجلت عن سيارتها بعد أن توقفت أمام ذلك المنزل البسيط ذو السقف القرميدي الذي تحوطه أشجار الزيتون من كل

صوب.
اختفى القمر خلف السحب الرمادية التي على وشك التخلص من ثقل حملها, وتقدمت نورمبر البوابة الحديدية على الممر المرصوف بالحجارة والذي تتدلى من فوقه بعض أوراق العريش المائلة للاصفرار والمتساقط معظمها, حتى وصلت ناحية الباب الخشبي الموارب, كادت أن تطرقه لكنها استمعت لبكاءٍ صادرٍ من الداخل فدفعته ودخلت لتستقبلها فوراً امرأةٌ بالعقد الرابع من عمرها وهي تلطم صدرها وتقول باندفاع: إنه بالأعلى, وقع عن السلم وشج رأسه. . . إنه ينزفُ بغزارة! !
استمعت لها ثم هرولت ناحية الطابق العلوي وخطت داخل الغرفة التي أشارت ناحيتها المرأة لكنها توقفت بغتةً. . .
لا يوجدُ رجلٌ ينزف! جالت ببصرها تلك الغرفة عندما وقع بصرها على ذلك الرجل الذي يجلسُ على الكرسي ويدير لها ظهره! تقدمت أكثر لتستبين بهذه العتمة لكنها أجلت عندما تم إغلاقُ الباب وإقفاله بالمفتاح, استدارت بهلعٍ ناحية الباب الموصد وحركت المقبض بعصبيةٍ وبدأت بالصياح لكنها لم تتلقى إجابةً من أحد, بعد لحظاتٍ سمعت صوته يهمسُ بعد أن صار خلفها مباشرةً:
-أهلاً بالدكتورة.
**********
وكما الجبال متباعدة. . . هناك قلوبٌ أشدُ تباعُداً, اللهُ سبحانه خلق التراحم والمودة بين البشر, لكن بعضهم خلع الرحمة من صدره واستبدلها بالطمع والغدر كانت اليسا تود لو تلتمسُ رحمة ساهر واشتياقه لها, كانت تتمنى الو أنه جاء ليحميها, ليكون بجانبها ويساندها لاجتياز ما مرت به, ليتك لم تعد! : نطقتها بعدم تصديق وهي تتطلعُ بشقيقها الوحيد بعدما طالبها ببيع الفيلا والمعمل بل وجميع ممتلكات والدها, هزت رأسها بعدم تصديقٍ وكأنما قام بصفعها بقوةٍ بقراره,
_لم يجف تراب قبريهما بعد! !
قالتها بألمٍ فأجابها بلا مبالاة: رحمهما الله, الحي أبقى من الميت, أحتاج عمولةً لسد ديوني وتطوير أعمالي, بكافة الأحوال لن أستطيع إدارة المعمل هنا كوني مغترباً"
-وأنا! !؟
-لديكِ عملكِ الخاص ,ومنزلٌ صغيرٌ يكفيكِ, وسأتركُ لكِ السيارة.
اغتال ساهر قلبها بقسوته الظاهرة, ضمت كفيها على صدرها وهي تتطلعُ بالفيلا, لم يقطنوها كثيراً, لكن تكفيها ذكريات وجود والديها فيها, يكفيها

جدران هذه الفيلا التي احتضنت آلامها وأفراحها, تكفيها هذه الجدران التي عزفت بين أروقتها نغمات الوحدة والسكون والطمأنينة,
-لا أستطيعُ بيعَ الفيلا. . لا أستطيع.
-لم أحضر لسماع رأيك, جئتُ لإنهاء الأمر, ولمَ لم تعودي لزوجك حتى اللحظة وقد عاد من سفره منذُ عامٍ وأكثر! ! سأفكر بإرجاعكِ إليه أيضاً كيلا تبقي بمفردك وكونه ثريٌّ لن تحتاجي لِشَيّ كثيرٍ من ثروة والدك.
هزت أليسا رأسها بعدم تصديق, أيعقل أنه شقيقها! ! نهضت من على الأريكة وصرخت به: حتى بحياتي الشخصية ستتدخل بهذه الطريقة البشعة, ستأمرني بالعودة إليه وأنت أصلاً تعرفُ سبب طلاقي منه!
نفخ ساهر بعصبية وهتف محذراً: اسمعيني أليسا, أنا مسافر وأنتِ وحيدةً هنا أَتُعْجِبُك حياتُكِ هكذا, هذا بدلَ من أن تشكريني لأني أريدُ لكِ الاستقرار. !
ضحكت اليسا باستهزاء وأجابت ساخرة: بل تريدُ مني العودة إليه لنفوذه وثروته كي تستولي أنتَ على ثروة والديكَ كاملة.
جز على أسنانه بغيظٍ وقال بجدية: اسمعيني جيداً, كلامي سينفذ بالحرف, وسأذهبُ لملاقاته إن كان مستعدٌّ لإرجاعكِ فلن أتردد بالموافقة وحريٌّ بكِ أن تذعني لأمر شقيقكِ الكبير فأنا الآن وَلِيّ أمرك.
حدقت فيه بعدم استيعاب تنتظره أن يقول إنها مزحة لكن نظراته جادةٌ زيادة عن اللزوم, جادةٌ بطريقةٍ مخيفة! نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط وقد تجاوزت العاشرة مساءً ثم قالت وهي تهرول عبر السلم لتغيير ملابسها: لدي مناوبةٌ

بالمستشفى" هربت من أمامه كالمنومة كابحةً سيل دموعها, على الرغم من أنها قد قدمت إجازةً لأسبوعٍ طيلة فترة مكوث ساهر كي تبقى أطول فترةٍ ممكنةٍ معه, لكنها بعد يومٍ وليلة من مجيئه هربت من السكاكين التي يقوم بطعنها بها.
وصلت إلى المستشفى كالمغيبة وكلماتُ شقيقها تتدافعُ وتُعادُ على مسامعها, كانت تسعى للاحتماء به فقط والآن لا تعرفُ بمن ستحتمي. . . في الرواقِ الرئيسي تلاقت عيناها بعيني هشام الذي حطم آخر أملٍ لها بتجاهله المميت, مر من أمامها بعيونٍ لا روحَ فيهما, كانت تحتاجهُ جداً الليلة, تحتاجُ نظراته الحنون وكماته التي تَبُثّ الطمأنينةُ لروحها.
توقفت بالرواق بعدما مر وكأنها غير موجودة والتفتت إليه, لم يستدر, لم يعرها أَيّ اهتمامٍ وكأنها محيت من قاموسه, اعتصرت مئزرها الطبي

وأكملت طريقها بقلبٍ متهشم
الموتُ الحق. . . هو أن تموتَ وأنتَ على قيد الحياة, أن يتوقف قلبُ من تحب عن الخفقانِ لك, وأن تتوقف شفاهه عن مناداتك
ليس هشام من ذلك النوع الاندفاعي المتهور حينما يتعرضُ لصدمةٍ ما لكن على ما يبدو قد يفيدُ الاندفاعُ أحياناً, يدركُ أن أليسا لم تعطه وعداً صريحاً بحبه, لم تعطه أملاً حتى ولو كان وَهَيَّا وبالتالي ليست خائنة, لكن تلك اللطمة كانت موجعةٌ جداً له. . . ومن وجهة نظره العملية البحتة, العضو التالف يجبُ أن يتم استئصاله, وحبه لها صار ضاراً جداً لنفسه.
دلف إلى مكتبه خلع المعطف الأبيض ورماه بعنفٍ وقد استعادت ذاكرته صورة اليسا وهي بين ذراعي ذلك الرجل الذي لم يستبين ملامحه جيداً. . ربما هو مراد وقد عادت إليه! ربما رجلٌ آخر. ! !
ضرب بكفيه على الطاولة مغمضاً عينيه محاولاً طردها من تفكيره لكن كيفَ لجسدٍ أن يطرد روحه بإرادته! !
وبالكاد استطاع تمضية ساعات الليل حتى انتهاء مناوبته, ثم غادر المستشفى بسرعةٍ كالهارب من الجحيم متوجهاً إلى شقته واندفع لينامَ كالقتيل دافناً رأسه بوسادته,
استيقظ بعد عدة ساعاتٍ على رنين هاتفه فأجاب والدته التي أعلمته بضرورة الذهاب لزيارة خاله ,فعلى ما يبدو أنه متوعك ولن تستطيع هي الحضور نظراً لكونها في القرية وتشعرُ بالقلق على شقيقها, . . . لا يهم, سيحضر, ما عليه سوى إنهاء هذه الزيارة الحتمية كي لا ينهار الكون فوق رأسه ثم العودة لحزنه دون إزعاجٍ من أحد, توجه بسيارته ناحية منزل خاله فاستقبلته زوجة خالته بحبورٍ ومرح وكأنه التقت بِغَالِي للتو!
قام بالولوج لغرفةِ خاله مباشرةً الذي يعاني من نزلة برد وفحصه والاطمئنان على صحته ثم توجه للجلوس بالصالة حتى اختفى الجميعُ فجأة لتدلف فاطمة الخجولة لتقدم له كأساً من عصير الليمون, تبسم ساخراً ثم قال: والدك يحتاجه أكثر مني حالياً.

اصطبغت وجنتاها بحمرةٍ شديدة مجيبة: ألا تحبه, أأحضر لكَ القهوة؟, أو الشاي؟

تبسم محركاً رأسه بيأس: لا, شكراً لكِ سأشربه "

ارتسمت ابتسامةٌ على شفاهها التي أصرت والدتها أن تصبغهما بلونٍ وردي لتتماشيا مع لون ثوبها المائل للحمرة القانية وحجابها الأبيض,

كادت أن تهرب للداخل لكنها تلقت عند الباب نظرةً قاسيةً من والدتها التي وقفت كالحارس أمامها, لترتد يائسةً وتجلس بخجل أمام ابن خالها الذي تشاغل بالعبث بهاتفه بينما جلست هي مطرقةً رأسها كمن يستعدُ لتلقي التوبيخ من استاذه!

طال تشاغله عنها مما شجعها لرفع رأسها والنظر إليه, بل سرحت بلون شعره وعينيه, بعدد أنفاسه, بقميصه الأسود الذي لم يزده إلأ رجولةً وجمالاً, رفع رأسه لا إراداً ليمسكها متلبسةً تحدق فيه ببلاهة, اشاحت ببصرها عنه فوراً فنهض من مكانه قائلاً: يبدو أن والدتك مشغولة وأنا تأخرت, عن اذنك" لتنهض بدوها وقد شعرت بحرج شديدٍ منه, ظهرت والدتها فجأةً أمام الباب تحلف عليه أيماناً مغلظةً لتناول العشاء لكنه رفض وبالكاد استطاع التملص من براثنها.

خرج مطلقاً زفرةً قوية وقال بسخط: ألا يكفون عن إحراجها وإحراجي!!

*********

استدارت نور وقد جمدت الدماء بعروقها حينما رأت أمير بكامل أناقته وهو يتبسمُ لها تلك الابتسامة الشيطانية لتلتمع أسنانه كأنيابِ ذئبٍ شرش التي بثت الهلع بصدرها, نطقت بهسيسٍ مختنق:دكتور أمير! ماذا .... تريد مني!

مد أصبعه ليرفع ذقنها : منكِ لا أريدُ شيئاً.

ضربت كفه بعصبيةٍ وابتعدت وهي تهتف به: إياكَ وفعلها مجدداًوإلا أقسمُ بالله أن أحطم عظامك,

أطلق ضحكةً عاليةً ثم رفع يديه قائلاً بمرح: حطمي ما شئتِ بي أنا أمامك"

حدقت فيه بخوف ثم فتحت حقيبتها بيدين ترتجفان وأخرجت الهاتف فاندفع تجاهها فوراً وقذف بالهاتف أرضاً ليتحطم ثم قال بقهر وهو يعتصر ساعدها تحت قبضته الغليظة : سيأتي ذلك الوغد حتماً لكن ليس قبل أن نضع النقاط على الحروف.

انسابت دموعها بغزارةٍ وقد تملك منها الخوف: ما الأمر؟؟ ما الذي تريده!

قال بصوتٍ مختنق :

-وهل تظنين أن بإمكاني إيذائك... هل تظنين ذلك؟!

ابتعد عنها فجأة واستدار عنها قائلاً :بالمناسبة ربما فكرتُ بجمانة, واحدةٌ بواحدة... فكرتُ بوالده حتى, لكن"...

استدار ناحيتها وهي تتطلع فيه بصدمةٍ ليردف بعدما أنار الضوء : لكنني لستُ مجرماً, سأقومُ بقتله لكن.... بطريقةٍ أخرى, سأقتلهُ دون أن يسيلُ منه قطرةُ دماءٍ واحدة"تقدم منها مجدداً و لطمها بإصبعه ناحية قلبها قائلاً بقهر: سأقتله هنا ...فهذا أشدُ أنواع القتلِ إيلاماً.

-آدم !! ماذا تريد منه؟!

تجاهل سؤالها وتقدم ناحية الطاولة التي بآخر الغرفة وتناول صندوقاً خشبياً حمله وعاد ناحيتها قائلاً بغضب:

-بهذا الصندوق...هلاكُه....هلاكُ من تعتقدينه ملاكاً.

تفرست بملامحه التي تبدلت بطريقةٍ مرعبةٍ وهو يقوم بفتحه وقد تهيأت لترى مسدساً أو أداة قتل لكنها رأت مجموعةَ صورٍ فقط وبضعةِ زهورٍ جافة!!

-صور!! همست وهي تتطلع بأمير بصدمةٍ ليستدير ناحية السرير ليضعه عليه قائلاً:

-نعم.... مجردُ صور"

ثم اندفع ناحية الباب وفتح بمفتاح آخر كان بحوزته تاركاً نور وحيدةً بالغرفة أمامها ذلك الصندوق الذي أثار رعبها وحيرتها.

**********

## الفصل السابع عشر

الذكريات ....ماهي إلا مجموعة صورٍ مخلدةٍ في ذاكرتنا تغفو في سلامٍ حتى يحين موعد انبعاثها من جديد, تُطلق صرخة إحيائها مجدداً من همسةٍ ...من لمسةٍ وموقفٍ ومكان... ومن صورةٍ أحياناً!

كان رجم محتويات هذا الصندوق لا يرحم... كجمراتٍ من لهيب إحدى البراكين تتقاذف حممها لترجمها دون رحمة, تتلوى روحها مع كلِ صورةٍ تقلبها بكفها وتشهدها عينيها على من تظن أنه خان العهد والثقة في يومٍ من الأيام ! وتلك الزهور الجورية الجافة قصةٌ أخرى!!, خاتمٌ منقوشٌ عليه بإتقان...( آدم و بيسان(

امتلأت الأرضية والسرير بتلك الصور التي جمعت آدم وبيسان والرسائل المصورة كإثباتٍ للجريمة... تلك الفتاةُ التي كان لها الأثرُ في تغيير الكثيرِ بعد هذه اللحظة فبعضُ الأخطاءِ لا تغتفر إن كنا لا نعرفُ أصل الحكاية, كانت نور تشكُ بأنها تعرف هذه الفتاة فهي مألوفةٌ لديها, لكن ما لم تكن على درايةٍ به تلك العلاقة الوثيقة التي تبدو أنها تربط زوجها بها لم تنتبه على أنها ماضٍ بعيد, ملابسُ خليعةٌ كإحدى راقصاتِ الملاهي الليلية تتزينُ بها تلك الفتاةُ بأغلب الصور, وحتماً أغلبُ الصور ملتقطةٌ في مثل هذه الأماكن, ناهيك عن أنها ملتقطةٌ من هاتفٍ خليوي لكن تم طباعتها مؤخراً, طيلة ساعةٍ كاملةٍ كانت نور تتأمل تلك الكوارث المطبوعة بدموع تتساقط لتحرق مكان سقوطها كأسيدٍ يكوي الروح دون رحمة, أخبرته سابقاً أنها ستغفر كل شيِ إلأ الخيانة...والآن أثبت لها وبالدليل أن ذلك الحب عبر تلك السنوات ضاع بعد أن مزق فؤادها...

طيلة الوقت كان أمير واقفاً خلف الباب الموارب يراقبها بصمت بعيونٍ التهبت كذلك لذكرى شقيقته المتوفاة, لم يعرف هو أصل الحكاية وقدمها لنور بطريقةٍ خاطئة بتشجيع من والده, ... تقدم بهدوءٍ ناحيتها ثم ركع على ركبتيه أمامها, لم تنتبه له حتى أسند كفه على ركبتها وبالأخرى رفع ذقنها ليتطلع بعينيها الحمراوين, طبع الجرحُ أثراً عميقاً بتلك العينين البلوريتين وغرق هو بهما ليزداد ألم صدره وهمس : شقيقتي بيسان...كانت صديقته

بالجامعة وهذه الصور تثبت أنهما كانا على علاقةٍ وطيدة, مكالماتهما المتكررة, الرسائل على مدى سنوات, هذا الخاتم, الزهور....جمعتها لكِ مع أوجاعِ روحي ووضعتها بهذا الصندوق.

أتساءل أنا..... إن كان بينهما علاقة حب لمَ تزوجَ منكِ ؟!

ثم أردف بعد فترة صمت" انتحرت بسببه.

تنبهت لكلمته الأخيرة فشهقت وقد اتسعت عينيها بصدمةٍ أعجزتها عن الرد, من استلم الرد بالنيابة عن فمها هما عينيها اللتين لم تتوقفا عن ذرف الدموع لحظةً واحدة, أردف أمير بذات القهر الذي حبسه لسنوات: قفزت من على الشرفة أمامي وهي تردد أن أدم تركها وتزوجَ منكِ...بليلة استمتاع الجميع بحفلة زواجكما كانت شقيقتي مخضبةً بدمائها وشهرُ العسلِ الذي أغرقكِ فيه كان على حساب روح شقيقتي الوحيدة

نهضَ بغتةً وقد ضغط على عينيه بإصبعيه وأردف مجدداً بصوتٍ عالٍ: ماتت لتصاب والدتي بعدها فوراً بصدمةٍ حادةٍ سلبت منها الشعور بقدميها لتصبح أسيرة كرسيٍ لعين...ووالدي من حينها, لم يرحمني

ضرب الحائط بقبضة يديه وقال بغضب: سنتان وأكثر وأنا أحاول أن أعرف من هو آدم الذي ذكرته شقيقتي قبل أن تنتحر... والدي يهدد بكلِ لحظةٍ ويحرضني على الانتقام, والدتي العالقة بين الحياة والموت التي تنتظر منيتها كل ليلةٍ ويوم ترجوني أن أريحها من عذاب هذه الحياة...ولياليٍ عشتها أنا بقهرٍ وألمٍ عما حل بعائلتي بسبب زوجك النذل.

اقترب منها بسرعةٍ وصار يهزها بعنفٍ ويصرخ: ماتت والدتي بعد معاناةٍ وقهرٍ وألم وأنا عاجزٌ عن مساعدتها

.....بعدها رأيتُ الهاتف القديم الذي كانت تحتفظ فيه بكل شيءٍ جمعهما سوياً... عرفته واكتشفت من يكون, استوليت على المستشفى الذي يملكه عمي وابنه بعد أن كنا نمتلكُ أسهماً قليلةً فيه, كُنا قد طلبناكِ بالاسم كي تعملي فيه كمتدربة, كي

أصل لزوجك من خلالك, لأقبض روحكِ انتقاماً لها, كنتُ أراكِ كل يومٍ وأغذي روحي بالانتقام من زوجك من خلالكِ أنتِ....

ثم تراجع وقال بأسف :

حينما ضربتُكِ بسيارتي...تمنيتُ أن أدهسكِ بقوةٍ لأنهي كل شيء, لأشعرهُ فقط بمعنى هذا القهر الذي عشنا فيه بعدَ فقدها, لكن شيئاً خفياً منعني لأخفف سرعة السيارة فأصبحَ الموضوعُ مجرد حادثٍ بسيط!!

ضرب صدره قائلاً بحنق: هذا اللعينُ منعني عن أذيتكِ مراراً وما زال يمنعني حتى اللحظة, صار والدي يهددني بأذيتك هو لترتاح روحُ شقيقتي, وأذيةُ والدي حقودةٌ جداً"

ابتلع غصةً خانقةً بحنجرته ثم اردف:

-لن أتمادى أكثر ولن أخيفكِ , حساباتي كانت خاطئة منذ البداية " ابعدها عنه وثبت نظراته على عينيها قائلاً برجاء:

-اهربي, ابتعدي نور, ابتعدي عني وعن زوجك وعن المستشفى.... اهربي مني كمن تلاحقه الشياطين واحتمي بعائلتكِ فقط.

ثم دفعها عنه ليتعالى نشيجها, انتشلت حقيبتها وهرولت مسرعةً لتخرج من هذا المنزل الذي أصبح جزءاً من كوابيس واقعها بينما هو أخرج هاتفه ليتصل بالحارس وقال بصوتٍ متحشرج: راقبها...واطمأن على أنها بخير "

********

****

طيلة هذه الفترة وآدم قد تعاظم قلقله عليها بعد أن اتصل فيها لمراتٍ ومرات من حين خروجه من مقر الشركة حتى دخوله للمنزل لكن هاتفها مغلق, كان القلقُ ينهشه فعلاً وقد تأخرت في العودة للمنزل. لكن الآن نور كانت قد هربت فعلاً لتحتمي بين جدران منزل عائلتها, طيلة الطريق وصوت بكائها لم ينقطع لحظةً واحدة كمن فقدت عزيزاً. . . . كيف لا وقد فقدت روحها هذه اللحظة! , وصلت للمنزل واندفعت إليه بروحٍ ميتةٍ بعدما أفرغت شحنتها خارجاً تطلعت بوالدتها التي فتحت لها الباب, اكفهر وجهها

بقلق بعدما رأت حالة ابنتها, لكنها لن تبرر أي شيء. . . سقطت من فورها مغشياً عليها بعدما نال منها الإرهاق والصدمة مبتغاهما لتصرخ عبير صرخةً جعلت جميع من في المنزل يهرع ناحيتها, حتى دلال التي ما إن سمعت صوت عبير حتى اندفعت راكضةً لترى مراد قد حمل شقيقته ليريح جسدها على الأريكة, قامت دلال بإنعاشها قليلاً, في
حين تخاطب الجميع للاتصال بإحدى الأطباء وبشكلٍ طبيعيٍّ اندفعت دلال لتتصل بأول من سيظهر على شاشة هاتفها. . . . اتصلت بهشام الذي حتماً سيلبي نداء واجبه على الفور.
خرج مراد مسرعاً من الفيلا واتصل بمن ستلبي النداء كذلك دون تردد. . . . اتصل ب إليسا وهرع لإحضارها"
نصف ساعةٍ مرت حتى كان هشام يقوم بفحص نور التي شحب وجهها لدرجةٍ أخافت جميع من في المنزل عليها, ولم يكد ينهي فحصها حتى تقدمت اليسا برفقة مراد بقلقٍ عظيمٍ ناحية نور, دخلا ليفاجئ الثلاثة هذه اللحظة ببعضهم, اعتدل هشام وكمن لسعته كَهْرَبَاء في جسده, بينما اليسا تصلب جسدها للحظاتٍ من رؤيته بهذا المنزل, تفاجئ كذلك مراد من وجوده وبغيرةٍ رجوليةٍ أحس بلطمةٍ على صدره كونه يعرف جيداً مشاعر هشام لزوجته السابقة, تنحنح هشام قائلاً بمهنية وهو يتجاهل اليسا:
ضغطها مرتفع, بوادرُ انهيارٍ عصبي, تحتاجُ للراحةِ وستصبح بخيرٍ- إن شاء الله.-
وما كاد ينهي كلمته حتى دلف آدم مسرعاً بعدما هاتفته عبير كذلك, تعاظمت ضرباتُ قلبه وهو يهرول ناحية جسدها المسجى على الأريكة وهي نصفُ واعية. . تساءل بهلعٍ عما جرى, انقطعت نظرات الجميع لبعضهم حينما تأوهت نور وشرعت بالصراخ من جديد بطريقةٍ هستيريةٍ حينما رأت آدم أمامها" أيها الحقيير. . . ابتعد عني
,صرخةً جعلت اليسا تهرول ناحيتها بقلق بينما هشام قام بتثبيتها لحقنها بمهدئ وآدم يتراجع بصدمة من نور التي انطلقت بسبابٍ هادرٍ له بعدما أدركت وجوده.
ارتخى جسدها بعد لحظاتٍ بينما تطلعت عبير بآدم بصدمةٍ جلية ولم يتردد مراد بالاندفاع ناحيته حتى حشره على الحائط وصرخ بغضب: ما الذي فعلته لها! !
قلب نظراته على الجميع بعدم استيعاب فتقدم هشام ليحول بينهما بينما هرعت اليسا بعفوية لتتمسك بمراد:
-رجاء لنفهم ما جرى أولاً,

هز آدم رأسه بصدمة قائلاً: لا أعرف, أقسم بالله لا أعرف, أنا. . . . لم أرها طيلة اليوم حتى. !
كاذب" صرخ مراد بحدة لتسحبه اليسا مجدداً متأبطةً ذراعه ليتهاوى قلب هشام الواقف أمام آدم, وتأكدت شكوكه بأن من دخل شقتها هو مراد حتماً وقد رجعت إليه! !
قالت دلال بهدوء :رجاء دعوها ترتاحُ الآن وسأكون برفقتها إن احتاجت لشيء, لا وقت للشجار.
تقدم آدم ليحمل نور لإراحتها بغرفتها لكن مراد لطمه بغضبٍ وأبعده :لا تلمسها وأغرب عن وجهي هذه اللحظة!
تسارعت أنفاس آدم وهو يكيل النظرات الحاقدة على مراد وقال بحنق: لا تحملني مسئوليةَ جريمةٍ لم أقترفها, وهي ما تزال زوجتي.

تجاهله مراد وانحنى على شقيقته وحملها بين ذراعيه ليصعد بها إلى غرفتها بينما لحقت به دلال وعبير التي اعتذرت من هشام واليسا بتمتماتٍ غير مترابطة.

أما آدم فقد جلس على الكرسي بصدمةٍ لا تقل عن صدمة الجميع تجاهه وقد هوى قلبه بين قدميه فلا يعرف ما الجريمة التي اقترفها لتنهار بهذا الشكل ! , غادرت اليسا الفيلا بعدما طمأنته أنها ستكون بخير وألا ينزعجَ من مراد لأنه خائفٌ على شقيقته ,

تبعها هشام مغادراً مستقلاً سيارته أما هي فلم تكن تنتظر منه أن يقلها فتصرفاته الغريبة لم تترك لها خياراً ولا وقت الآن للعتاب أو الشجار، خطت للخارج وصارت تمشي على الطريق الذي اشتد ظلامه بينما هو رآها تمشي وحيدة فغلبته عاطفته وشهامته على غضبه منها, أطلق بوق سيارته ووقف بجانبها لتتوقف عن المسير, صدع صوته : اركبي سأوصلك.

-شكراً لا داعي سأتمشى.

-إليسا.....إركبي.

قالها بحدةٍ لم تلتمسها به سابقاً لتذعن لأمره بشكلٍ لا إرادي وتجلس بجانبه لينطلق بسرعةٍ جعلتها تتمسك بكرسيها وتهتف به بخوف: ما بك خفف السرعة سننقلب!!

-لننقلب...بجهنم " نطقها وهو يشد على المقود بعصبية كلما تذكر احتضانها لذلك الوغد وادخاله منزلها وعقله يؤلف أبشع السيناريوهات عنهما.

أمسكت كتفه وشدت عليه وصرخت فيه برجاء فدعس على الفرامل بقوةٍ لتتوقف السيارة فصرخت به بغضب :

-ما بك أتريد قتلنا!! ما بك!

ضحك باستهزاءٍ مجيباً: تسألينني وبكل وقاحة ! لكن...لم أظنُ بيومٍ أن تكوني بهذا الرخص, ظننتك امرأةً محترمة.

شهقت بصدمة من اتهاماته : هشام! أأنتَ مدركٌ لما تقول.

رن هاتفها فقد اتصل بها مراد بعدما أدركَ أنها غادرت بمفردها, تطلع هشام على الهاتف وكأنه أدرك أنه زوجها السابق فصرخ بغضب :

-إن كنتِ ستعودين إليه, لمَ جعلتِني كالأبله أطاردك وأحلم بك, لمَ أعطيتني أملاً كاذباً!!

-ما الذي تهذي به أجننت!! أنا ...أنا لا أفهم.

-سبحان الله....البراءةُ تشعُ منكِ حقاً!

ثم غارد سيارته وسحبها قائلاً بغضب: بإمكانك استقلال أية وسيلة مواصلاتٍ أو انتظار الحبيب لإيصالك من هنا انتهى دور المهرج بحياتك.

تركها عالقةً على الطريق وعاد لسيارته وانطلق مجدداً بينما راقبته اليسا بخوفٍ وصدمة وهي لا تفقه سر كلماته الجارحة وتصرفاته الغبية !!.عاود هاتفها الرنين مرة اخرى لتجيب على مراد هذه المرة الذي قال بعتاب: لمَ ذهبتِ بمفردكِ بهذا الوقت!!

-أنا...لقد رأيتكَ قلقاً على نور, سأكون بخير لا تقلق وغداً إن شاءالله سآتي للاطمئنان عليها.

-لااسمعي...سآتي لايصالك تأخر الوقت ابقي مكانك وسأكون عندك خلال دقائق قليلة لن تري وسيلة مواصلاتٍ تمر من هنا"

تطلعت حولها بهذا الشارع المظلم وتنهدت بيأس ثم قالت:

-نعم...أعرف أني لن أرى وسيلة مواصلات, أنا الآن قريبةٌ من منزل عمك.

-حسناً.. حسناً " قالها مراد ولم يستوعب كون المسافة التي قطعتها اليسا طويلةٌ نسبياً على أن تكون قد قطعتها سيراً على قدميها بهذه السرعة نظراً لانشغاله على نور, وهي لم تدرك أنها نبشت كذلك الماضي بكلماتٍ نطقتها دون وعيٍ منها...فهي تعرفُ أن هذا الشارع لن تمر منه وسيلة مواصلات والمسافة حتى الموقف طويلة.

وفعلا ماهي إلا دقائق قليلةٍ جداً حتى توقف بسيارته أمامها"

**********

جلست عسل بالحديقة برفقة جمانة وكريم وقد كانت قد شرحت لهما سابقاً سبب تركها للمنزل فقاما بالشرح لها أن مراد كان يخشى أن تسيء فهمه لذلك اختار طريق الكذب, لكن الكذب والخداع بقاموسها جريمةٌ لا تغتفر ,

-الحقيقة حتى ولو كانت قاسية هي من أنجى الطرق, لا يفيد الكذب سوى بزيادة أوجاعنا" قالتها لهما بثقةٍ عالية وهي تتطلع ناحيتهما بجرأةٍ وشموخ امرأةٍ عاركتها الحياة . تبسم كريم وربت على كتفها مجيباً:

-قد يفيدنا الكذب أحياناً, اعتبريها كذبة بيضاء من أخٍ خائفٍ على شقيقته.

تنهدت وقد شردت بوريقات الشجر التي تراقصها الرياح وهي تفكر بكلماته, ليست المشكلة فقط بكذبة مراد... بل بفهد, ذلك الرجل الذي أمنت له وحكت له الكثير فشعرت حقاً بأنه قد تم استغلالها من خلاله.

نهضت من على الكرسي قائلة بفتور: سأنام, تصبحان على خير" وخطت إلى الداخل فراقبتها جمانة بحزنٍ وهمست :

-وكأن هذه العائلة ينقصها مشكلةٌ أخرى!؟

تحرك كريم بكرسيه ناحيتها ضاحكاً: شاروخان بأفلامه لم يتعرض لمصائب هذه العائلة!!

حدجته بنظرةِ غضبٍ فقال باسماً : قلبُ هذه البلهاء أنصعُ من الثلج, إنها تربيتي "

هزت رأسها موافقةً ورفعت كوب النسكافيه الساخن وشربت منه القليل فمال عليها كريم أكثر وهمس بأذنها بكلماتٍ قليلةٍ فشرقت وأخذت بالسعال ارتباكاً وخجلاً, ضربها على ظهرها قائلاً بمكر: بسم الله !!

عضت على شفاهها بحنقٍ وهي تحدق فيه ثم همست : تأدب ولد!

-حلالي ويحلُ لي " قالها ضاحكاً فغادرت من أمامه بسرعةٍ وهي تهتف بصوت مرعب بعد ان رفعت يديها :

-حلت عليك لعنة النداهة و حق عليكَ النومُ بالصالة إذن"

هرولت بسرعة للداخل فنهض خلفها ضاحكاً هو يفرقع أصابعه: إستعنا بالله تحتاج إحداهن للتأديب الفوري"

*********

## الفصل الثامن عشر

عندما نتعرضُ لتلكَ اللطمة الموجعة ممن نُحِب وتشعرُ بذلك الشرخ الذي بدأ بالتوسع. . ستتأكدُ حينها أن لا شيءَ سيعود لما كان عليه, سيتغيرُ الكثيرُ جداً. . وأولهم الثقة, الشعورُ بالأمان الذي تلاشى, وذلك الألم الذي يتخذُ من القلب مسكناً له. . مسكناً لن يغادره بسهولة.
أسبوع لم يتغير فيه شيءٌ بالنسبةِ لنور التي اتخذت من السرير ملجأً ووسادتها التي روتها بدموع ذرفتها صدمةً مما فعله آدم, . . صدمتها كانت عنيفة جداً, وهو لم يدرِ كيفَ سيتصرف أو ما هو الخطأ الذي اقترفه! !
أسبوعٌ وهو ويفكرُ بما فعل وهي تمتنعُ حتى عن النظرِ لوجهه, تراه حينما

يحضر لمنزل خالته لمعرفة ما جرى. . . تراه وكأنها ترى شيطاناً بغيضاً, ولم يفهم أحدٌ من العائلةِ ما السبب. . . حتى جمانة, صديقتها المقربة لم تحكي لها عما جرى وكأنها تهربُ فقط من الحديثِ بالأمر. . ودلال لم تفارقها لحظةً واحدة, وكأن مجيئها بهذا الوقت لهذه اَلْعَائِلَة كان قدراً لا مفر منه, قدراً سيكون لهُ تأثيراً كبيراً على حياتها فيما بعد, ومراد ومن خلال آلام شقيقته. . استطاعَ تمييز دلال الإنسانة, الطيبة والمؤمنة, حركت بداخلِ صدره شعوراً لم يفهم كنهه أبداً, صارَ المنزلُ على الرغم من أجواءه المشحونة ساكنٌ بطريقةٍ مبهمة!

صوتَ تلاوتها للقرآن الكريم بصوتٍ شبه هامس يسمعها حينما يمر بالقرب من غرفة شقيقته للولوج لغرفته, استطاعَ مراد تمييزَ كُلّ شيء عدا مسحةُ الحُزنِ التي ترتسمُ على محياها وتلك الدموع التي تذرفها كلما مر هشام على ذاكرتها. . أو حتى عندما يَمُرّ لعندهم للاطمئنان على صحة نور.

كان ببعض الأحيان يجتمع بإليسا بداخل هذا المنزل لكنهما يتجاهلان بعضهما منذُ ذلك اليوم حينما تركها ليلاً وعاد بمفرده, طبعاً بعد أن اطمأن أنها استقلت السيارة برفقة مراد, حيث كان يراقبها من بعيد وهي لم تكن تريدُ معرفة ما به يكفيها ساهر وإصراره على بيع الفيلا والمعمل وما عليها سوى الصمتُ على طمع شقيقها حتى وصلت لمرحلةٍ طلبت منه أن يفعل ما يريد ويذهب إلى غير رجعة. . . فقد ماتَ حتى هو بالنسبة لها بعدما فعل.

استيقظت اليسا صباحاً على صوت طرقات ساهر على باب غرفتها, دلف إلى الداخل وقال بهدوء:

-سيأتي اليوم المحامي لإكمال كافة الإجراءات. . . وجدتُ مشترياً للمعمل.

هزت رأسها بلا مبالاة ثم غطت وجهها مجدداً باللحاف فغادر مغلقاً الباب خلفه, سمعت بعد دقائق صوت إغلاقه لباب المنزل فقذفت باللحاف بحنقٍ وتجهزت للذهابِ إلى المستشفى. . .

في تلك الفترة كانت عسل قد عادت للمنزل بعدما علمت ما جرى مع نور, ولا تصدق أن آدم من الممكن أن يؤذيها فعلاً حتى أنها اتصلت به لتستفهم. . بعدما اتصلت به عبير. . ورضوان, لكن الجميع فعلاً لا يعلم السر ولا نور تريد الإفصاح عما جرى, كانت عسل قد عاودت الذهاب لمدرستها ولكن مع سائقٍ جديدٍ قام مراد بتعيينه, تتطلعُ فيه عسل لترى الاختلاف الفج بينهما! ! وتتمنى أن ترى أحاديث فهد أو حتى ضحكاته الجذابة مجدداً, لم تنجذب له بعقل مراهقةٍ كونه شاباً وسيماً بقدر ما جذبتها

شخصيته وطريقة حديثه المريحة والمتفهمة, وهو لم يعد يتصل بها بعدما شرح لمراد ما الذي جرى وقد تيقنت عسل بأن كَلَّ شيءٍ قد انتهى عند هذه اللحظة, كانت له مجردَ حالةٍ للعلاج. . .

**********

أغلق هشام الخط بعصبية وتطلع على ساعته التي تجاوزت الواحدة ظهراً بعدما تشاجر مع أحد العاملين لتأخره بإحضار القهوة! ! , صار كثير الغضب والثوران حتى أن أغلب زملائه باتوا يتحاشونه بالفترة الحالية, خرج من مكتبه ليجلب قهوته فاصطدم بها بعنفٍ لترتد إلى الوراء وكادت أن تسقط لولا أن سارع بإسنادها من خاصرتها, توسعت حدقتي اليسا وتطلعت فيه بارتباكٍ وخجل قبل أن يحررها قائلاً بغضب: انتبهي لخطواتك بالمرة القادمة " وتجاوزها مغادراً. . . توقفت لثوانٍ قبل أن تسقط بركبتيها على الأرض بعدما شعرت بإعياءٍ كبير, صرخت إحدى الممرضات اللواتي كن في الرواق: دكتورة اليسا! !

اندفعت الممرضة فالتف بشكلٍ تلقائي ليرى اليسا الجالسة على الأرض فهرع ناحيتها وركع أمامها بقلق :أَنْتَ بخير؟ ؟!

دفعت عنها يديه بإعياء فشعر بسخونة يدها تلمس جبينها وقال بقلق: أنتِ مُصابةٌ بالحمى.

ساعدها على النهوضِ والمسير حتى وصلت لغرفته وطلب منها أن تتمدد على الأريكة ليقوم بفحصها لكن عينيها سرعان ما بدئتا تذرفان الدموع عندما تعالى رنين هاتفها: فقد كان ساهر يتصل بها لإتمام إجراءات البيع, وأيقنت أن كل شيءٍ سينتهي هذه اللحظة, سيحطم ذلك الساهر جميع ذكرياتها الحلوة حتى المُرة ببيعه الفيلا, أخرجت الهاتف بإنهاكٍ ونظرت إليه فقام هشام بأخذ الهاتف من بين يديها ساخطاً: لاحقاً تجيبين على العاشق المتيم!

صرت على أسنانها بغضبٍ من كلماته بينما هي بوادٍ آخر تماماً. . فبعد ساعاتٍ فقط ستخسر كل شيء, والأهم أنها ستخسر ماضيها وتعرفُ بأن شقيقها سيفرطُ بِكُلّ شيءٍ بإحدى مشاريعه الفاشلة كما العادة

عاود هاتفها الرنين مجدداً بإصرار على الطاولة, وبهذه الاثناء اندفعت دلال بعدما علمت بأن اليسا متعبة.

-هل هي بخير؟ ما الذي جرى؟

-حرارتها مرتفعة, تحتاجُ للراحة" قالها بغضبٍ وهو يتزاور الهاتف الذي لم ينقطع عن الرنين فتلقفته دلال لتقرأ : إنه شقيقها ساهر لما لم تجب عليه سيقلق"

وكمن لطمه بعنفٍ على وجهه, تطلع فيها بعدم تصديق وصرخ : من؟؟.. أخوها!!

قالت دلال ببراءة : شقيقها ساهر, الذي جاء منذ بضعة أيامٍ من أميركا.

توقف كالأبله ينظرُ لدلال التي أجابت على ساهر كيلا يشعر بالقلق لكنها تفاجئت به يصرخ: طبعاً يبدو أنها أقنعتكِ بالكذبِ كي تتهرب من التوقيع أليس كذلك !! هاتِها وبلا سخافات طفولية.

رمشت دلال بصدمةٍ من لهجته الحادة وأجابت: أخبرتك أنها متعبةٌ وحرارتها مرتفعة ..عن أي توقيعٍ تتحدث!!

أطيق ساهر سبةً حانقة بينما تدفقت دموع اليسا واعتدلت بمجلسها وقالت بوهن تحادثها وكأن هشام غير موجود:

-يريدُ أن يجبرني بالعودة لمراد و.....و يريدُ بيعَ كل شيء نملكه.

تنبهت دلال لها فجثت أمامها بقلق : نعم!! لا أفهم اليسا تكلمي بوضوح!! وبهذه اللحظة وبلا مقدمات انطلقت ضحكة هشام وهو يفكر ... أخوها يجبرها للعودة لمراد, اذن ذلك الذي احتضنته ذلك اليوم هو شقيقها ساهر... وهي لم تعد حتى لمراد!

اندفع ليجلس بجانب اليسا ويحتضنها بغتةً حتى أجفلت هي ودلال من تصرفه !! همس بغباء: أنا...غبي!

دفعته بيديها من صدره بإعياء ثم قالت وهي تنظر له بعتاب: غبيٌ فعلاً..لكني الآن لستُ رائقةً لحماقتك.

استدارت ناحية دلال التي بالكاد حبست دموعها وقالت بوهن: تخيلي...جاء فقط ليبيع كل شيء ويحادث مراد بشأن زواجي منه مجدداً ويغادر , ظننتُ أنه جاء للوقوف بجانبي, لكنه ببساطة أثبت أنني بلا قيمةٍ بالنسبة اليه" تطلع فيها هشام قائلاً بوجوم:

-أخبرينا رجاء ما الذي جرى بينكما لنساعدك.

أومأت دلال مؤكدة: هيا احكي لنا لا يحقُ له أصلاً التصرف بشيء فأنت تملكينَ حصةً من أملاكِ والديكِ, ولا يحقُ له أساساً أن يملي عليكِ ما تودين فعله أنتِ راشدة.

***

******

اعتدلت نور من على الفراش بعد انتصاف الليل ثم لفت إحكام الدثار على جسدها وخرجت لتتمشى بحديقة المنزل, كان الجو غائماً والسماءُ ملبدةٌ بالغيوم الرمادية رفعت رأسها ناحية السماء التي بدأت تتخلص من أحمالها بالتزامن مع تساقط أمطار عينيها العسليتين, شعرت دلال على خروجها ووقفت تراقبها من الشرفة بقلبٍ منقبض, وقد أيقنت أنها تعرضت للخيانة منه, فهذه المرارة والأسى التي تحملانه عينيها ...هي مرارة الخيانة دون شك, خرج مراد من غرفته ليرى شقيقته ويتكلم معها, علها تزيح عن كاهلها ذلك العبئ الثقيل وتحكي له ما جرى, لكن صوت دلال سبقه...

-سيد مراد بعد اذنك"

استدار اليها بتلقائية فقالت بصوتٍ شبه هامس: دعها الآن رجاءاً فهي المرة الأولى التي تخرجُ فيها من غرفتها منذُ اسبوع, وأنا متأكدةٌ من أنها ستكون بخير.

وضع يديه بجيب بنطال بيجامته الرمادي وهز رأسه : أريد أن أعرف ما بها كي أتصرف.

أطرقت دلال رأسها قليلاً وقد شدت الشال الصوفي على كتفيها ثم قالت بارتباك: أسفةٌ على تدخلي لكن....يبدو أنه قام بخيانتها.

لسعته مقوله دلال ولا يعرفُ لما طرأت اليسا بوابات تفكيره هذه اللحظة, طال صمته قبل أن يقول بصوتٍ شبه هامس:

-لا أظن أن آدم يفعلها....بل لا يفعلها أنا متأكدٌ من ذلك, إنه يحبها"

حركت كتفيها بحيرة وما هي إلا لحظاتٍ حتى اندفعت نور للداخل, تطلعت فيهما قبل أن تنتشل مفاتيح سيارتها وتهرول مسرعةً لخارج الفيلا, صدم مراد بادئ الأمر ولم يستوعب بعد أنها ستغادر حتى دفعته دلال وصاحت: لنلحق بها فوراً.

استدرك الأمر وهرول ليجلب مفاتيح سيارته وبالكاد استطاعا أن يلحقا بنور التي شغلت سيارتها وانطلقت فانطلق ورائها مراد بعدما استقلت دلال المقعد المجاور, هتف بسخط : وما الذي تفكر فيه الآن!!

بعد دقائق توقفت أمام المستشفى ليفاجئ مراد ودلال من ذهابها بهذا الوقت إلى هناك, انطلقت للداخل حتى اختفت من أمام ناظريهما تبعاها لكنهما لم يستطيعا معرفة الطريقِ الذي سلكته ! فاضطرا أن ينتظرا أمام البوابة الرئيسية.

اندفعت نور لمكتب أمير دون أن تطرق لتفاجئ بعدم وجوده فتلفتت حولها بغضبٍ عارم ثم خرجت ناحية الاستعلامات وصرخت بالموظفة التي تفاجأت من وجودها:

-أين هو أمير ؟؟!

-دكتور نور!! حمداً لله علىءءء

قاطعتها نور وضربت بقبضتها على الطاولة صائحة: أمير موجودٌ هنا أم لا ؟؟

ارتبكت الموظفة وقالت بلعثمة : لا..ليس هنا الليلة

-أمليني عنوانه حالاً

قالتها بإصرار فهزت الموظفة رأسها وصارت تعبث بالحاسوب لبضع دقائق بل أن تخبرها بعنوان إقامته لتنطلق مجدداً في طريقها إليه...

خرجت من البوابة وكاد مراد أن يلحق بها لكن دلال سارعت : دعنا نرى أين ستذهب أولاً علها ستعود إلى المنزل كيلا نشعرها بأنها مراقبة.

فكر مراد للحظات وقد ايقن أن دلال محقةٌ بذلك, وانطلق بسيارته خلف سيارة نور التي انطلقت مجدداً لكن لعنوانٍ غريبٍ عنهما حتى وصلت لإحدى العمارات السكنية العالية توقفت وترجلت عن السيارة ثم اندفعت للداخل بعدما تأكدت من رقم العمارة, فترجلا ليتبعاها للداخل, قرأ رقم الطابق من مؤشر المصعد وانتظر نزوله مجدداً بعدما اضطرب بتفكيره ...

فتح أمير الباب ليفاجئ بنور تقف امامه بعينين محتقنتين ووقف كالأبله يحدق فيها حتى قطعت السكون قائلةً بغضب: سلمني ذلك الصندوق اللعين.

خرج مراد ودلال من المصعد ليفاجئ أمير بوجوده كما تفاجئ مراد به كذلك, أما نور فقد تجاهلت وجود شقيقها وصرخت بأمير مجدداً : أعطني ذلك الصندوق.

أومئ لها بتردد وقبل أن يخطو للداخل اندفع مراد ناحيته وهتف : ما الذي يجري هنا!! من أنت !؟

-لا تتدخل أنت"

قالتها نور بحدة ليصر مراد على أسنانه بغضب فاندفعت دلال لتحول بينهما تحاول حماية نور من غضبه, عاد أمير بعد لحظات وهو يحمل الصندوق بين يديه فالتقطه مراد بحدة من بين يديه وصرخ مجدداً: وما هذا الآن!!

اندفعت نور وانتشلت الصندوق من بين يديه وهتفت فيه : أخبرتك ألا تتدخل. !

لكن الصندوق سقط من يدها ليقع على الأرض وتنفتح دفته لتتناثر الصور على الأرض وتدحرج الخاتم ليستقر أمام قدمي مراد فأطلقت دلال شهقةً عفويةً بينما ركعت نور تلملم الصور بعصبية وبعينين تتساقط العبرات منهما, وقف مراد مكانه بصدمةٍ بعدما التقط الخاتم وتأمله!

لملمت نور محتويات الصندوق وهرولت عبر درجات السلم بينما تمسك مراد بياقة قميص أمير وصرخ به:

-لا أعرفُ ما غايتك من ذلك لكن وعزة الله وجلاله لن أتجاهل هذا التصرف يا هذا.

فانتزع أمير يدي مراد عنه وقال بحنق: وعزة الله... أنا من لن يتجاهل موت شقيقته بسبب قريبك عديم الأخلاق.

إهدآ رجاءاً , قالتها دلال وهي تتمسك بساعد مراد لتبعده عن أمير لكن الأخير تجاهلها و دفع مراد عنه وأغلق الباب بوجهه وقد تملك منه الغضب في حين توقف مراد مصدوماً بعدما فطن لكلمات أمير وسارع باللحاق بسيارة شقيقته لكنها كانت قد غادرت!!

********

دفعت باب منزلها بعصبية وخطت للداخل بينما كان آدم جالساً بالصالة يدخن وقد تناثرت أعقاب السجائر على الطاولة بعد أن فاضت عن المنفضة, توقف بعدما اندفعت تجاهه وصرخت:

-وعدتني....وعدتني بأن تكون وفياً, وعدتني بأن تحافظ على علاقتنا صادقة, لمَ, لمَ فعلت هذا بي!!

لما فعلت هذا بنا ؟؟!

أجهشت بالبكاء وقد ارتمت على الاريكة وهي تتشبث بالصندوق ليركع أمامها:

-أنا لا افهم ما الخطئ الذي اقترفته !؟

ازداد تمسكها بالصندوق ثم فتحته لتظهر تلك صور أمام آدم الذي اتسعت حدقيته باستغراب : بيسان!!

*******

**********

توقف مراد بسيارته على جانب الجسر وترجل منها وهو يعتصر ذلك الخاتم ...ربما كان خاتماً عادياً لكن رؤيته بهذا الموقف تحديداً وجراء ردة فعل شقيقته تأكد مراد من خيانة آدم كما أخبرته دلال منذ

دقائق, ترجلت دلال بخطواتٍ مترددة ثم توقفت بجانب مراد وقد تذكرت ما فعله هشام صباحاً باحتضنه اليسا أمامها... انسابت دموعها بصمتٍ بجانبه ثم همست : الخيانةُ مؤلمةٌ جداً..

-لا أصدقُ أنه من الممكن أن يفعلها!

قالها بغضبٍ وهو يتمسك بالعارضة فأجابت وفكرها معلق بهشام : ولكنه فعلها.

تطلع فيها بعدما استمع لرنين صوتها المهزوز فاستدار ناحيتها وسأل : ولما تبكين أنتِ ؟!

تنبهت لنفسها ومسحت دموعها فوراً ثم رفعت كتفيها : لا تهتم, تذكرتُ شيئاً سيئا فقط.

استدار عنها مجدداً مجيباً : بالمناسبة لن يزعجك والدكِ بعد الآن...

تطلعت فيه بعدم فهم وتساءلت : كيف أقنعته بمكوثي عندكم!

-لا أرى ضيراً من مكوث ممرضة العائلة بيننا أليس كذلك؟

قالها باسماً ثم أردف: تأخر الوقت يجب أن نعود.

هزت رأسها موافقةً وتبعته لداخل السيارة لينطلق مجدداً إلى الفيلا بيما شردت دلال بالنافذة التي تعاقبت أضواء الأبنية البعيدة على جانبيها ولا تعلم أن مراد قام بدفع ثمنها لوالدها الذي باع ابنته بذريعة أنها توظفت لدى هذه العائلة!

هو بقرارة نفسه لا يعلمُ لما دفع مبلغاً ضخماً لوالدها مقابل مكوثها بالملحق , شعر بكونه مسؤولاً عنها بطريقة أو بأخرى بعدما شرحت له والدته وضعها كاملاً.

**********

## الفصل التاسع عشر

دفعته عنها وصرخت به: نعم بيسان. . . بيسان التي كنت تخونني معها وبكل وقاحةٍ تتلاعب بها وبي. . . . لتنتحر قهراً منك. . بيسان التي كنت على علاقةٍ معها بذات الوقت الذي كنتَ تلاحقني فيه وتثبت لي حبك الكاذب وربما حتى وعدتها بتأسيس عائلة سعيدة كما وعدتني
أواعيةٌ أنتِ ما تقولين! !
نفضت يديها عنه وابتعد ت وهي تصرخ:
-واعية ومدركة جيداً لما فعلت وهذه الصورُ أكبرُ إثباتٍ على كلامي فلا تدعي البراءة الآن, والخاتم أيضاً, الزهور اللعينة الجافة ألم تقدمهم إليها! !
نهض وقد رمى الصور التي كانت من وجهة نظره بأقل من عادية كأي زميلين وقال بحنق: لم أخنك معها ولم يجمعني بتلك الفتاة أَيّ شَيّ ,كانت مجرد زميلة دراسة.
تعالت ضحكات نور الهازئة وصرخت: صديقة دراسة وكل تلك الصور جمعتكما! . . . صديقةُ دراسةٍ أم ملاهٍ ليلية وشقق! !
صفعها بعنف لتتنبه على ما تتفوه فيه من حماقات لتشهق وهي تتطلع فيه بقهر تجاهلها وهرول ناحية الصور الملقاة على الأرض ثم أمسك بعضهم وهتف بها وهو يمررهم أمامها:

-أهذا هو دليلك! ! مجردُ صورٍ وبأماكن عامة! بل وقبل حتى أن أقوم بخطبتك! صورٌ لا يوجد فيها قبلة واحدة! ! مجردُ صورٍ عادية يمكن لأيّ كان أن يتصورها أينما كان وحتى لو كانت بنوادٍ أو ملاهٍ أو مطاعم تلك الصور التي تحاسبينني عليها قد انقضى عليها أكثرُ من عشر سنوات من أيام الجامعة. أتحاسبينني على ماضٍ لم تكوني فيه حتى علاقةٍ معي!

ثم رمى الصور ولوح بيده وهدر صوته:

-حسناً حتى ولو كنتُ كما تقولين. . . حتى ولو كنتُ أحبها سابقاً لكن ذلك كان قبل أن أقوم بمصارحتك بحبي, وقبل أن يكون بيننا أَيّ شيءٍ رسمي، وبالتالي لا علاقةَ لكِ عن ماضيي، أسبوعٌ كامل تقومين بطردي كلما حاولت مقابلتك ,أسبوع كامل نعتيني بأبشع الألفاظ لأجل تفاهة تفكيرك وسطحيته وبالنهاية على مجرد صور قديمة لفتاةٍ متوفاة!

حدقت فيه وقالت بصوتٍ مهزوز: تفكيرٌ سطحي وتفاهة! مشاعري الآن بنظرك أصبحت تفاهة!

-عندما تفكرين بتلك الطريقة أيتها الدكتورة الواعية. . . . . نعم.

ثم تطلع على الصور المرمية مجددًا وقال بحنق: اجلسي الآن ودققي جيداً بتلك الصور وستدركين أننا لم نكن بمفردنا لأن تلك الصور كانت بتصويرٍ من زاويةٍ بعيدة. . . أنا لم ارتد اَلْمَلَاهِي الليلية سوى لثلاث مراتٍ فقط وبرفقة مراد وتعرفين جيداً أنني لا أنتمي لتلك الأجواء الشيطانية فجل همي بهذه الحياة هو دراستي وعملي. . . . وأنتِ,

كنتُ أَظُنّ أنني ارتكبتُ جريمةً بحقك أو ربما سببكِ لافتعال مشكلة مقنعاً! ! غادر مغلقاً الباب بعنفٍ لترتج نوافذ المنزل . . .

.**********

كان الصباح قد فرض سيطرته على الأرجاء ونسماتٌ عليلةٌ باردةٌ تداعب وجنتيها وهي تحدقُ من نافذة الفصل الدراسي وتحرك قلمها بين أصابعها...تبسمت بحنينٍ غريب وقد اقتحمت غمازتيه ذاكرتها ....جميع صديقاته تحكين عن اعجابٍ وحبٍ طرق قلوبهن الصغيرة المراهقة, حبٌ ساذج لفتيات مراهقات لم يكملن السابعة عشر بعد, لكن بنظرهن كان هو حب العمر... وطبعاً كان حب العمر يتغير بتغير الظروف والأماكن! كانت عسل تدرك أن تلك المشاعر لن تراودها حتماً فجل همها هو دراستها والالعاب الرياضية التي تمارسها... ألعابٌ جعلتها تتناسى وتتجاهل تلك

االبرعمة التي بدأت تنمو داخل قلبها, تعرفُ أنها وبهذا السن لن تفكر بعقلانية ..تعرف أنها لن تجرب شعور الحب الحقيقي قبل سنوات..

-هيي (( عبدو.((
صاحت بها صديقتها وقد لكزتها على كتفها لتتعالى ضحكات الفتيات ثم قالت أخرى(( عبدو غارقٌ بعالمٍ آخر(( ))يبدو أنه يحلمُ بضربِ أحدهم مجدداً((

زفرت بضيق من إزعاجهنِ واجابت : يبدو أن عبدو سيكسر أسنانكن واحدةً واحدة. !
وصلت فتاةٌ للفصل وخاطبتها قائلة : المديرة تستدعيكِ يا عسل.

-لا اله الا الله...
-بماذا ورطتي نفسكِ ثانيةً يا بنت.!!
-ليرحمكِ الله كنتِ صديقتي الصدوقة !

قالتها صديقاتها لترفع يديها ضاحكة : هذه المرة فعلاً لم أفعل شيء , شلةٌ من الغربان يخرب بيتكم !!

اتجهت الى مكتب المديرة وطرقت الباب ثم دلفت الى الداخل ، دارت بنظرتها حول المكتب الفارغ مستغربةً وظنت أن إحداهن تعدُ لها مقلباً ,
-أظننتِ أني سأتركِ بسهولة.

انفرجت عينيها وقد شعرت بلطمةٍ عنيفةٍ تجتاح قلبها الذي تواثبت دقاته بشكلٍ ملحوظ بعدما استبينت صوته، استدارت للخلف لترى صاحب الغمازتين يقف أمامها بابتسامةٍ اشتاقت لها كثيراً, ضيقت ما بين حاجبيها وقالت بغضبٍ مزعوم:

-ألا تخجلُ من اقتحامِ مدرسةِ الفتيات والله لأشكوك للمديرة !

أغلق الباب واستند عليه وابتسامته لم تفارق محياه ثم همس: حقاً...يا لي من وقح! لكن... لا أرى فتيات هنا, أترين أنتِ.

-فتاةٌ ذاتُ غمازةٍ غبيةٍ تقفُ قبالتي.

ردتها بحنقٍ لتتعالى ضحكته هذه المرة وهو يمسح شعره بيده : اشتقتُ لصاحبة اللسان الطويل.

-هووف فهد ماذا تريدُ الآن ...أو عفواً دكتور فهد.

-لنتحدث قليلاً ... بما أنكِ لم تردي على اتصالاتي السابقة وكما تعرفين ... أنا طبيبُ مجانين ..و حساس, شعرتُ بالحرج من تجاهل فتاةٍ صغيرةٍ لي.!

-فقررت المجيء إلى مدرستي. !

مسح بإبهامه ما بين حاجبيها لإزالة تلك التقطيبة : تعلمين أن دور الفتاة الشريرة لا يليق بكِ.
-أبعد يدك يا هذا.!!

ضربت كفه بعصبية فأمسك بكفها وجرها ورائه ودفعها لترتد جالسةً على الكرسي الجلدي, جلس قبالتها قائلاً:

-لنتحدث يا عسل, تعرفين جيداً أني وبحكم عملي يجدرُ بي أن أساعد من هم بحاجةٍ للراحة والعلاج النفسي..

-لستُ مجنونة " هتفت به ونهضت فضحك ودفعها مجدداً لترتد على الكرسي:
-بلى مجنونة, وأنا مجنون, وحتى خالتي, مديرتكم هي بالمناسبة,.... مجنونة.

-مديرتنا هي خالتك !

أومأ لها ثم تابع : نعم, لكن دعينا منها الآن، جميعنا نمر بحالاتٍ من الجنون... وجميعنا نمر بالتجارب المختلفة التي تجعلنا نشعر بالاكتئاب, الفرح, الحب, الغضب, العدوانية, الحزن "

صمت قليلاً ثم تابع وهو يتطلع فيها ليرى مدى استجابتها له : وحتى الاشتياق ... جميعها مشاعر يبنى عليها الانسان وتتبلور شخصيته من خلالها, الطبيبُ النفسيُ عمله الأول هو أن يسيطر على تلك المشاعر إن

تجاوزت الحد الطبيعي المسموحُ بها وخاصةً عندما يتعلقُ الأمرُ بالمراهقين..

لنتحدث بأريحيةٍ أكبر... وبصراحة , المراهقين في مثل سنك يلجئون في بعض الحالات للعدوانية والغضب, فيزداد الهيجان العاطفي والانفعالي بالنسبة لديهم أكثر من غيرهم ،قد يشعر الإنسان بهذه المرحلة بثورة عارمة تجتاح كيانه ومشاعره، وينعكس هذا الشعور في سلوكيات وتصرفات تتصف بأنها عدوانية وغير مقبولة اجتماعياً وأخلاقياً وربما قانونياً، وتنتج عنها آثار قد لا تحمد عقباها وقد لاحظتي ذلك جيداً عندما راجعنا تصرفاتك السابقة باعتدائك على بعض زملائك وما نتج عنه من طردٍ من ثلاث مدارس, وغيرها من شجاراتك الدائمة مع عائلتك واصدقائك
الانسانُ بهذه السن يحتاجُ لما يشبع به طاقاته... بعض المراهقات مثلاً..يعانين الحساسية الزائدة ..ينصرفن للاغاني العاطفية وبعضهن تلتجئن للعدوانية والغضب كما يحدث معك, أنت تغضبين كردِ فعلٍ على تقصير عائلتكِ وهذا من حقك, تثورين عليهم للفت النظر...كي تخبريهم أنني هنا..اشعروا بي.

-لا أريدُ منك الآن شرحاً لحالتي النفسية ! "قالتها بغضب وهي تهز قدميها بعصبية فتجاهل احتجاجها وتابع مجدداً بنبرة حنونة:

-افهمي أن ما فعله تماماً مراد, شعرَ بكِ وبما تحتاجينه من مساعدة كيلا تزداد حالات غضبك وعدوانيتك وطلبَ مساعدتي بعدما رشحتني خالتي له, صحيحٌ أني تخرجتُ حديثاً وما زلتُ أعمل تحت اشرافِ طبيبٍ مخضرم لكنها اختارتني لعدة أسباب, نظراً لكون عمري ليسَ كبيراً جداً عليك وبالتالي سنستطيعُ التواصل بشكلٍ أكبر, وكونها تعرفُ أني...

-أنك كاذبٌ ومخادعٌ و مجنون ؟؟
قاطعته بتلك الكلمات لتتعالى ضحكته مؤكداً : لأني مجنون يا طويلة اللسان ... ولأنني فعلاً كنتُ مراهقاً عدائياً قبل أن أحدد الهدف الذي كنت أريدُ السير فيه.

-حقاً !! سألته باستغراب ليخبرها ببساطة : والداي كثيراً ما كانا يتشاجران عندما كنتُ طفلاً, تزوجا بإصرارٍ من جدَّي وظلا مدةً طويلةً جداً حتى تأقلما.... والنتيجة طفلٌ عنيدٌ ومشاكسٌ وحادُ الطباع,

نهض ومشى تجاه النافذة وأردف : والآن لديكِ خياران, إما أن نتجاهل تلك المشكلة التي تعانين منها وبالتالي ستتفاقم وسترين أنكِ تسيرين بطريقٍ لن تكون نهايتهُ لصالحك, أو نتخذ الخيار الثاني..

-بعلاجي.... ربما تعطيني بعضاً من الأدوية ومضادات الاكتئاب ! قالتها ساخرةً فقال مسرعاً

-بل بالحب...سنعالجك بالحب"

شردت للحظاتٍ عندما نطق تلك الكلمة وكأن لها رنةً خاصةً من بين شفاهه, تقدم أكثر مؤكداً... أن تحبي نفسك أكثر, تحبي عائلتك ومحيطك, أن تدركي أنكِ أنثى رقيقة وقد خلقك الله سبحانه على هذا الأساس, لا ضيرَ أن تتعلمي اساليب الدفاع عن النفس والقتال , لكن بذات الوقت, تعلمي الفنون... الرسم, الخياطة, أن تهتمي بالموضة وبأناقتك بشكلٍ متوازن. !

تعلمي ألا تحاربي ما جبلك الله سبحانه عليه...بل حاربي لأجل أنوثتك, أعرف أن كلماتي هذه صعبةٌ جداً حالياً لكننا سنحاول أن نعيدك للمسار الصحيح للسيطرة على نوبات غضبك, هل ستسيرين معي بهذا الطريق يا عسل"

تطلعت فيه ببلاهةٍ ثم قالت بسذاجة: أشعرُ أني احضر درساً للفلسفة. !

ضرب بكفه على جبهته بغيظ وهتف:
-أعووذ بالله من غضبه!!

تعالت ضحكاتها وصاحت : أمزح والله لا تقلق فهمت عليك.

-حمداً لله يعني تصالحنا أخيراً ؟.!!

اكتست ملامحها الجدية مرةً أخرى وحدثته :

-لا ... عن اذنك.

وولت مغادرةً وقد فغر فاه ببلاهة من هذه الحمقاء الصغيرة التي أصابته بالجنون فعلاً. !

## الفصل العشرون

ضرب كفاً بكف ثم تبسم مراقباً إياها وهي تمشي في الرواق المؤدي لفصلها وشعيراتها القصيرة السوداء تتطاير لترتطم بهمجيةٍ ككلِ شيءٍ بهذه الصغيرة ، دلفت المديرة إلى مكتبها فاقترب منها وقرصها من وجنتيها مازحاً: أحلى خالة بالدنيا شكراً لكِ

دفعته بغيظ وهتفت : كف عن هذا يا ولد نحن بالمدرسة..

تعالت ضحكاته ثم أفلت وجنتيها وابتعد قليلاً : حسناً آسف انجرفت بمشاعري قليلاً.

أردفت بجدية بعدما جلست خلف مكتبها : لم أسمح لك برؤيتها سوى كونها حالةٌ تريد علاجها وأنا أثق فيك...هذه الفتاة لولا طباعها الشرسة لكانت فعلاً مميزة , فهي متفوقةٌ بدراستها ولا أريد منها أن تُطرد من المدرسة والسنة القادمة ستقدم فحص الثانوية العامة.

سرح بالنافذة وهمس : سبحان من أبدع شراستها!

-نعم!!

-آه لا شيء خالتي تأخرتُ عن المستشفى ...عن اذنك.

وضع نظارته الشمسية السوداء ثم توقف أمام الباب قبل أن يخرج و قال ضاحكاً : لا تطرديها رجاءاً على الأقل هذه الفترة..,

ثم أردف : ننظرك اليوم على العشاء خالتي أعرفكِ تحبين المحشي.

لتعدل المديرة من وضع نظارتها الطبية وتهز رأسها بيأسٍ منه وتحدث نفسها باسمة ...ما يزالُ مشاغباً كعادته!

**********

**

أغلق المرش ولف جسده بمنشفةٍ وخرج إلى غرفته للاستعداد ليومٍ آخر بالمستشفى, طرق باب منزله وهو يغلق آ خر أزرار قميصه الأسود, فتح واكتست ملامحه الضيق من والده الذي هتف فيه فور رؤيته.

-عشرُ أيامٍ وأنت مختفٍ هنا ولا نراك!

فتح أمير الباب على مصراعه وخطى للداخل ليتبعه والده ثم أجاب : أنتَ من طردني.

-وعدتني أن تحل القصة, أن تأخذ بثأر شقيقتك لترتاح روحها...وما الذي فعلته هاه, مجردُ وعودٍ كاذبة!!

جلس أمام والده وأجاب :وما الذي كنت تريده أكثر مما فعلتُه بهما!

حدق فيه والده بنظرةٍ شيطانيةٍ وأجاب : وهل شجارهما أو طلاقهما سيحلانِ المشكلةَ مثلاً, سيعيدانِ شقيقتكَ للحياة!!

أحنى رأسه بوجوم وهو يعتصر كفيه ببعضهما: أتريدُ إراقةَ الدماء مثلاً!!ألا يوجدُ حدودٌ لانتقامك أبي!؟

-نعم..أريدُ إراقةَ الدماء كي ترتاح روحها.

نهض من على الكرسي وأشاح بوجهه عن والده قائلاً : لستُ مجرماً ولن أكون.

زم شفاهه بغضبٍ وهدر صوته: فلتحترق بجهنم.

استدار ناحيته مضيقاً ما بين حاجبيه: شكراً لك.. يبدو أن عائلتنا جميعها ستحترق بسبب أفعالك,ثم أنك منذُ سنواتٍ وأنت لا تهتمُ بنا فلا تدع الآن أنك ملتاعٌ لفقد ابنتك"

غادر مغلقاً الباب خلفه ليزم والده شفاهه بغضب ويهدر صوته... سأتصرفُ أنا إذن أيها العاق.

*********

انتهت مناوبةُ اليسا, خلعت المريلة البيضاء وارتدت معطفها الأزرق ثم خرجت واستقلت سيارتها, كادت أن تشغلها للانطلاق حتى سمعت طرقاتٍ خفيفةٍ على زجاج النافذة رفعت رأسها لتقابلها نظراته الحنونة فأخفضت الزجاج ليقول هشام باسماً: أحتاجُ توصيلة.

تبسمت وأدارت وجهها ناحية سيارته السوداء المركونة بجانبها قائلة: وتلك المسكينة لمن تتركها.

التف وفتح باب السيارة وجلس بجوارها قائلاً : تسكُنها العفاريت أخافُ قيادتها ليلاً.

تعالت ضحكاتها ليهمس وهو يميل ناحيتها: ضِعتَ يا هشام. !

اغتالت ضحكتها وتساءلت وهي تنطلق : بسبب عفاريت سيارتك؟

-بل بسبب عفريتةٍ سكنت فؤادي...وقلبي وعقلي حتى لم أعد أفكرُ بغيرها!

تشاغلت بالطريق وتمتمت بارتباك : دعنا من عفاريتك الآن, لأين أوصلك يا ترى ؟.

جلس بأريحيةٍ أكبر مجيباً : لمنزلكِ طبعاً.

-عفواً.!!

إحم... أقصد أخوكِ متواجدٌ هناك أليس كذلك؟

-نعم.

إذن على بركة الله.

أوقفت السيارة وتساءلت : ما الذي تريدُ أن تصل إليه ؟

-أريدُ أن أصلَ إليكِ فقط .... صمتَ قليلاً ثم تابع:

أريدُ أن أطلبكِ للزواج منه بما أنه هنا.

-وحتى دون أن تأخذ برأيي وتسألني؟.!

تبسم مجيباً : طريقتي ليست رومانسيةً أبداً أعترف..

أخفضت يديها لحجرها بارتباكٍ وخجل : لا تهمني طريقةُ طلبك ان كانت رومانسيةً أم لا لكن الوقتُ ليسَ مناسباً لهذا هشام , علاقتي بساهر متوترةٌ بما فيه الكفاية حالياً.

-لكنه أخوكِ بالنهاية, يجب أن أتعرف عليه ويعرفني قبل أن يسافر.

فتمتمت ساخرة: لن يسافر قبل أن يستولي على كل شيء من أملاك العائلة فاطمأن لديك وقتٌ طويل!

-إذن لأكون بجانبكِ على الأقل سيكونُ هناكَ رجلاً معك.. هذا طبعاً إن سمحتِ لي بأن أكون.

أشاحت بنظراتها عنه بارتباك فأردف: أحبكِ اليسا, أحبك وأريد الارتباط بك...وأظن أن الوقت قد حان.

**********

كما أخبرتك قبلاً ساهر موضوعنا انتهى منذُ سنوات ولا مجالَ للعودة مُطلقاً , كان خطأي منذ البداية"....

اغتال كلماته الباقية حينما دلفت اليسا برفقة هشام إلى الصالة ليفاجآ بوجودِ مراد بالمنزل يجلسُ برفقةِ ساهر, شحبَ وجهها وقد استشفت سبب مجيء مراد إلى المنزل بينما قطب هشام حاجبيه, توقف ساهر وتقدم ناحيتهما متسائلاً : أهلا وسهلاً.. تفضل.

ثم أردف متسائلاً : ألن تعرفينا على ضيفنا اليسا.

تنحنح هشام مبادراً : دكتور هشام. زميلها بالمستشفى, وجئتُ خصيصاً لمقابلتكَ سيد ساهر, لكني أراكَ مشغولٌ حالياً.

-لا بالعكس أهلاً بك...تفضل.

جلس الأربعةَ وكأن على رؤوسهم الطير حتى رن هاتف ساهر فاعتذر بلباقةٍ ليجيب بينما تطلع هشام بمراد بضيقٍ استشفه مراد فقال لإغاظته أكثر: كيف حالك دكتور؟

-كنتُ بخيرٍ حتى اللحظة!

تبسم مراد بتهكم وحك أرنبة أنفه بينما لاحظت اليسا التوتر القائم بينهما فقالت بغتةً : أتشربان القهوة.

-نعم.

-لا.

اجابتان حادتان خرجتا بذات اللحظةِ وهما ينظران لها فقبضت على حقيبتها بارتباك ليقول مراد مُصحِحاً: ما يزالُ فنجاني ساخناً.

ثم أشار لها وارتشف من الفنجان وسطَ نظرات هشام التي تسلطت عليه بينما هو يتلذذ بفنجان قهوته ولا ينقصه سوى أن يراقص حاجبيه ليزيد من سخافة الموقف!!, عادت بعد دقائق وقد وضعت فنجان قهوة هشام بينما انشغل ساهر برجلٍ يريد شراء المعمل فانفرد به بغرفة المكتب بعد أن استأذن لدقائق من ضيفيه...

استدار مراد بجدية محادثاً إليسا بينما يراقبهما هشام بغيرةٍ واضحة وقد اكفهر وجهه ولو له أنياباً لفتك بمراد دون أدنى شك.

-لقد اتصلتُ بكِ قبل ساعتين وأرسلتُ رسالةً ولم تجيبي,

تطلعت فيه بحرج وأجابت : - آسفة كنتُ مشغولةً جداً اليوم ولم أرى الهاتف.

-حسناً لا عليكِ.

-أظنكِ على معرفةٍ برغبةِ ساهر وبسبب مجيئي اليوم أليس كذلك؟

احتقن وجه اليسا أكثر بحرج وقبل أن تسأل أجاب مراد: وأظنني أعرفُ أيضاً سبب مجيء دكتور هشام, سبحانَ الله صدفةٌ غريبة.

تطلع فيه هشام وهو يهز قدمه بعصبية فأردف مراد وهو يراقب تعابير وجه هشام : يريدُ أن يطمأنَ عليكِ قبل أن يسافر.

-أنا هنا برفقتها لا تشغل بالك " قالها هشام مغتاظاً فباغته مراد بلسعات كلماته: جميعنا برفقتها.... يريدُني أن أعيدك لعصمتي.

نهض هشام متحفزاً وأجابه بحنق : إياك ولو لمجردِ التفكير يا هذا...

نهض مراد مجابهاً له : - عفواً دكتور ...امرأةٌ و طليقها ما دخلك أنت؟.!

نطقها مراد ببرودٍ على عكس غضبِ هشام الملحوظ.

-توقفا رجاء " نطقتها اليسا وقد وقفت بينهما فقال مراد يحادثها ليبدد هذا الجو المتعكر:

-أخبرت ساهر أنه لا مجال لعودتنا ثانيةً.. من حقكِ أن تتزوجي بمن يناسبكِ" ثم تطلع بهشام الذي اتسعت حدقتيه باستغراب شديد و أردف : ولنا حديثٌ طويل دكتور.... انتظر اتصالي, عن اذنك.

وتقدم من الباب ليغادر فتبعته اليسا لإيصاله ناحية الباب, أمسك مقبض الباب وفتحه وقبل أن يغادر اقترب منها أكثر هامساً :اسمعي إياكِ أن توقعي على أية ورقةٍ يقدمها لكِ ساهر أو غيره مفهوم, وإياكِ أن تعطيه من حصتكِ شيئاً فغايته من القدوم واضحةٌ جداً"

أشاحت وجهها عنه بحرج ... أردف وقد قاطع شرودها : وتذكري أنني سأساعدكِ بأي شيءٍ تحتاجينه , وعلى الرغمِ من سخافةِ الموقفِ لكن....بذلك العريسِ الغاضب أو بدونه سأكونُ بجانبكِ دائماً.

غمز لها فتبسمت بامتنان وهمست :شكراً ...حقاً لا أعرفُ بما أجيبك مراد.

-كوني سعيدةً فقط وبهذا اجابةَ الشُكِر ستكونُ قد وصلتني.

ثم غادر فتنهدت بارتياح وهي تراقبه ينطلقُ بسيارته خارجاً من البوابة الحديدية.. عادت مجدداً وجلست قبالة هشام الغاضب وقبل أن يتفوه بحرفٍ دلف ساهر معتذراً عن تأخره, سأل عن مراد فأخبرته أليسا أنه اضطر

للرحيل فهز رأسه وقد أغضبه إلى حدٍ ما ردُ فعل مراد ورفضه العودة لاليسا...

-أريدُ أن أحادثكَ بموضوعٍ مهم سيد ساهر.

قالها هشام بثقة فقد قرر أن يرمي ما بجعبته فوراً, ثم قال لاليسا : أرجو أن تعدي لي فنجان قهوةٍ آخر, قهوتكِ لذيذة.

انصاعت لمطلبه وأفكارها تتقاذفها الرياح فما جرى اليوم كفيلٌ بتحطيم الأعصاب فعلاً ولا ينقصها مصيبةٌ أخرى ! عادت بعد دقائق وقد اعدت القهوة للجميع.

-آسفٌ لهذا السؤال دكتور هشام, أنتَ تعرفُ جيداً مقام عائلتنا ومركزنا الاجتماعي ... هل تملكُ كإمكانات زوجها السابق المادية لتتجرأ لطلب يدها ؟!

توقفت اليسا أمام باب الصالون حينما سمعت سؤال ساهر وقد احتقن وجهها...فها هوذا ساهر سيعيد تفكير ومطالب والدها الراحل, وكأنها سلعةً للبيع ليس إلا!

-لا أملكُ حتماً إمكاناته المادية لأنني ما أزالُ في بداية الطريق, لكني أملكُ الحب والإخلاص وأظنُ أن هذا كافياً في الفترةِ الحالية.

وقف ساهر باستهتار مجيباً :الحب والإخلاص!! بحبك وإخلاصكَ لن تستطيعَ أن تُؤمن متطلباتها, طلبك مرفوضٌ دكتور هشام.

-بل مقبولٌ طلبه .... أنا موافقة.

هتفت اليسا بحدة وضربت صينية القهوة بقبضتيها على الطاولة ليزم ساهر شفاهه بغضب ويصرخ بها : لا تتدخلي اليسا!!

,وقف هشام وقد شعرَ بتأزم الوضع بينهما و قال بحزم:

-فكر جيداً سيد ساهر, وبالنهاية أنت لا تريد لشقيقتك سوى الراحة والاستقرار بعد تلك التجربة الفاشلة التي مرت بها سابقاً.

-لا أظنك ستكونُ حريصاً عليها اكثر مني ! ... قالها بغضب فأجابه هشام : ما أراه فعلاً أنني حريصٌ عليها أكثر منك, سنتحدثُ لاحقاً بعد أن تهدأ وتفكر بعقلانيةٍ أكبر وصدقني لن أستسلم, عن اذنك.

ثم استدار وتطلع بإليسا وأماء لها مطمئناً قبل أن يتجاوزها مغادراً.

اغلق الباب خلفه فتقدمت اليسا من ساهر وهتفت به بقهر : لا يحقُ لكَ التدخل بحياتي بعد الآن, أتفهم, هذه حياتي أنا... أنا.

-غبية.. أنتِ غبية, أريدُ مصلحتك فقط, ذلك الطامعُ قد أوقعكِ بشباكه!!

-أنتَ تعرفُ من الطامعُ الحقيقيُ يا ساهر , دمرتما حياتي سابقاً ولن أسمح لك الآن بإعادة الماضي ...صرتُ بعمرٍ يسمح لي تقرير مصيري دون تدخلٍ من أحد

-أنا شقيقك أتفهمين...أنا الوصي الآن, يبدو أنكِ لا تستحقين تلك الحرية التي أعطيناكِ إياها.!

-لا يحقُ لكَ أن تحدثني بتلك الطريقة ولن أسمحَ لك يا ساهر لم أعد تلك الطفلة الغبية التي كنتم تتلاعبون بها سابقاً أتفهم.

طالت نظراتهما الحادة قبل أن ترتد إلى الوراء وتصعد إلى غرفتها بينما صفع ساهر صينية القهوة لتتحطم الفناجين على الأرض وهو يتمتم بحنق...سنرى كلمة من ستنفذ.!

**********

خرج ناحية السطوح ليستنشقَ هواء نقياً بعيداً عن أسئلة الجميع الفضولية عما حدث بينه وبين ساهر فقد أعلم والديه قبل مغادرته, لا ينكرُ أنه لم يعد راغباً بإليسا كزوجةٍ له على الرغمِ من أنها أضحت أجملَ وأنضج ولو أنه كان بموقفٍ مختلف لما عارض أبداً من إرجاعها لعصمته, بل وربما كان قد حاربَ لأجل استعادتها, لكنه حالياً وبعد كل تلك الأحداث بل وبعد ظهورِ هشام تحديداً لا يريدُ أن يزيد الأمورَ تعقيداً, وذاتاً هو لا يثِقُ بحتميةِ رجوعِ اليسا له... يكفيها ما حدث لها منه.

تنبه على صوت خطواتٍ تصعد السلالم وهمساتٍ أنثوية ناعمة استدار بتلقائيةٍ للوراء ليرى عسل ودلال فوجئتا بوجوده صححت دلال من وضع الشال لتمكين تغطية شعرها بتلقائية فهي لم تتوقع ان يكون أحد هنا و القت السلام , أما عسل فتابعت المشي من أمامه فما تزال حتى اللحظة تتحاشى الحديث معه منذُ ذلك الحين, تبسم بحنان واستدار ووضع ساعده على كتف عسل وشدها قائلاً بمرح: ألن تسامحني سيادة الامبراطورة !؟

تأففت عسل وحاولت ابعاد ساعده فتابعت دلال : بلى سامحتك منذُ مُدة بل وستعتذرُ لكَ عن الطريقةِ التي حادثتكَ بها سابقاً فهي تعرف أنك لم تفعل هذا سوى لمصلحتها أليسَ كذلك يا عسل " وتطلعت فيها مطولاً فاستسلمت عسل وهزت رأسها موافقة فقد تحادثت معها دلال مطولا لهذا الشأن سابقا وافهمتها وجهة نظرهم

تطلعت فيه ثم قالت بكبرياء: أتفهّمُ أنكَ فعلتَ ذلك لمصلحتي, آسفةٌ لأني رفعتُ صوتي عليك.

قربها منه وقبل جبهتها قائلاً : وأنا آسفٌ لأنني فعلت ذلك بالطريقةِ الخاطئة, كان يجبُ أن أضعكِ بالصورةِ كاملةً منذُ البداية" ثم استدار ناحية دلال وخاطبها : يبدو أن لكلماتكِ تأثيرٌ سحريٌ على الجميع فهذه العنيدة لا يردعها رادع!!

تبسمت بخجل وأجابته: هذا ما يجب أن تكونوا عليه, ليتني أملكُ عائلةً مُحِبة وصدقوني حينها لن ادع الغضب يسير تصرفاتي لأنني اعرف ان عائلتي ستكون هي الدعم والسند.

-ستؤسسينَ عائلتكِ الخاصة بل وستكونين أماً وزوجةً رائعة لا أفهم حقاً ألا يملكُ الرجالُ ذوقاً هذه الأيام, أليسَ كذلك أخي !! " قالتها عسل ضاحكة بينما تطلع مراد فيها باهتمام ...فعلاً بعينيها دفئٌ غريب وجمالٌ هادئ نقي ألا يملك الشبابُ ذوقاً بمفهوم الجمال لتجاهلها أم انها تمتلك حبيباً ولم تخبر أحدًا عنه!!

-عيب عسل !! اغتالت تفكيره دلال وهي تخاطبُ عسل بعتاب فتابعت عسل عبثها اللفظي بعدما راقبت نظرات مراد المتحفظة تجاهها : يووه نسيتُ وشاحي الصوفي, الجو بارد انتظريني وسأعود.

ثم هرولت من أمامهما مما أربك دلال قليلاً فتجاوزته وتقدمت لتقف أمام السور الحجري فقال بعد فترةٍ وجيزة :
-بالمناسبة كانت عسل محقة فيما قالته قبل لحظات..
نظرت ناحيته بتوتر حينما تابع بفضول : او انك فعلا على علاقةٍ بأحدهم؟
.
*********

## الفصل الواحد والعشرون

احتقنت وجنتاها بشدة من كلماته فهذه المرة الأولى التي يمدحها فيها أحدهم. . . حتى ولو كان بطريقةٍ غير مباشرة. . ,
ولا إرادياً عمل عقل مراد الهندسي حساباتٍ ومقارنات. . . ليست كاليسا الخجولة الطفولية البريئة وليست كجمانة الجريئة المندفعة المشاغبة المسترجلة, نوعٌ آخر كلياً. . مزيجٌ من الأنوثة والخجل والرقة, القوة والصلابة بمسحةِ إيمانٍ ونقاء واضحين، وليست من النوع العاطفي بل العقلاني. . . وهو يحتاجُ هذه اللحظة امرأةً عقلانية مؤمنة. !

قال وكأنه يحادث نفسه, أو ربما لينظف صورته وسيرته أمامها:
-ما حصل بالماضي. . . أقصد اليسا وزواجي منها, خيانتها. . . كان غلطة, أخطأتُ جداً فيما مضى.
تطلعت فيه بمزيج من الخجل والتفهم وأجابت بصدق:
-جميعنا نخطئ سيد مراد, لسنا معصومين عن الخطأ " قالتها وهي تمسك بيدها طرف الشال كيلا ينزاح عن شعرها بسبب الهواء القوي الذي يتلاعب من حولها.
-ليست جميعُ الأخطاء تغتفر آنسة دلال.
-إن الله يتقبل من يتوب أعطِ لنفسكَ فرصة وثق بأننا جميعاً نملك أخطاء جسيمة لكن الله سبحانه يستر عباده.
صعدت عسل مجدداً وما إن خطت آخر الدرجات لتدلف السطوح توقفت للحظاتٍ ثم عضت شفاهها بمكرٍ وتراجعت لتنزل مجدداً وتتركهما يتحادثان دون أن تزعجهما فعلى ما يبدو ما قامت به جمانة سيأتي بثماره حتماً فهما منسجمانِ جداً من وجهةِ نظرها! ولو استطاعت هذه اللحظة أن تشغل لهما أغنية حبٍّ مع عدة شمعات لخلق جوٍّ رومانسي لن تتوانى عن ذلك. . . !
تبسم مراد وحك أرنبة أنفه متسائلاً بابتسامةٍ عذبة: ويا ترى ما هي الأخطاء التي ترتكبها آنسةٌ ك دلال, لا أظنكِ ممن يركبون الأخطاء صدقيني
تنهدت بعمق وأشاحت ببصرها عنه لتتطلع ناحية الحديقة وأجابت بصدق :إن تعطي لأحدهم قيمةً أكبر من حجمه ربما, أن ترهن قلبك لمن لا يستحق.
-مهلاً. . أتقصدين أنكِ!
-أنسى ,لا تشغل بالك بي وذاتاً الموضوعُ قديمٌ جداً " ابتلع باقي كلماته بحرجٍ فهي حتماً ليست ممن يشاركون مشكلاتهم مع الآخرين فما زال غريباً عنها حتى هذه اللحظة وقد احترم رغبتها بعدم الحديث. . . لكنه يرغبُ بشدة أن تستمر محادثتهما, يرغبُ أن يبوحَ بكل شيء, أكمل يلقي ما بجعبته:
-اليوم. . . دعاني ساهر للفيلا, وأخبرني برغبته لإرجاع اليسا لعصمتي, يريدُ الاطمئنان عليها قبل أن يسافر
أصابتها كلماته بنوع من الفرح لكونها تتمنى ضمنياً أن يبتعد هشام عن اليسا أغمضت عينيها بتروٍّ وفتحتهما بينما تابع مراد وكأنه يحادث نفسه: لكني رفضتُ, قصتنا انتهت منذ زمن ٍ طويل, وأنا موقنٌ كذلك من أن

اليسا لم تعد ترغب بي كزوج. . تكون مجنونةٌ لو فكرت بي بعد كل شيء ! !
قالها ساخراً من نفسه وتبسم بتهكم, اعتصرت دلال بقبضتها طرف الثوب الطويل الذي ترتديه بينما يتابعُ جلدها بكلماته دون قصدٍ منه:
أظنها تُحِبّ دكتور هشام فاليوم كان برفقتها يبدو أنه جاء ليتعرف على ساهر, أنتِ معهما بالمستشفى, هل ما أفكرُ به صحيحٌ, أقصد هل تحبه حقاً أو أنه حبٌّ من طرفٍ واحد؟ , وهل هشام يستحقها؟ أشعرُ بأنها مسؤولةٌ مني خاصةً بعد وفاة والديها لا أريدها أن تمر بتجربةٍ فاشلةٍ أخرى. . . حسناً أعرفُ أنه منطقٌ غريب وصعبٌ على الرجلِ أن يقدم زوجته السابقة لرجلٍ آخر. . . لكنها لم تكن سعيدةً معي فلتكن إذن سعيدةً مع غيري.
بالكاد كافحت لكبح دموعها وهي تتخيل كون اليسا وهشام معاً دائماً بل وستصبحُ علاقتهما رسمية. . . سيتزوجها حقا! ! عصفت أفكارها بشدة بينما الريحُ تعصفُ من حولهما, أرخت قبضتها عن الشال وأفلتت يديها لجانبيها وقد حررت دمع عينيها أخيراً. . . بينما مراد تمسك بقبضته بقوةٍ بالعارضة ولعن تفكيره الذي جرفه ناحية دلال بغباء! وكلاهما يفكر بطريقةٍ مختلفةٍ عن الآخر, هبت ريحٌ قوية أزاحت الشال لتتطاير خصلاتها السوداء الناعمة فكانت تلك اللحظات كفيلةٌ بارتباكهما معاً, وقع الشالُ على الأرض فاستدار عنها بينما هي ركعت لتتناوله وقد تعالى نشيج بكائها ليسمعها بارتباك, أعطاها فرصةً لإصلاحه واستدار ناحيتها مجدداً لكنها كانت قد اختفت من أمامه. ! !
هرولت درجات السلم ودلفت إلى منزلها أغلقت الباب واستندت عليه وقد أطلقت العنان أكثر لدموعها هذه المرة مكسرةً الأصفاد عنها لتحررها دون قيودٍ بينما مراد كان قد سمع وعرف أنها تبكي فهمس بتوتر يحادث نفسه:
تبكي لأن شعرها قد انكشف!وكانت ليلةً طويلةً جداً جلبت السهاد لأبطال روايتنا معاً. ما بين نور التي وعلى الرغم من غضبها من صفعة آدم إلا أنها فكرت بتروٍ وعقلانية كونه محقٌ بدفاعاته, واليسا التي قهرها ساهر بأنانيته وطمعه, وهشام الذي يفكر بإليسا... دلال التي تريد خلع حب هشام عن قلبها, ومراد الذي بات يفكرُ بدلال !! حتى عسل الصغيرة كانت تتذكرُ كلمات صاحب الغمازتين !

لكن سهاد جمانة وكريم مختلفٌ حتماً عن سهاد البقية فقد انشغلا بجواد الذي كانت حرارته مرتفعةٌ هذه الليلة..!

بسطت الشمسُ أشعتها الذهبية على الأرجاء , تجهز أمير كعادته للذهاب إلى المستشفى, كانت نور قد عادت لمزاولة العمل لعلها تنسى القليل من المشكلات التي مرت بها, وكانا يتحاشيان بعضهما, حتى بالاجتماع الذي عقده أمير للكادر الطبي آثرت أن تجلسَ بآخر الطاولة وتستمع لتعليماته دون التطلع ناحيته, ولا هو كان يريدُ أن يرى نظرات العتاب والقهر فيهما ,

وصل أمير أخيراً إلى المستشفى, ليلمح همساتٍ ونظرات استغراب من العاملين بالمستشفى تجاهه, تجاهل الجميع وتابع مسيره حتى وصل لمكتبه ولج إليه وارتدى مريوله الطبي وعلق سماعته ليباشر العمل حتى تطلعت فيه رئيسة الممرضات وهمست بارتباك : أنت هنا... عفواً, ألم تقرأ القرار دكتور!؟.

-أي قرار ؟! سألها بعدم فهم لتجيب بإحراج: ت..تفضل برفقتي رجاء" وفعلاً سار برفقتها حتى وصلَ ناحية غرفة الاجتماعات و هنا كانت المفاجئة الكبيرة تنتظره !. قرارُ عزله عن إدارة المستشفى كانت معلقةٌ على الباب ... بل وعلى لوحة الاعلانات الكبيرة بالمستشفى, وبكلِ قسمٍ من أقسامها, هكذا أخبرته رئيسة الممرضات بحرج كبير بل وبحزنٍ أكبر فالطبيبُ الوسيم سيفارقُ مستشفى العجائز هذا!!

صرَ على أسنانه بغضبٍ فها قد بدأ والده ألاعيبه السخيفة لتربيته ! تطلع فيها بابتسامةٍ مفتعلة وقال بمرح وهو يخلع المئزر والسماعة ويسلمها لها... سررتُ بالعمل برفقتك ...بالتوفيق"

مشى بالرواق الطويلِ بينما كان والده قد وصل لتوه وعلى شفاهه ابتسامة انتصار, توقفَ للحظاتٍ قبالة والده قائلاً بثقة: حسناً أيها الامبراطور...كسبت الجولة " ثم حياه بإشارةٍ من يده متجاهلاً سهام النيران المنبعثة من عيني والده ومشى من أمامه أخرج هاتفه متصلاً ب نور لكنها تجاهلت اتصالاته المتكررة, زفر بغضب متجهاً للقسم الذي تعمل نور به فهو يعرفُ جيداً مآرب والده, بحث عنها حتى وجدها ناداها فتجاهلته ومشت من أمامه لكن كفه سارعت بالتقاط ساعدها قبل أن تتجاوزه ,

-ما الذي تريده بعد الآن ؟؟

أخرجَ ورقةً بيضاء وانتشل القلم من جيب مئزها وقال بثقة: أن تستقيلي وفوراً.

تطلعت فيه وضحكت بسذاجة : أتظنُ الوقت ملائمٌ لمزاحك.!!

اقترب أكثر وثبت عينيه عليها بثقة : والدي هنا ولا أريده أن يتعرضَ لكِ بسوء.

ابعدته وقالت بحنق: وما هذه الثقة! أهو تهديد؟!..!! وما الذي من الممكن أن يفعله ألا يوجدُ قانونٌ بالبلد.!

ثفخ بضيقٍ من عنادها وأجاب : من الممكنِ أن يفعل الكثير جداً ولو كنتِ تريدين سلامتكِ.. أو على الأقلِ سلامة زوجك, ابتعدي عن المستشفى, تستطيعين العمل بأي مستشفىً آخر.

تطلعت فيه بتردد فحدق فيها برجاء وتشجيع, فما كان منها إلا أن تأخذ القلم من يديه ويتجهان لمكتبها وتكتب قرار الاستقالة فيمضي عليه بتاريخ اليوم السابق, اي قبل صدور قرار عزله الرسمي, تركت القرار على مكتبها ولملمت أغراضها على عجل بينما هو يقفُ على الباب ويراقبها بعينيه الثاقبتين حتى انتهت, خرجت فخرج برفقتها انشغلت باتصالٍ لأحد أصدقائها الاطباء وطلبت منه تسليم قرار الاستقالة للمدير الجديد, وتوقفت على أعتاب المستشفى حينما تنبهت على وجود أمير وقالت بغضب : ما الذي تريده أيضاً ؟

-اعتني بنفسك فقط....هذا ما أريده.

أشاحت بوجهها عنه بضيق ثم تداركت نفسها وقالت :بالمناسبة زوجي ليس له أيُ ذنبٍ فيما حصل لشقيقتك, كانت تحبه لكنه لم يكن لها أية مشاعر.

توقف لبرهةٍ مصدوماً من كلماتها ثم صر أسنانه بغضب: كذبةٌ جديدةٌ منه !!.

اعتصرت الصندوق بين يديها قائلةً بجدية : اركب السيارة برفقتي.

-وهل ستقومين بخطفي !

قالها بشكلٍ شبه ساخر فحدقت فيه بجدية لينصاع لها ويستقل المقعد بجانبها انطلقت بسيارتها لمكانٍ هادئٍ نسبياً ركنت سيارتها فيه و شرعت تحكي له كل شيءٍ عن طبيعة تلك الصور وعن علاقة زوجها بشقيقته بيسان على أملِ أن يصدق .

**********

توقفت أمام مرآتها مطولاً هذا المساء وهي تعد نفسها للذهاب لمنزلِ ابن عمها كريم ف جواد قد أكمل اليوم الخمس سنوات وسيقيمون له حفلاً لعيد ميلاده, للحظاتٍ ترددت قبل أن تخلع قرطها الناعم الذي يتخذُ شكل جمجمةٍ ووضعته على طاولة زينتها ثم أخرجت ذلك القرط اللؤلؤي , تبسمت عندما تذكرت مكالمته الهاتفية صباحاً : يجبُ أن أراكِ اليوم يا عسل لنتحدث.

خرجت منه بجديةٍ كبيرة وكأنه أحدُ رجالِ المباحث يلقي أمراً لعناصره, علقت القرط الثاني وتأملت نفسها مجدداً, صحيحٌ أنه ناعمٌ جداً لكنه كان كفيلاً بإجراِء تغييرٍ بسيط فيها...

أجابته بتلعثم: لن أستطيع مشغولةٌ اليوم.

تمسك فهد بهاتفه يأساً منها وأجاب :صدقيني إنها آخرُ مرةً سأتصل فيها لأعتذر منكِ, الموضوعُ لا يستحقُ ما تفعلينه.!

شعرت بتغيير اسلوبه وارتعدت للحظاتٍ كونها لم تعد تستطيع سماع صوته !

مهلاً... اليوم عيد ميلاد جواد ابن ابن عمي, لن أستطيع فعلاً لقائك ,

-وغداً أنا سأسافر, والدي مريض وقد حجزتُ على أولِ طائرةٍ متجهةٍ صباحاً للسعودية .

ابتلعت ريقها وقد شعرت بضرباتٍ عنيفةٍ تلطم صدرها فقالت بتلعثم:
س..سأحاول أن ألتقيك أمام فيلا عمي, ؟

-حسناً, سأنتظركِ أمام فيلا عمك الساعة التاسعة أمليني العنوان....

قلبت بسمتها لدمعةٍ تكومت على مقلتيها وهي تسدل على جسدها فستانها ذو اللون الوردي قصير الأكمام و الذي يصل لما قبل ركبتيها بقليل... كان ل نور سابقاً وانحشر على مر الأعوام مع مجموعة الفساتين
والألبسة الشبه جديدة التي كانت نور ترتديهم لمرةٍ أو اثنتين فقط فيما مضى, ولا تعرف اليوم لما انتقته هل تريدُ أن تكون جميلةً بنظره قبل أن يسافر؟

مالت أكثر على المرآة وهي تمرر القلم الوردي اللامع على شفاهها...

-إنه مريضٌ جداً, والدتي منهارةٌ من الصباح.

تنهدت بأسى وهي تتذكر محادثتهما عبر الهاتف وللآن لاكتشفت أنها لا تعرفُ شيئاً عن فهد سوى اسمه وعمله ! مررت الكحل على عينيها كما كانت تشاهد نور تمرره سابقاً ثم تراجعت إلى الوراء وارتدت جالسةً على السرير وهي تتأمل هيئتها الجديدة! كانت مختلفةٌ جداً, ولم تكن مرتاحةً بما ترتديه فالصورة التي التي انعكست على مرآتها ليست صورتها أبداً..

أتاها صوت مراد يستحثها على الاستعجال فجهر صوتها : قادمة"

انتعلت الخف فهي حتماً ستغير كل ما فيها إلا ارتداء الكعب العالي هذا ما لن تستطيع فعله مطلقاً, وهرولت تهبط درجات السلم حيث كان الجميع قد جلسوا بالسيارة ينتظرون عسل التي تأخرت ولأولِ مرة باستبدال ملابسها !
.

شهقةٌ من فم عبير خرجت لا إرادياً لتتجه أعين الجميع ناحية ما تتطلع إليه ليطلق مراد صفرة عاليةً ويخرج هاتفه ليسجل هذه اللحظة بصورةٍ لشقيقته التي قطبت حاجبيها بغضبٍ ممزوجٍ بخجل منهم..

-ولا كلمة ...انطلق مراد.

قالتها عسل بأمر ليهز رضوان رأسه ضاحكاً بينما مراد يشغل السيارة لينطلق وهو يتمتم بخبث : حسناً أنسة عسل, يبدو أنكِ بخضم هذه الإصلاحات نسيتي أن تستبدلي لسانك الطويل !

مدت له لسانها بشقاوة لتلكزها كبير على فخدها فتتأوه ألماً: تأدبي مع شقيقك الكبير يا بنت. !

لما لم تحضر دلال معنا أمي؟ قالتها عسل متسائلة بعدما فطنت أن دلال ليست متواجدة فأجابت عبير :

-ستوافينا لاحقاً, ما تزالُ بالمستشفى.

**********

وعسل التي ترتدي الفستان صارت حديث جميع من بالحفل هذه الليلة فتمنت عسل أن تمزق الفستان لشدة غيظها !فقرصةٌ من تلك وضحكةٌ من ذاك وغمزةٌ من آخر من أقاربها فهذا حدثٌ جللٌ لو تدركون ! .شعرت بالحنق منهم فآثرت الجلوس بالحديقة وصارت تهز قدمها بتوتر منتظرةً لحظة لقائه, حط العقرب على الساعة التاسعة تماماً ف رن هاتف عسل تنبهت على كريم الذي حضر ليجلس بجانبها فأخرست هاتفها وتطلعت بابن عمها بانزعاج:

-حسناً آنسة عسل ما الذي ضايقك لهذا الحد ؟

أشاحت بوجهها عنه وما تزال تهز قدمها بعصبية فضربها على ركبتها : كفي عن ذلك انه يوترني" ثم أردف بعد لحظات : لا تهتمي لأحد لو كنت مقتنعةً بهذا التغيير فقومي به ولا تأبهي لأحد.

رن الهاتف مجدداً تطلعت فيه بارتباك فكتمتا صوت الرنين وقالت باندفاع وهي تتطلع ناحية سيارة فهد الواقفة :

- لم أعد مقتنعةٌ به " تبسم كريم بحنان مجيباً : أنا حتى اللحظة لم أرتد بذلةً رسميةً بحياتي, حتي بيوم زفافي إن لاحظت ذلك, كم لاك الناس سيرتي لا يهم ما يهم فقط هو ما أنا أحتاجه وما هو مريحٌ بالنسبة لي, أعهدك قويةً جداً وما تزالين كذلك..." أردف ضاحكاً : وبالمناسبة لن أسألكِ عن سبب هذا التغيير لأن إحداهن تغيرت هكذا سابقاً لمدةٍ وجيزة قبل أن تعاود لممارسة شراستها المعهودة !

شعرت عسل بالخجل من تصريحه فهو كان يقصد جمانة حتماً بكلماته وهتفت به : ليس كما تظن كريم !

-أجيبي على هذا الهاتف الذي لم يكف عن الإضاءة إذن, ودعي من ينتظرك بتلك السيارة الواقفة أمام الفيلا أن يتقدم بوضوح بدل ألاعيب الأطفال تلك.

قالها بحدة وهو يقف قبالتها بتحدٍ لتجفل مكانها وكأنه أمسكها متلبسة ثم مضى عائداً إلى الداخل بعدما ألقى مجدداً نظرة أخيرة على فهد الواقف أمام السيارة فقد رآه منذ قليل على شاشة كاميرا المراقبة وتأكد الآن أنه يخص عسل! لكنه لم يعرف بعد من يكون؟

**********

## الفصل الثاني والعشرون

راقبته حتى اختفى داخل الفيلا فوقفت وهندمت فستانها ثم مشت بسرعةٍ واجتازت البوابة وعبرت للطرف المقابل حيث يتكئ فهد على سيارته وينتظرها على أحر من الجمر. . شرد للحظاتٍ بها وتأملها فأزاح ذلك القليل من الغضب تجاهها, بل أزاح الغضب ومحا آثاره, !

-آسفة تأخرت.
-من كان برفقتك؟ ظهرت غيرته واضحةً فلأول مرةٍ ينطقُ أول ما يتبادر لذهنه معها
-أنه كريم ابن عمي " هز رأسه متفهماً فقد حكت له عن كريم وجمانة سابقاً, تبسم وهو يحادثها: تبدين مُخْتَلِفَة الليلة
احمرت وجنتاها بخجل ثم تداركت نفسها وسألت: كيف هو والدك؟
اكفهر وجهه مجدداً وأجاب: ليسَ بخير, أزمةٌ قلبية وهو في العناية المشددة حالياً, يجبُ أن نسافر في الرابعة صباحاً.
-سيكون بخيرٍ إن شاء الله لا تقلق.
-إن شاء الله.
**********
وضع كريم ساعده فوق كتف آدم الذي حضر منذ دقائق متألقاً كعادته, همس كريم بخبث: ألم تصل المدام بعد؟
-ابتعد كريم لستُ أنقصُ سماجتك, وأصلاً أنا لا أنتظرُ المدام,
-أها . . لهذا تألقت جداً هذه الليلة, لأجل حفل ميلاد جواد, أو ربما لتنتقي لنفسكِ عروساً جديدة؟!
-يووه نطقها بنزقٍ من كريم الذي أبى مفارقته ثم أدار وجهه ناحية الباب مستكملاً: قاطعتَ زوجتكَ أسبوعا كاملاً لكن ما دخل باقي العائلةِ يا أحمق! على كُلّ حال وصلت عروسك, هيا اذهب وأنهى ذلك الخلافَ السخيف, لا شيء يَسْتَحِقّ ما تفعلانه ببعضكما"
تطلع آدم بتلقائيةٍ ناحية نور التي دلفت لتوها من الباب, أفلتت بسمة لا إرادية من شفاهه فقد اشتاقها حقاً ثم أزاح الابتسامة فور أن تلاقت عيناهما . . .لكزتها دلال مشجعةً فقد قدمت برفقتها ثم خطت للداخل تبحث عن جمانة لكن جمانة الآن تحديداً كانت بمهمةٍ رسميةٍ طلبها منها زوجها لحين أن ينشغل بضيوفه!
قبل عدة ساعات
حاولت لكنه لم يُجب على اتصالي " قالتها نور وهي تجلسُ برفقة دلال في استراحة المستشفى حيث قامت بزيارتها قبل العودة للمنزل.
-وكم مرةً اتصلتِ به؟
-مرتين أو ثلاث.
ربتت دلال على كتفها معاتبة: مرتين منذ عدة أيام وتريدين منه مسامحتك!؟ هذا حقه بالمناسبة, لقد أطلقتِ الحكم عليه حتى قبل أن تتأكدي.
-لكن الصور لخبطتني جداً. . . كانت تلك البيسان ملتصقةً به! !

الصورُ ليست مقياساً وأنتِ تعرفين أنها كانت من أيامِ الجامعة أي أنها منذُ زمنٍ طويل ولا يحق لكِ أن تحاسبيه على ماضيه مهما كان, المهم هو أنه لم يخنك أبداً في فترة الخطوبة والزواج.
أطلقت نور تنهيدةً عميقةً وأرجعت برأسها إلى الوراء مغمضة العينين: لقد صفعني! !
-وأ ت المخطئة, لم تري خوف الجميعِ حين انهيارك, كان الأمرُ لا يستحق مبالغتكِ بهذا الشكل, نصيحتي. . اذهبي إليه واعتذري.
اعتدلت نور بجلستها فأعقبت دلال مؤكدة: بل يجبُ عليكِ أن تعتذري.
شجعتها دلال بابتسامةٍ واثقة بينما نور قد منعها كبريائها من الاعتذار وبذات الوقت كان قلبها يصرخُ بعنفٍ للاعتذار منه!
تنبهت إليهما اليسا فور دخولها للاستراحة للحصول على كوبٍ من القهوة لتعديل مزاجها بعدما أنهت عملها بمساعدة هشام بقسم الطوارئ
-أهلا نور. . . أراكِ هنا؟. !

تعانقت الفتاتان ثم جلستا لتجيب نور بمرح : كنتُ أحتاجُ أن أثرثر قليلاً ... سأختنق"

ربتت اليسا على كتفها مواسيةً ثم قالت نور مجدداً : اليوم عيد ميلاد جواد, سيكون آدم هناك حتماً.

تبسمت دلال وهتفت بمرح : اذن ستحلين مشكلتك الليلة.

**********

نعود الى الحفل حيث تقدمت نور من آدم بتشجيع من دلال, سارت بتؤدة حيث وصلت ناحيته فزاد عقدة حاجبيه وهو يضع يديه بجيب بذلته ..صمتت قليلاً تحدق فيه وبوجهه الحليق, كم كان يبدو وسيماً ولولا الحضور لكانت قد ارتمت على صدره من فورها قاطع شرودهما صوت كريم محذراً : حُلا مشاكلكما وإلا أقسم بالله أن ألقي قالب حلوة ابني على رأسيكما وتحملا صراخ جواد حينها.

اشاحت نور بوجهها باسمة فانتهز آدم فرصة التطلع بتفاصيل وجهها الرقيق لكنه حتماً هذه اللحظة ينتظر اعتذاراً صريحاً منها.!

دفعهما كريم بخفة ناحية غرفة المكتب ليتحدثا على انفراد مسترسلاً : خمسُ دقائق وإن لم أرى أيديكما متشابكة سأنفذ تهديدي وأقسمُ بالله على ذلك.

وبعيداً عنهما تقدمت دلال من مراد الذي يجلس على إحدى الأرائك يتناقشُ مع جواد بموضوع مهمٍ على حد قول الصغير, وما إن نادته دلال حتى ركض الصغير ناحية دلال التي انحنت تجاهه تقبله وهي تعطيه هديته بينما توقف مراد يراقبها ببسمةٍ ارتسمت على شفاهه, اعتدلت بوقفتها بعد برهةً لتلقي التحية على مراد الذي رأى نفسه لا إرادياً ينجذبُ لها مرةً أخرى..

**********

اخذ فهد نفساً عميقاً من سيجاره ثم رماه على الأرض فأسندت عسل ظهرها كذلك على السيارة وبقيا صامتين حتى قطع الصمت قائلاً بجدية: رغم أنكِ اليوم رائعة الجمال... لكنكِ لستِ عسل التي أعرفها.

تلكأت قليلاً فأردف موضحاً: لن أتكلم عن هذا الفستان القصير" ثم همس بسره(( الذي أثار غيظي وجنوني )) وأردف : ,لكنكِ أنتِ لستِ مقتنعةً به أليس كذلك؟.

قفزت لتجلس على مقدمة السيارة متسائلة : وما أدراك ؟ !

-لا تستخفي بي.... بت أفهمك جيداً.

-محللٌ نفسيٌ ماهر ما شاء الله.... نعم صدقت لستُ مقتنعةً به,أشعرُ وكأنني غريبة.

وكأن ما قالته هذه اللحظة له علاقةٌ بأنه طبيبٌ ماهرٌ أم لا؟ !

-إذن لما ارتديته اليوم؟

-هل أصدقك القول؟" هز رأسه مشجعاً لتجيبه :ربما حباً بالتغيير... أو ربما لأكون جميلة.

عند هذه الكلمة أغمض عينيه لثوانٍ مبتسماً ثم استدار ناحيتها هامساً وبالكاد سيطر ألا يصارحها بمشاعره فليس اليوم وقتها أبداً :

-ما يهم يا عسل هو جمالك الداخلي وأن تفعلي ما أنتِ مؤمنة به فقط, لا تتغيري لأجلِ أحد أو لتقلدي غيرك, كوني أنتِ فقط.

- أهي جلسةُ علاج من جلساتك !! أقر أن جلسات علاجك غريبةٌ جداً لكن يبدو أنها مجدية.!

أضحكته كلماتها لتغرق هي بغمازتيه وفكرت لثوانٍ بأنها إن وضعت إصبعها سيغرق حتماً بخديه!! .....يوه تفكيرٌ غبي!!

-عفواً "قالها فهد بغير فهم والآن فقط لتنبهت بأنها نطقت الجملة الأخيرة بصوتٍ عالٍ لتتبارى هي وإضاءة الشارع بأيهما أكثر احمراراً هذه اللحظة. !

رفعت رأسها تجاهه بمرح مفتعل : لا شيء أتناقشُ مع نفسي! .. أتعلم, اليوم تعرضتُ لسخرية أغلب أقاربي على فستاني تخيل, وكأنني رجلٌ ارتدى فستان زفاف. !

أجابها باسماً : وهذا درسٌ آخر من دروس الحياة يا صغيرة: سيلوكُ الناس سيرتك دائماً وأبداً بأي تصرفٍ وهمسة... إن كنتِ تؤمنين بصحة ماتفعلين وكان لا يؤذي غيرك حتماً لا تأبهي لأحد.

-أنت محق يا فهد.

صمت قليلاً وتطلع على ساعته التي قاربت على العاشرة والنصف :

-أنا مضطرٌ للرحيل لتوضيب امتعتي , اعتني بنفسكِ جيداً, ورجاءاً كفي عن افتعال المشاكل لأن فحص الثانوية قد اقترب, وأخشى عليكِ جداً أن تتسببي بفصل نفسك من المدرسة, اعتبريه طلباً خاصاً مني.

-سأفعل, اعتني بنفسك أيضاً " نطقتها بحزن وهي تتطلع بعينيه المرهقتين... حتى والهموم تثقل كاهله يفكر بمساعدتها ونُصحِها... ربما لم تعرف عسل بعد معنى نصائحه لكنه كان قد فهم جيداً أن تلك الفتاة ليست مجرد حالةٍ أراد علاجها.... الأمر بات أصعب بكثيرٍ مما تصور, الأمرُ

بات متعلقٌ بقلبه الذي غرق بتلك الفتاة لدرجةٍ شعر بوخزاتٍ عميقةٍ لمفارقتها هذه المرة التي لم يعرف كم ستطول .

مد يده لمصافحتها ثم استدار ورفع هاتفه ناحيتهما ليلتقط صورة تجمعهما سوياً وسط ذهولها من فعلته ,

-أراكِ على خير أيتها المشاكسة "

نطقها بمرح مفتعل ثم لوح لها بيده واستدار ليستقل السيارة مغادراً فتنهدت وهي تراقب سيارته تبتعد وعادت إلى الداخل...

وما إن عبرت البوابة حتى التقطتها جمانة من أذنها وصاحت بغضب ( يخرب بيتك! ! ) تألمت عسل وبالكاد خلصت أذنها من بين أصابع جمانة وهتفت بها بغيظ: ما بكِ يا بنت أرعبتني.
-من هذا! ! !
-إنه فهد,
-الطبيب النفسي ! !وما الذي يفعله هنا. ! !
-لا شيء, سيسافر جاء لتوديعي فقط"
-نعم! ! ولما سيقوم بتوديعكِ إن شاء الله ,أكان من عائلتنا ولست أعلم؟
-يووه جمانة اتركيني حباً بالله. . يعني طبيبٌ جاء لتوديع مريضته
-مريضته! !
هربت من أمامها بسرعة لكن جمانة سارت بجانبها وهي تكيل لها سيل أسئلةٍ لن تنتهي بوقتٍ قصيرٍ حتماً فهذه هي المهمة التي أوكلها كريم لجمانة, أن تراقب عسل وتطمئن عنها كيلا يضطر هذا الأخير بالتدخل وكسر عظام ذلك المسكين ولم يلحظ الجميع أن هناك طرفاً ثالثاً ينتظر أحدهم!
**********

انتهى حفل ميلاد الصغير خرج آدم ونور من غرفة المكتب فبعد عتابٍ كبيرٍ من عينيه كادت أن تشرحَ له أصل الحكاية فقال بهدوء: نتحدثُ لاحقاً " فخطفت نور من وجنته الحليقة قبلةً خاطفةً وابتسمت قبل أن تسبقه للخارج ليلحق بها للانضمام للعائلة.
أما مراد فكان لا إرادياً لا ينزاح من جانب دلال أو لا يتوانى عن مراقبتها حتى وهو بعيدٌ عنها, وكأنه يَشُنّ حربًا على نفسه, خائفٌ هو من تجربةٍ جديدة وخائفٌ كذلك من مواجهة الحقيقة بأن ترفضه, وكيف ستقبل به

وهي تعرفُ ماضيه؟ . . تسلسل الحضور خارجاً واحداً تلو الآخر حتى لم يتبقى سواهم وقد قرروا الخروج للسهر بأحد المطاعم القريبة خرج مراد بسيارته لإيصال عابد وعبير ورضوان ومن ثم سيقوم باللحاق بهم, أما عسل ونور وجمانة وآدم فقد استقلوا السيارة برفقة كريم ودلال المسكينة رأت أن لا مكان لها بينهم لذلك بشكلٍ تلقائيّ استقلت السيارة برفقة مراد . . .

**********

يتوارى الماضي أحياناً بمكرٍ كاللص, ولكنه لا يموت، وله حرية اختيار طريقة عودته. . . ولكن عودته هذا اليوم كانت بغتةً حيثُ لم يفهم أحدهم ما جرى أو السبب لتنتهي ليلتهم بهذا الكابوس المرعب. . . بثوانٍ كان مراد قد تنبه لذلك الملثم الذي ظهر فجأةً خلفَ بوابة المطعم وصوب سلاحه تجاه آدم, صرخَ مُراد بصوتٍ زلزل سكون الليل واندفع تجاه ابن خالته ليحميه من الرصاصة التي انطلقت من فوهة المسدس تجاهه دفعه بعنفٍ فانطرح الاثنان على الأرض وقد أغرقت الدماء قميصيهما, لم يستوعب أحدٌ ما جرى حتى دفع آدم مراد عنه بفزع حقيقيّ وهو يهتف باسمه. . . تنبهت حَوَاسّ كريم فجأةً فاستقل سيارته ليلحق بذلك الملثم الذي سارع بركوب سيارته والانطلاق بها أما دلال فقد هرولت مباشرةً تجاه مراد المسجى على الأرض لتحديد موقع الرصاصة فتبينت أنها قد اخترقت كتفه الأيمن بينما نور شخص بصرها برعبٍ وتبسمرت قدماها فلم تستطع التحرك أو التصرف حتى صرخت دلال بضرورة نقله بسرعةٍ للمستشفى فعاونه آدم ليجلس على المقعد الخلفي والتف بسرعةٍ ليقود السيارة وجلست دلال بجانب مراد تضغط على جرحه كي توقف النزيف فهرولت الفتياتُ بآخر لحظةٍ لينطلق آدم بالسيارة إلى المستشفى. . .

أي وجد مستشفى قريباً من هنا! " قالها آدم بارتباك فقاطعته نور على الفور: الرحمة. . . مستشفى الرحمة " هز رأسه ثم انطلق مزيداً من سرعته واستدارت نور إلى الخلف تحدثه: سنصل بعد دقائق تماسك أخي, دلال اضغطي جيداً رجاء.

التصقت الفتيات ببعضهن بالمقعد الخلفي ودلال ما تزال تضغطُ على جرح مراد هزت رأسها مؤكدة: نعم أفعل" تعالى لهاثُ مراد وهو يرجعُ برأسه للوراء مستنداً على المقعد ودلال تزيد من ضغطها على موضع الرصاصة أكثر تطلع ناحيتها وحاول أن يقول بابتسامةٍ واهنة: أشعرُ حالياً بأنكِ تشبهين أمي!

تبسمت دلال بعينين دامعتين وسألته: ما أوجه الشبه بيننا؟ " أغمض عينيه

متألماً ثم أجاب بهسيس إن. . إن أخرجوا تلك الرصاصة الحمقاء من جسدي. . . سأخبركِ حتماً.
-سيخرجونها. . لا تقلق حالتك مستقرة.
**********

كانت الساعةُ قد قاربت على بلوغ منتصف الظهيرة حينما خرجت عسل من غرفتها ولم تنل إلا قسطاً قليلاً من الراحة بعد تلك الليلة المرعبة التي مروا بها وشرعت بتغيير ملابسها للذهاب إلى المستشفى مجدداً للاطمئنان على شقيقها مراد ,

-صباح الخير" نطقتها اليسا فور ولوجها لغرفة مراد الذي تطلع فيها باسماً وحاول الاعتدال بجلسته فعالجته بقولها: لا تتحرك رجاءاً.

-أنا بخير "

-حمداً لله على سلامتك" اقتربت أكثر وقامت بالكشف على جرحه للاطمئنان عنه بعدما قام أحد الأطباء بإجراء عمليةٍ لإخراج الرصاصة التي استقرت بكتفه ثم تبسمت بانشراح : جيد أمورك بخير لا تقلق.

-ومن قال بأني قلق ؟! قالها مراد في حين دلفت دلال وهي تحمل ضماداً لتغييره وقد قامت بذلك بسرعةٍ ومهنيةٍ فائقة ولم تنتهي حتى دلفت نور و جمانة وخلفهما عسل وعبير... تطلع فيهن باندهاش ثم أرجع بجذعه للوراء ضاحكاً: ما شاء الله ستُ ملائكةٌ تطوف من حولي"

-احتضنته عبير وقد سالت دموعها والتفت نور كذلك للطرف المقابل وهي تبكي ثم اندفعت تجاههم عسل وهي تهتف بحنق : لعن الله من كان سبباً بذلك...واللهِ لأقوم بسلخ عظامه ابن ال"....

-ششش" لطمها مراد بخفةٍ على رأسها بيده السليمة وقال هامساً : أنا بخير " تقدمت جمانة أخيراً بعينين محتقنتين ثم جلست على الكرسي المقابل بعدما ابتعدت عنه عبير وعسل أما نور فما زالت بجانب شقيقها, أمسكت جمانة يده بين أصابعها باكية : فديت شقيقي بجسدك, لن أنسى صنيعكَ أبداً...شكراً مراد"

تبسم مؤكداً وهو يتطلعُ على كفيها الصغيرين اللذين يحتضنان كفه : إنه أخي يا جمانة" ثم رفع رأسه لتتلاقى عيناهما لوهلة وقال بحنان : أفديه بروحي"

**********

## الفصل الثالث والعشرون

أفديه بروحي. .
لكم كانت تلك الكلمة ذاتُ مَعْنَى عميق بالنسبة لجمانة, وفعلاً قام بفداء آدم دون تفكير والآن فقط لتأكدت مقدار الحب الذي يكنه مراد لشقيقها, نزعت يديها عن يديه ومسحت دموعها حينما دلف كريم من الخارج, رآهما فقطب حاجبيه لوهلةٍ لكن الوقت حالياً ليس ملائماً لغيرته, نهضت جمانة تجاهه فربت على كتفها باسماً, ثم أبعدها مخاطباً الجميع: أمسكت ذلك الوغد وقمت معه بالواجب على أكملِ وجه لكنه لم يعترف حتى اللحظة عمن أرسله. !
-لا بد وأنه عصام الرئيس.
-من؟ ! ! " نطقها الجميعُ باستغراب لتجيب نور بثقة: والد دكتور أمير. .
. . شقيق بيسان التي كانت تلاحقُ آدم سابقاً.
وشرحت لهم كيف يحاول الأب أن ينتقم لموت ابنته.
-فقال مراد حانقاً: يبدو أن لنا زيارةً قريبةً له ولابنه. !
-رجاء أخي لا نريد مشاكل يجبُ أن نبلغ الشرطة.
قالتها نور برجاء فأومئ كريم مؤيداً: سنبلغهم حتماً.
-وأين هو آدم الآن؟ تساءل مراد ليجيب آدم باسماً وهو يدلف للداخل :هأنذا يا أخي" واندفع تجاهه محتضناً إياه بامتنانٍ شديد فلكزه مراد مازحاً: هيا الآن ما بالكم أيها القوم ستتسببون بطردنا من المستشفى. ! !
نظر الجميع لبعضهم وتعالت ضحكاتهم لتقول نور بجدية: فعلاً إن عددنا كبير يجبُ أن نغادر"
ثم أردفت اليسا: وبكافة الأحوال لن يبقى هنا لأكثر من يومين فحالته مستقرة والحمد لله.

-إن كانت اليسا طبيبتي ودلال ممرضتي فسأبقى دهراً هنا! ! نطقها مراد مازحاً بلحظة دخول هشام لتتغير تعابير وجهه للجدية ويقطب حاجبيه فيتدارك مراد نفسه ويهتف: حسناً أرضى بهشام طبيباً مع أني أشك بأنكم سترونني بالمشرحة صباحاً. ! !
لتتعالى ضحكات الجميع بينما يغادرون الغرفة.
**********
أحياناً نَظُنّ بأننا اكتفينا من هذه الحياة, نهربُ من ماضينا وآثامنا كهروب إبليس من نار السعير لكن يد الزمان لا بدو أن تلطمنا لننال العقاب العادل, وحين نناله نَظُنّ بأننا مخلدون في العذاب الأبدي. . نُصابُ بالفرح العارم بعد انتصارنا ببعضِ الأحيان ونغرقُ في هناء الحياة, ونكتشفُ بأننا مخطئون في كلا الحالتين, فلا فرحَ يدوم ولا ألمُ يعشش فينا ,كُلّ شيءٍ مصيره للتبدل والتغير, لا يجبُ أن نثق بالحياة بقدر ما يجبُ أن نكلل بالإيمان العميق بتبدل الأحوال والمشاعر.
من تظنه محور هذا الكون. . . ومن تظن بأنك بعد مفارقته ستموت حتماً, تلطمك الفاجعة الكبرى. . . سيأتي ذلك اليوم الذي تنساه فيه حتى ولو كان أقربَ الناسِ منك, فاللهُ رحيمٌ بعباده, رحيمٌ لدرجةِ أنه زرع النسيان في عقولنا لنعتاد على صفعات الحياة, هذا ما يفكر به مراد حالياً وهو يراقب دلال التي تبدل له الضماد مَسَاءَا ,شعرَ أخيراً بأنه حينما تخلصَ من حب جمانة, تخلص من شيءٍ يجثم على نفسه ويثقل كاهله, لم يعد يفكر فيها, لم يعد يتذكر لحظات الماضي برفقتها حتى ولو لم تكن له جمانة المشاعر يوماً.
-أتعرفين أمراً فعلاً عندما أقابلك أشعرُ أنك كأمي" نطقها مراد شارداً في وجه دلال فأدارت وجهها ناحيته وتبسمت متسائلة: لقد أعدت هذه الكلمة مرتين منذ البارحة ووعدتني مسبقاً إن أخرجوا لك الرصاصة ستخبرني فيما أشبه والدتك.
فأجاب موضحاً وبسمته لم تفارق شفاهه:
-إذاً سنؤجلها كذلك لحين خروجي من المستشفى فيبدوا أننا سنتحدثُ حديثاً مطولاً " أحنت رأسها بخجلٍ من نظراته وتشاغلت بتعقيم الجرح فأردف بهدوء مقاوماً الألم:
-أنتِ فعلاً ملاك الرحمة كما يطلقون عليكِ.
أنهت ما تفعله ونظرت ناحيته بتوترٍ ثم لملمت أشيائها وهربت من الغرفة وهي تنفضُ عن رأسها أفكاراً غريبةً جداً جراء كلماته بينما أرجع بجذعه إلى الوراء واضعاً يده خلف رأسه وزاد شروده كثيراً جداً فقد بات

يفكر جدياً بالموضوع ولا داعٍ للانتظار أكثر. !
**********
وَمَسَاءَا بداخل المطار كان أمير يجر حقيبته عائداً إلى أميركا فلم يعد قادراً على تحمل مزاجية والده وانتقامه الأعمى الذي سيدمره لا محالة إن بقي على هذه الحال, لم يكن بعد يعرف أن والده قام بإرسال أحد الرجال لقتل آدم ولم يقم حتى بتوديعه, حجز على أول طائرةٍ وها هو ذا يستقلها هارباً لربما من نور أكثر من والده, أغمض عينيه باستسلام فرحلته ستكون طويلةً للوصول وأيقن أنه هذه المرة سيغيب طويلاً جداً. . . وربما لن يعود إلى وطنه فما يحمله من ذِكْرَيَات بأرض هذا الوطن لا تَسْتَحِقّ أن يتذكرها, بل هي كَوَابِيس جاثمةٌ على صدره ولا يريد إلا أن ينفضها عنه ويعيش حياة استقرار فهو قد عرف كل شيء بل وقابل بعض أصدقاء شقيقته ليعرف الحقيقة الكاملة منهم, طيلة تلك السنوات كان والده يزرع بداخل صدره ناراً عمياء كادت أن تحرقه وتدمر مستقبله. . .
دلف آدم إلى مستودع الألبسة الذي يحتجز به كريم الرجل الذي حاول قتل آدم ,انفرجت عيناه لثوانٍ عما حل به وهز رأسه راضياً وفعلاً كما قال كريم. . . . قام بالواجب على أكمل وجه, فذلك الرجل لم يتبقى موضعٌ بجسمه لم يتعرض للكمةٍ من لكمات كريم! . شد آدم شعر رأس الرجل ليرفع وجهه وقال بحنق: إذن عصام الرئيس هو من أرسلك أيها الوغد أليس كذلك. . .
ما يزال الرجلُ صامتاً فحدق كريم وآدم ببعضهما لثوانٍ قبل أن يشير له كريم بأن يتركه: دعك منه يبدو أحد كلابه الأوفياء " ثم رفع الهاتف ليجري اتصالاً هاتفياً ولم تمر بضع دقائق حتى دلف رجال الشرطة لاعتقاله, ربت كريم على كتف آدم قائلاً بإرهاق: يجب أن أذهب لم أنم جيداً منذُ البارحة.
-شكراً لكَ كريم"
-هذا واجبي"حياه ثم خرجا ليستقل كلٌّ منهما سيارته ويغادر إلى منزله. . . ولم يكد آدم يدلف إلى الشقة حتى ارتمت نور على صدره وهتفت به: لقد تأخرت, أقلقتني جداً " فرفع وجهها بأنامله باسماً قائلاً بحنان: أنا بخير والحمد لله"
-آسفةٌ عما حصل. . أنا صدقاً لم أقصد " . . . .وضع أصبعه على شفاهها هامساً: صفحةٌ وطويتها للأبد, وأنا من سيعتذرُ لكِ عن الصفعة, أقبلُ كل شَيّ منكِ إلا أن تصفينني بالخيانة.

**********

عدة أيامٍ مرت و لم يتصل فيها فهد, شعرت عسل بالقلق وهي تروح وتجيء بالغرفة ممسكةً الهاتف بين قبضتيها, تخجل من الاتصال وبذات الوقت تريد الاطمئنان عنه, ارتمت بعدها على السرير وهي تزفر بتردد ولا تعرف لما باتت تفكر فيه كثيراً في الآونة الأخيرة, رفعت الهاتف مجدداً وما كادت أن تتصل بعدما حسمت أمرها حتى سمعت نداء والدتها, فنهضت بسرعةٍ لتجيب والدتها التي باشرت منذُ الصباح بتنظيف المنزل واعداد أشهى الأطباق فاليوم سيعود مراد !

أما فهد فقد كان بعالمٍ آخر كلياً, توفي والده صباح اليوم , بعد العزاء خرج إلى الشرفة ليستنشق الهواء فقد كان يشعرُ باختناقٍ شديد, أراد التحدث مع أحد ...بل مع عسل حصرياً, يريدُ سماع صوتها فأخرج الهاتف وقام بالاتصال وانتظر الإجابة لكنها لم تجبه فارتمى على الكرسي بيأسٍ وقد دمعت عيناه وهو يسمع أنين والدته وشقيقتيه الباكية الخافت الصادر من غرفهم , الموتُ بشعٌ جداً وعلى الرغم من أنه يحوطنا من كل جانب...لا نستطيع الاعتياد عليه, فمفارقة من تحب أشد أنواع الألم و أقساها..

تنبهت عسل بعد ساعاتٍ على اتصال فهد لكن الوقت كان قد تأخر جداً لتتصل فيه فقد انشغلت جداً اليوم باستقبال مراد ..

أطل الصباحُ مجدداً فاستيقظت عسل على أشعة الشمس الدافئة التي غمرت جسدها المنكمش على السرير فتحت أهدابها وتمطت قليلاً ثم تأملت طيراً صغيراً كان يقف خلف النافذة فتبسمت بسعادةٍ وتوجهت بهدوءٍ ناحيته لتتأمل شكله وما إن أحس العصفور المسكين عليها حتى طار بعيداً فتأففت بامتعاض وهي تدير وجهها ناحية المرآة وتتمتم : معه حق أشبه فزاعة الحقول بشعري المنكوش !! واستعدت ليومٍ جديدٍ بالمدرسة وبعد عودتها مباشرة قامت بالاتصال بفهد لأكثر من مرة لكنه لم يجب على اتصالها فظنت بأنه يتجاهلها كما فعلت دون قصد, رمت الهاتف بحنق على السرير واستبدلت ملابسها لتشارك عائلتها الغداء والقلقُ قد استبد بها .

**********

يومٌ آخر بالشركة كان فيه آدم منشغلاً وغارقاً بمخططاته بينما مراد ورغم تراكم أعماله كان مسترخياً على الكرسي ورافعاً قدميه على الطاولة

مستمتعاً بسماع اغنيةٍ كعادته القديمة, دلف آدم ليراه على هذه الحال فمط شفاهه بامتعاض : يا لبالك الرائق يا أخي , الأعمالُ متراكمةٌ علينا وأنت بدنيا أخرى" !

-أتعرفُ شيئاً يا ابن خالتي... لتذهب أنتَ والشركة والأعمال إلى جهنم"

-جمعاً إن شاء الله" قالها ضاحكاً ثم رمى الورقة على المكتب قائلاً : وقع "

تململ مراد ليصفقه آدم على فخده : أمرٌ مستعجل وبعدها أكمل استجمامك "

-هووف " انزل قدميه من على الطاولة وقام بالتوقيع ثم رمى القلم وانتشل جاكيت بذلته مغادراً

-إلى أين؟؟

-سأستجمُ بمكانٍ لا يقاطعني فيه الأطفال " هز آدم رأسه بيأسٍ ثم أخذ الورقة وخرج الاثنان فقالت السكرتيرة فوراً : سيد مراد الاجتماع بعد قليل !!

تطلع مراد بآدم وقال بتأفف: أخبرها حباً بالله"

فرفع آدم كتفيه قائلاً باستسلام : فلتذهبي أنتِ والاجتماع والشركة إلى جهنم عزيزتي !

انفرجت عينا السكرتيرة بتعجبٍ فقال معقباً قبل أن يدلف مكتبه : لقد حجز لي التذكرة السابقة, أنا سأقوم بالاجتماع اليوم لا تؤجلي شيئاً. !

تبسمت وهي ترتدُ جالسةً خلف مكتبها وتمتمت بهيام وهي تراه يدلف مكتبه : ليتك لم تكن متزوجاً"

استقل مراد سيارته متطلعاً على ساعته التي لم تتجاوز الثانية ظهراً وجلس فيها دون أن ينطلق ...وذاتاً هو لا يعرف إلى أين يذهب ! بل كان يعرف لكنه ما زال متردداً وخاصةً بأنها حالياً ضمن الدوام الرسمي لذلك آثر

الانتظار والذهاب الى أحد المطاعم لتناول طعام الغداء , واتاه اتصالٌ من المحامي الخاص به فأجاب على الفور

-حمداً لله على سلامتك مراد بك, بالنسبة للموضوع الذي وكلتني به , تصرفتُ أنا وتفاهمتُ معه"

- ممتاز.

-هل تريدني أن أقنعها برفع دعوة ضده وسنكسبها حتماً وستحصل على ضعفي المبلغ ؟

-لا ...هي لا ترغبُ بذلك, ما تحتاجه فقط هو الفيلا والسيارة مع أن ذلك أقلُ من حِصتها بكثير"

-حسناً وقد تم ذلك"

**********

انتصف الليل وكان كريم يقوم ببعض التمارين الخفيفة في الحديقة حينما خرجت جمانة وبيدها كوبين من النسكافيه الساخن , جلست على الكرسي ووضعت الفناجين على الطاولة واتكأت بذقنها على كفيها وهي شاردةٌ بزوجها وابتسامةٌ تسللت على شفاهها ...ولا إرادياً تذكرت ماضيهما سوياً وأول مرةٍ خطت قدماها أرض هذه الفيلا حينما أحضرتها رهف الى هنا, توقف كريم عندما تنبه لها وجلس رامياً المنشفةَ على كتفيه ثم نهض واتجه ناحيتها وارتشف من كوب النسكافيه وقال باسماً : اراكِ تشربينه بلا حليب؟. !

-أشربه كما تفضله أنت"

رمى المنشفة على الكرسي وارتد جالساً عليه قبالتها : سأصابُ بالغرور سيدتي"

-يحقُ لك"

احنى رأسه باسماً ثم نهض فجأةً وسحبها : اذهبي للغرفة ..هناك كيسٌ بخزانتي.

-أي كيس!! والنسكافيه لم أشربه بعد"

سحبها من يدها قائلاً: اشربيه على الطريق" ثم دفعها ناحية الفيلا وخطى للداخل متوجهاً نحو الحمام

دقائقُ مرت كان ينتظرها على أحرٍ من الجمر بعدما انهى استحمامه وارتدى بنطالاً أسود وقميصاً قطنياً ذا لونٍ أخضر غامق ,

-اذاً...أأنتَ جاد كل تلك الوريقات والتعليمات أوصلتني إلى هنا !! نطقتها جمانة بانبهار وابتسامة وهي تنظر نحو الركن القصي الخشبي من الحديقة الخلفية حيث قام كريم بتزيين جدران الكوخ بالزهور والقناديل المضيئة, التف ناحيتها متأملاً ذلك الفستان الأسود الذي ينسدلُ على جسدها بكل انسيابية كاشفاً عن جزءٍ يسيرٍ من ظهرها قامت بتخبئته بوشاح أسود كذلك وتبرجت بشكلٍ خفيفٍ جداً أبرز جمالها طبيعياً

,تقدم ناحيتها قائلاٍ بابتسامةٍ عذبة : كل عامٍ وأنتِ حبيبتي"

-ظننتك نسيته.!

-وهل أنسى عيد ميلادك !....سأذكره حتى آخر الزمان " أردف بعد أن أغلق الباب و أزاح الوشاح وألقاه أرضاً : المكانُ هنا معزول

تبسمت بسعادةٍ وهي تتأمل كيف حّول كوخَ البستاني البسيط لهذا الرونق, قال باسماً :أتسمحين لي بهذه الرقصة.

-الآن و....وبلا موسيقى!!

شدها اليه أكثر باسماً : سأكونُ موسيقاكِ والمُطربُ إن أحببتِ " وشدا صوته يغني لها كعادته:

*لم يبقى سوى ظل الرأسين الملتصقين*
*لم يبقى سوانا ...*
*لم يبقى سوى حركات يدينا العاشقتين*

*من يوم تلاقينا فيها صارت عيناكِ هي الدنيا*
*لم يبقى سوانا ياعمري*

*شالُ الكشمير على كتفيكِ يرف حديقة ريحانِ*
*يدكِ المدودة فوق يدي أعظم من كل التيجانِ*
*مادامت مملكتي عيناكِ فأني سلطان زمانِ..*

انهى الاغنية ثم ر فع كفها ولثمها قبلة طويلةً وهمس : أحبك جداً ...

-كفاك تخجلني كريم!

-أما زلتِ تخجلين من كلماتي!؟

تبسمت وأومأت له فقرصها من وجنتها...أردف بعدما اكتست الجدية ملامحه: وإن كررتِ ذلك التصرف لن يشفعَ لكِ شيئاً عندي.. سأكسرُ تلك اليد التي قبلتها منذُ لحظات.

تطلعت فيه جمانة بعدم فهم ليردف موضحاً : عندما أمسكتِ كف مراد,

ضحكت بخفوت و أجابت : صدقني ابن عمك الآن بدنيا أخرى"

-ما قصدك؟

-ألم ترى نظراته لدلال"

-حقاً..أتقصدين أنه ....

-بل متأكدة

-الوغد!! لم يخبرني"

جلس على الكرسي فجلست قبالته: وهو ذاته لم يعترف بعد.. يبدو مشوشاً جداً لكنها تعجبه وأؤكد لك ما هي إلا بضعة أيامٍ أو أسابيع وستسمع خبراً مفرحاً

-أتمنى ذلك "

أردف بعد لحظاتٍ من الصمت:

-احم... هناك شيءٌ آخر

-خيراً؟

عضت على شفاهها بحرجٍ وأجابت : أنا حامل "

**********

## الفصل الرابع والعشرون

بعد انتهاءه من معاينةِ أحد المرضى عقم يديه مجدداً وغسلهما وتنحى جانبياً ولم تكد اليسا تخلع القفازين الطبيين وتنهي غسل يديها امتدت يده ليلتقط كفها وبحركة مباغتة قام بلف قطعة خيطٍ من خيوط العمليات حول أصبعها وقصها على مقاس الأصبع تساءلت البسا باستغراب: هل لي أن أعرف ما الذي تفعله حاليا. ! !
تطلع ناحيتها باسما ثم غمزها ووللى مغادراً فصفقت اليسا بكفيها وتمتمت باستغراب: جن الولد. ! !
غادر هشام المستشفى مستقلا سيارته وهو يدندن وانطلق فيها بينما ذهبت اليسا لتستريح قليلاً قبل أن تغادر
انتهى ساهر أخيراً من إجراءات بيع المعمل وتم إيداع المبلغ كاملاً في حسابه وقد أيقن أن شقيقته لو رفعت قضية للإرث سيخسر مبلغاً محترماً من ثمن المعمل فاضطر آسفاً للاستسلام أخيراً والرضى بما يملك ولربما سيعود فيما بعد هو وزوجته فعلى الأقل سيكون هنالك
منزلٌ يتسعه وعائلته! , لذلك لملم أشياءه وودع اليسا بوجه جامدٍ ثم ولى مغادراً بذريعة أنه تأخر عن زوجته وأولاده مع كمٍّ لا بأسَ به من التهديداتِ والوعيد بأنه يراقبها ويراقب تصرفاتها!
-بعون الله يا أخي" نطقتها اليسا بعينين دامعتين وهي تراقب ذهاب ساهر, سقط القناع وانكشفت الحقائق بعد مجيئه لكم كان نسخةً عن والدها بتفكيره وطمعه, قبل انتصاف الليل بقليل صعدت نحو الحمام وتوضأت ثم توجهت لغرفتها صلت صلاة العشاء وجلست على السجادة وهي تذرف دموعها, على الرغم أن علاقتها كانت سيئةً بساهر إلا أنها أحست بمن يؤنس وحدتها. . . وها قد عادت وحيدةً مجدداً وشعرت بأن هذه الجدران عادت للانطباق عليها بإصرار, رن هاتفها باسم هشام فنهضت لتجيب بعد أن مسحت دموعها وأجابته محاولةً ألا تظهر له شيئاً لكن بحة صوتها الباكية لا تخفى عليه سألها بقلق: أأنتِ بخير! صمتت قليلاً وأجابته بعد برهة: سافر ساهر"
-إذن! ! هل كلُ شيءٍ بخير يا اليسا؟
-نعم لا تشغل بالك"
أبعد طبق المعكرونة بعد أن كان قد جلس ليتناوله ثم نهض وارتد على الأريكة متسائلاً: تشعرين بالوحدة أليس كذلك؟!
-حسناً اعترف لك. . . أشعرُ بالوحدة" نظر الى ساعته التي قد تجاوزت منتصف الليل ثم نهض وتناول حاسوبه المحمول وقال باسماً:
-حالياً سأضطر لتبديد وحدتك بالطريقة الحديثة"

-وكيف ستبددها يا ترى هل ستبقى تحادثني عبر الهاتف طيلة الليل!
قهقه مجيباً: بل سأرسلُ لكِ الآن اسم فيلمٍ وسنشاهده سوياً"
-يا لبالك الرائق!
-هل لديكِ اقتراحاً أفضل! !
صمتت قليلاً ثم هزت رأسها باستسلام فهي فعلاً بهذا الوقت تحتاج ما يسليها قليلاً فقال باندفاع. . . أرسلت لكِ الاسم لنشاهده سوياً فهو فيلمٌ كوميدي جميلٌ جدا!
وفعلا شغلت اليسا الفيلم من حاسوبها وبدآ بمتابعته بذات الوقت وكلٌ منهما في منزله"
**********
انتهت أيام العزاء وتتابعت الأيام وكلمات والده الراحل تطرق ذاكرته( والدتك واخوتك بأمانتك) لكم كان هذا الحملُ ثقيلٌ وغالٍ جداً على فهد حتى شعر بأنه شاخ فجأةً, صحيحٌ أنه كان فعلياً من يعتني بهم ووالده مقيمٌ منذ سنواتٍ بالسعودية لكنه شعر هذه اللحظة بالمسئولية. .
قام فهد خلال اليوم بالاتصال بعسل لكنها لم تجبه فقد كانت تدرسُ بالحديقةِ في حينها فترك لها رسالةً بأن تحادثه بأي وقت. . وحين أدركت اتصاله ورسالته كان الوقتُ متأخراً فعلاً, استلقت على سريرها وأرسلت رسالة مقتضبة: أأنت مستيقظ!
تنبه فهد على هاتفه الذي أضاء معلناً عن وصول الرسالة وقد كان على وشك النوم, تناول الهاتف ليقرأ رسالتها ثم اعتدل على فراشه واتصل بها فوراً مما أفزعها ليسقط الهاتف على الفراش تناولته بلهفةٍ وأجابت وقد أحست فعلاً بمدى فاجعته بعدما أخبرها بوفاة والده, كان ينتظر هذه المكالمة ليستطيع التنفس من جديد بل وليثبت لنفسه أن الحياة مستمرة, كان صوتها دافئاً جداً وحنوناً على غير عادتها وكأنها أهدته أجملَ كلمات الحب حينما اختتمت المكالمة ب ( اعتني بنفسك يا فهد) اغلق الهاتف وتمنى لو طالت المكالمة أكثر لكنه حالياً لا يملك ما يحكيه, انزلق على السرير وفتح الهاتف مجدداُ وعاد ليتأمل صورتهما التي التقطها أمام فيلا كريم فعرفت الابتسامة طريقاً إلى قلبه وقال هامساً ما كان حتى اللحظة يخفيه عنها ( وكيف لكِ أن تسلبي تفكيري بهذا الشكل ) تنهد واغلق الهاتف مغمضاً عينيه ليستسلم للنوم فغداً سيكون شاقاً بالنسبة له.

بينما عسل ندت من عينيها دمعةً وشعرت باختناقٍ على الألم الذي يعانيه فهد, خرجت من غرفتها واتجهت مباشرةً لغرفة والديها وطرقت الباب ثم

استأذنت لتنام بجانبهما هذا الليلة وشعرت هذه اللحظة كم أنها كانت بحاجةٍ لوالديها فهذه اللحظات قد لا تتكرر بالمستقبل...

وكان أحدهم يعاني من سهادٍ من نوع آخر...كان ساهداً لدرجة أنه استقل سيارته بعد ان تجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وتوجه نحو المستشفى بعدما تهربت منه طيلة أيام خروجه من المستشفى وكأنها فعلاً قد أحست بمشاعره ولا تريد اللقاء به, كانت دلال بمناوبةٍ هذه الليلة, تطلع بالمستشفى للحظاتٍ قبل أن يحسم أمره ويدخل...

-دلال هناك مريضٌ بحاجة لتغيير الضمادات, غيريها له" قالتها زميلتها بابتسامةٍ كافحت لكبتها لتجيبها دلال وهي تلملم المعدات:

-حسناً سأذهب على الفور "

خطت للداخل وأغلقت الستار حيث كان مراد يجلس عاري الجذع فبهتت ملامحها وتمتمت باستغراب : سيد مراد !

-مستغربةٌ من حضوري بهذا الوقت اليس كذلك ؟

-بصراحة مستغربةٌ قليلاً, كيف هو جرحك , هل يؤلمك؟؟

-قليلاً.

-شقيقتك دكتورة !" قالتها وهي منشغلةٌ بتعقيم الجرح ومسحه بهدوء فأجاب باسماً :تقوم بتعقيمه لي لكن يدها ثقيلة"

تبسمت بتهكم : نور يدها ثقيلة! أومئ لها مؤكداً وأعقب : اعتدتُ على يدكِ أنتِ "

توقفت يدها لثوان محرجةً من نظراته وتلميحاته وباشرت مجدداً بوضع الضماد ولصقه ,فقال معقباً:

-أنتِ شبه دكتورة ويجب أن تعرفي, هناك أعراضٌ أخرى أشعر بها"

ظهرت الجدية والقلق على ملامحها فقالت على الفور: خيراً بم تشعر؟

أمسك بكفها ليضعها منبسطةً على صدره وأردف بارتباك : عندما ...أشعر بها مباشرةً على قلبي, تتعاظم ضرباته, تعلو وتعلو .. هل لديكِ تفسيرٌ لما أعاني منه.

سحبت يدها بارتباكٍ وصدمةٍ منه وقالت بجدية: الأمرُ بسيط.. سأبتعدُ عنك وبهذه الحال تتلاشى الأعراض" نهض حتى صار قبالتها وأردف بثبات- :

على العكس ستزيدين الأمر سوءاً هكذا.. وذاتاً أنا لم أطلب علاجاً, طلبتُ تفسيراً فقط "
تراجعت الى الوراء حتى كادت أن تتعثر بالستار فمد يده بسرعةٍ وسحبها : انتبهي"

-ت...تصبح على خير"

قالتها وهي تفتح الستار وتهرب من أمامه فتناول قميصه بابتسامةٍ هادئة وباشر بارتدائه بهدوءٍ شديد فما زال موقع الجرح يؤلمه"

عادت لغرفة التمريض وقد شحب وجهها فارتدت جالسةً على الكرسي وأحنت جذعها للأمام مغطيةً وجهها بيديها وهي تتمتم:

- مستحيل .. لا يعقل ذلك"

-من هو ذلك الباشا الذي طلبكِ بالاسم !؟ قالتها زميلتها بفضولٍ ومكرٍ فهتفت فيها دلال بانزعاج: لا أنقصكِ مريم بحق الله اعتقيني"
تعالت ضحكاتها العابثة وهي تقلد مراد : أريدُ الممرضة دلال لتغييره, يااه ما أجمله من طلبٍ بعد انتصاف الليل, على الأقل نرى وجهاً جذاباً وءءء"
قاطعتها دلال وقد رمت حقيبتها لتتلقفها مريم بين كفيها وتضحك وتفر هاربةً من أمامها"

بينما دلال هندمت قميصها كيفما اتفق ونهضت هذه المرة بوجهٍ حازم لتلحق به كي يكف عن هذه التصرفات المحرجة, هرولت للخارج لكن سيارته كانت قد اختفت, ضربت بقدمها على الأرض بتذمر وعادت مجدداً للعمل.

وبالكاد استطاعت تمضية تلك الساعات المتبقية, استقلت الحافلة المخصصة لنقل الموظفين واتكأت برأسها على الزجاج بشرود حتى تنبهت على صوت السائق : وصلنا يا ابنتي !!" أفاقت من شرودها ثم هبطت من الحافلة وهرولت للداخل تريدُ فقط أن تحظى ببضع ساعاتٍ من النوم بينما يراقبها مراد من على شرفته وهو يشرب من كوب القهوة خاصته ويتنهد بعمق متمتاً بسره : سبحان مغير الأحوال!!

*********

وبهذه الأثناء استيقظت عسل من رقادها وتهيأت ليومٍ جديدٍ بالمدرسة, كان فحصُ الثانوية قد اقترب جداً, بضعةُ أيامٍ وستجلسُ بالمنزلِ لتدرس قبل تقديم الامتحانات, كانت قويةً جداً فيما مضى لكنها حالياً لا تعرفُ لما تشعرُ بالقلق والاضطراب ,أتسبب الامتحان أم لشيءٍ آخر لم تفهم كنهه بعد! ! حتى صديقاتها استغربن من حالة الركود واللطافة للتي تمر بها, لم تعتد تلك العسل على تمضية بضعة أيامٍ دون ارتفاع صوتها أو على الأقل العراك مع إحداهن لكنها ومنذ بضعة أسابيع لم تتعرض لأحد بسوء. . . . تنبه الجميع عليها وقد أيقن معظمهم أن اقتراب الامتحان هو السبب.
وحينما حل مساء هذا اليوم وبعدما أنهت جمع الملخصات والتوقعات وافترشتهم على سجادة غرفتها لفرزهم غرقت بينهم بدوامةٍ كبيرةٍ جداً, تنهدت بضجرٍ وهتفت بحنق :هو ف كل تلك الملخصات والكتب سأدرسها بشهرين فقط! !
طُرِقَ الباب ودلفت جمانة ناحيتها لتراها على هذه الحال فأطلقت ضحكةً عالية: يا للمسكينة!
لكن عسل مدت لسانها بشقاوة وتجاوزت جمانة: لن أمد يدي حالياً يا بطة العائلة أخافُ أن تتكعبلي ببطنكِ الكبير " وركضت وهي تنادي :كرومي حبيبي"
-أنا بطني كبير يا ذات اللسان الطويل ما زلت في الشهر الثالث فقط! !
-اذن اعترفي أنه كرش"
هرولت عسل تجاهه مرحبة به وتعلقت فيه لتطبع قبلةً على ذقنه التي استطالت قليلاً فأجابها: يا قلب كرومي" بينما جمانة عقدت ذراعها على صدرها بتذمر وهي تتوعد لعسل بعقابٍ شنيع وهي أعلى السلم لتراقص لها عسل حاجبيها مزيدةً من إغاظتها: وسامتك تزداد يا فتى!
فقرصها كريم من أذنها معاتباً: كفي يا بنت عن هذه التصرفات لم تعودي صغيرة!

كان آدم ومراد ورضوان يجلسان على الأرائك بينما عبير ترص الأطباق على المائدة برفقة نور فتعلقت بذراعه وسارت برفقته وجلست بينه وبين آدم لتقول بلهجة آمرة: الفحصُ قد اقترب وستساعدانني يا عباقرة العائلة"
-يا سلام! !
قهقه مراد وقد رفع يديه: الحمدُ لله لستُ من عباقرة العائلة كي لا أتورط بتدريسك"
-أنتَ ستساعدني بشيٍّ آخر يا أخي"
-وما هو إن شاء الله ! !سأعد لكِ الشاي والقهوة مثلاً!
-بل ستعلمني قيادة السيارة"
تطلع الجميع فيها باستغراب لتجيب بثقة: سأدخل الجامعة في العام القادم ومن حقي أن يكون لي سيارتي الخاصة, أليس كذلك يا أبي"
-وواثقةٌ من نفسكِ أيضاً! !
-جداً"
كفوا عن هذه الأحاديث الآن وليستدعي أحدكم دلال لتشاركنا الطعام" كانت تلك من عبير فتعلقت عينا مراد على والدته وشف ثغره عن ابتسامةٍ لتجيب نور: دعوتها فعلاً قبل قليل وأصررت لكنها رفضت, يبدو أنها متضايقةٌ من شيءٍ ما"
جلست عبير على الكرسي مؤكدة: تنبهتُ عليها فعلا يبدو أن هناك ما يؤرقها لم تعد تزورنا كما كانت تفعل يبدو أنها مُحرجة.
التف الجميع حول مائدة الطعام وباشروا الطعام بينما مراد يقلب بطبقه بانزعاج ,أَيُعْقَلُ أني أزعجتها! ! تساءل بسره ثم أزاح الكرسي وغادر: عن إذنكم لقد شبعت " نظر له الجميع مستغربين وتمتمت عبير: لم يأكل شيئاً! ! بينما تطلعت جمانة ب نور بنظرةٍ فهمت مغزاها جيداً. . . هناك شيءٌ بينهما حتماً"
**********
عدةُ أيامٍ لم يكن يلمح ظلها فيه. . . . اشتاق لرؤيتها فعلاً وأحس بمعنى وجودها بحياته, ليست بأنثى عابرة ولن يستطيع التغاضي عنها! اتصل بها وقد قرر أن يبوح بكل ما يعتمر بصدره بشكلٍ جدي لكنها تملصت من دعوته كما العادة: آسفةٌ جداً اليوم أنا مشغولة"
وهذه ذريعتها في كُلّ مرةٍ يتصل بها ولا يستطيعُ حتماً أن يطرق بابها ليلاً كي يحادثها, ليس بالأمر السهل والبسيط, وبذات الوقت وبداخل المستشفى كانت اليسا كغيرها من الأطباء باجتماعٍ لدراسة الحالات
الوافدة إلى المستشفى وطريقة علاجها. . . تنحنح هشام قائلاً بصوتٍ

عالٍ :أعيروني انتباهكم للحظاتٍ رجاء ,تطلع الجميع ومن بينهم اليسا وجل ظنها أنه يريدُ الحديث بصلب الموضوع الذي كان الأطباء يتناقشون فيه قبل قليل. . .
-هذه اللحظات التي قضيتها هنا بينكم. . . لا تنسى, تألمنا معاً وضحكنا معاً وكنتم عائلتي الثانية, تضاعفت خبراتي فيما بينكم. . وكل ذلك كان متوقعاً حتماً, لكن

الشيء الذي لم أكن أتوقعه...هو أن أعيش الحب هنا" تعالت الهمهمات فيما بينهم وهشام يمشي بهدوء ناحية اليسا التي تشعر بالاستغراب والارتباك من حديثه وأردف وهو ينظر ناحيتها: عرفتُ الحب.. بجنونه وسكونه, قرأتُ ذاتَ مرةٍ مقالةً تقول: من يحب ..يحب إلى الأبد, من جن بالحب فهو عاقل ومن جن بغيره فهو مجنون... وانا أصابني هذا الجنون, أصابني لدرجةٍ لا أستطيع فيها البوح والاعتراف فمهما بلغت روعة الكلام...لن تصف شعوري حالياً وأنا أنظر إليها وكأنني أنظرُ إلى مرآتي"

دمعت عيناها وهو غارق بعينيها لدرجة أنه نسي الأطباء من حوله والذين يراقبانهما بابتساماتٍ واسعة بل وتجمعت بعض الممرضات أمام الباب ومن بينهن تقف دلال وقد تجمد الدمع بمقلتيها... قال معقباً وهو يركع أمام اليسا ويمد الخاتم تجاهها : أريدُ أن أعيش ما تبقى لي في هذه الحياة برفقتك, أتقبلين بي زوجاً دكتورة اليسا"

وكأن الكون قد كف عن الدوران حولهما, تمسكت بيديها بالكرسي بصدمةٍ أعجزتها عن النطق فعلياً وهي تشعر بنظرات الجميع تخترقانهما اختراقاً, بينما عينيه يتراقصان وما زال منتظراً الاستجابة التي أحس بأنها قد طالت دهراً كاملاً, نهضت من مكانها بعدما ربتت بعد زميلاتها على كتفيها بتشجيع فأومأت له وقد حررت دموع عينيها وقالت تهمس: نعم"

مد يده ناحيتها وألبسها الخاتم فصفق الجميع من حولهما همست بخجل : أنت مجنون, مجنون"

أجاب باستسلام : عرفت ذلك للتو!

انسحبت دلال من غرفة الاجتماعات متفادية التجمهر الذي حصل وهي تكافح سيل دموعها وهي تردد بصوتٍ مهزوز : مباركٌ لهما...مبارك.. لن أضعف, لن تبكي يا دلال بعد الآن"

كان مراد قد وصل لتوه من المنزل وهي تسبقه بعدة خطوات, وقبل أن تتوارى داخل الملحق أسرع ناحيتها منادياً : دلال"

توقفت وصدرها يعلو ويهبط وقامت بمسح ما تبقى من دموعها بعصبية واستدارت ناحيته ليقف قبالتها بقلق: أأنتِ بخير؟

رفعت نظراتها ناحيته وأجابت بثقة: نعم "

-متأكدةٌ أنتِ؟

-اسمع سيد مراد, أنا مرهقةٌ جداً وبحاجةٍ إلى النوم, عن اذنك" وانسحبت من أمامه لكنه بهذ اللحظة يريدُ الاعتراف ولن يدعها تهرب كما العادة, دلفت لمنزلها فوضع حذائه قبل أن تغلق الباب وقال بجدية : يجبُ أن نتحدث رجاءاً"

-وأخبرتك أني متعبة ...متعبة ألا تفهم"

تعانقت نظراتهما لوهلةٍ ولم تشعر دلال بدموعها التي انسابت بغزارة فقال بتردد: ما بكِ دلال؟ أخبريني"

تراجعت خطوتين للوراء وكاد أن يتخطى الباب لسحبها للخارج لكنها دفعته بعنفٍ على صدره ليرتد إلى الوراء وصاحت به : إياك أن تتخطى عتبة هذا الباب أتفهم, إياك " أمسك أعلى صدره بألم فقد لطمته على مكان الجرح " اعتصر قبضة يده بغضبٍ عارم وارتد يهبط درجات السلم وسمعت بعدها صفق الباب بينما هي انزلقت على الأرض وهي تغطي فمها بيديها كي تمنع نفسها من البكاء أو الصراخ قهراً على ما شهدته اليوم في المستشفى "

**********

## الفصل الخامس والعشرون

أهلاً أخي أتيت!! قالتها عسل بمرح لكن مراد تجاهلها وخطى ناحية غرفته ليصفق الباب خلفه بغضب لتفاجئ عسل من تصرفه لكنها انشغلت بمساعدة عبير لتحضير العشاء, جلس على فراشه وهو يضغط بيده مكان الجرح حانقاً من كونها قد فهمته بشكلٍ خاطئ ولم تعطه حتى مجالاً للتفاهم

متألماً من جراحه, خلع قميصه عندما استبان ظهور القليل من الدماء ودلف للحمام ليمسحها بهدوء بيديه ولم يفهم سبب ثورتها الغير مبرر فلم يفعل شيئاً ! , طرقت عسل الباب ودلفت للداخل تناديه : أخي العشاء جاهز.

-لا أريد"

_لكن أخي!! أنت بخير؟

-عسل قلت اخرجي " صرخ بها مراد وصفق باب الحمام بعنفٍ ليرتج الزجاج فانصاعت عسل على مضض وهرولت للأسفل

وبعيداً عن فيلا المنصور كانت اليسا بعالمٍ آخر كلياً وكأن الزمان أخيراً قد تبسم لها أخيراً, خرجت برفقة هشام الذي كانت ضربات قلبه تعلن تمردها وهي بجانبه يتمشيان بحديقة المستشفى , كان البدرُ شامخٌ وحوله تتألقُ النجوم وكأنه تلمعُ خصيصاً لهما, قالت ضاحكة : خطوبةٌ في مستشفى يا مجنون! كم تمرنت على ذلك !؟

تبسم مجيباً وهو يمسك بيدها ليجلسا على الكرسي: طرأت لي بغتةً بعدما شعرتُ بالملل بالمحاضرة فقررتُ أن أرحم نفسي والأطباء"

-أها!! والخاتم ؟.

حك أرنبة أنفه مجيباً بقلة حيلة : كنتُ مُقرراً أن أتقدمَ لكِ الليلة رسمياً بعد وجبة عشاءٍ فاخر ادخرتُ تكلفتها لشهر, لكنهم ألقوا بمقرراتي عرض الحائط بعدما أعلنوا عن ذلك الاجتماع المفاجئ !

تعالت قهقهاتها وهي تنهض وتسحبه : وبذلكَ وفرتُ عليكَ بضعة آلالف ...هيا الواجبُ يناديناً"

اليسا مهلاً .... ناداها لتفاجئي بتعبيراته الجدية وهو يسأل : ألم أخبركِ شيئاً الليلة !

-خيراً ؟

اقترب هامساً بمكر: تبدين كالقمر"

-يا لبالك الرائق!!

**********

كانت الليلةُ طويلةٌ جداً بالنسبة للجميع وكلٌ منهم منشغل البال باتجاهٍ مختلفٍ عن الآخر, بعدما اعتكف مراد بغرفته ولم يخرج حتى بعد انتصاف الليل, دلفت عبير للاطمئنان عنه وقد ايقنت أنه منزعجٌ من شيءٍ ما وما إن دلفت حتى لاحظت تلك الدماء التي لوثت قميص مراد المرمي على الكرسي بإهمال فهتفت فيه وهي تخرج إلى الشرفة وتديره إليها: ما هذا مراد... ما الذي جرى!

-لا شيء مهم, لا تشغلي بالك "

-مراد إن جرحك عاد ينزف أرني إياه بالحال " صاحت به وهي ترمي القميص مجدداً على الأرض وتكشف عن صدره الذي غطاه بقطعة شاشٍ أزاحتها وتمتمت : يجب أن يتم تعقيمه حالاً " أمي ...اخبرتك أني بخير لا تضخمي الموضوع ! قالها وهو ينزل قميصه مجدداً
حدجته بغضبٍ وخرجت من غرفته لتجري اتصالاً بآخر من يريد مراد رؤيته حالياً ... رن هاتف دلال وهي تجلس على السرير تكفكف آخر دموعها, تنبهت على اتصال عبير التي حادثتها بهفة : انزلي حالاً يا ابنتي أحتاجك"

نهضت بسرعةٍ بعدما شعرت بالقلق من طريقة حديث عبير ولفت الشال لتغطية شعرها وهرولت للأسفل حيث فتحت لها عبير الباب من فورها وقالت بلهفة : جرحُ مراد عاد ينزف ...لا أعرف القي عليه نظرة أخاف أن تكون الخياطة قد تأذت "

توقفت للحظاتٍ وقد تذكرت بأنها من قامت بلطمه على صدره, بان الانزعاج على وجهها وقد شعرت بالحرج مما أقدمت على فعله وتبعت عبير حتى دلفتا لغرفة مراد وكان مستلقٍ على سريره يعبث بهاتفه بضجر حتى نهض من فوره عندما دفعت عبير الباب ليقف وقد تدلى فكه ببلاهة ! بان الانزعاج على وجهه وقال مغتاظاً : ألم أخبرك أنه أمرٌ بسيط أمي, ما الداعي لإزعاجها بهذا الوقت!!

-اصمت واخلع قميصك " قالتها عبير بحدة لينصاع لها على مضض وهو يجز على أسنانه بغيظ بينما تقدمت دلال يخجلٍ مما أقدمت على فعله وقامت بفك الشاش وقالت : أحتاج حقيبة الإسعافات والقليل من الماء الدافئ بعد اذنك خالتي.

انصاعت لها وذهبت لإحضارهم بينما رجع مراد وجلس وارتد جالساً على الكرسي فجلست قبالته وبدأت بمسح الجرح بعدما بللت القطن بالماء الذي أحضرته عبير, تطلعت ناحيتها عبير فقالت تطمأنها : لا تقلقي خالتي لم تفك الخياطة كما ظننتِ يبدو أنه حرك يده بطريقةٍ خاطئة"

-نعم لطمتُ نفسي بالخطأ !! قالها ساخراً وهو ينظر لدلال التي انكمشت على نفسها بخجل فتنهدت عبير بارتياح : الحمد لله... سأذهب لإعداد القهوة, لقد تلفت أعصابي فعلاً"

راقبها حتى اختفت من أمام الباب ثم تغيرت نظرته للحدة و قال بمكر : لطمتني على عتبة بابك...والآن أنتِ بغرفتي !

توسعت حدقتيها بغضب وضغطت على مكان الجرح ليتأوه بألم وأجابت : كنتُ سأعتذرُ عما بدر مني اليوم لكنك فعلاً لا تستحقُ الاعتذار"

زم شفاهه بحنق ثم قال ساخطاً : تعرفين أني لم أكن سأدخل"

-ما أعرفه فقط...أن صعودك ورائي كان خاطئاً ...وجداً, عن اذنك.

وولت مغادرة فتنهد باسماً وهو يتمتم : ومن قال بأني لا أحبُ ارتكاب الأخطاء !!

**********

مساء الليلة التالية كان الجميع مجتمعين على طاولة العشاء بعدما دعتهم عبير كعادتها نهاية كل أسبوع, انتهى مراد من تناول عشاءه بعدما اكتفى بلقيماتٍ قليلة وخرج الى الحديقة هو يحك شعر رأسه بعصبية والأفكار تتلاطم بعقله بسبب دلال التي في كل مرةٍ تصده بطريقةٍ عجيبة .. أيعقل بأنها لا تأمن لي! هل وهل ومئات الاحتمالات تعاظمت برأسه حتى كاد أن ينفجر من كثرة التفكير, وما هي إلا دقائق معدودات حتى كانت دلال قد

خرجت من باب الفيلا بعدما أخبرت الجميع بقرارها( شكراً على استضافتكم الطيبة, استأجرتُ منزلاً قريباً من المستشفى) شعرت الفتيات بالحزن على رحيلها وسألتها عبير بجدية إن كان أحدٌ منهم قد أزعجها فقالت بامتنان : على العكس كنتمُ كعائلتي فعلاً, لكني أخبرتكم سابقاً أن مكوثي هنا فترةٌ مؤقتة لحين عثوري على منزل, شكراً لكم على كل شيء "

جرت ورائها الحقيبة بينما خرجت الفتات لتوديعها خارج المنزل, كان مراد ينظر لها بغضبٍ ممزوج بخجل وهي تغادر المكان بسببه حتماً, لا تريدني وهذا واضحٌ جداً في تصرفاتها" فكر بذلك وهي تمر من أمامه وتقول ببساطة : أراكَ على خير سيد مراد" ببساطةٍ نطقتها وكأن اعترافه لها لم يهمها بشيء, أومئ لها بجفاءٍ واضح وأجاب : مع السلامة.

فهتفت فيه عبير من بعيد : أوصلها بني أستتركها تذهب بمفردها!؟

ولم يترك له أحد الرجال مجالاً فكل من جمانة ونور قامت بسحب زوجها للداخل كي لا يتطوع لتوصيلها فشد على قبضته بتوتر وسحب الحقيبة من يدها : تفضلي"

-لا داع لذلك سأذهب بمفردي"

-لن تذهبي بمفردك بهذا الوقت " قالها وهو يجر الحقيبة معلناً انتهاء الحديث فانصاعت له وتبعته حتى استقلت السيارة بجانبه وهي تتحاشى أن تلتقي عينيهما وأملته العنوان ...لكن مراد ليس من النوع الخجول حتماً وليس من المتلاعبين ما يريد أن يقول يرميه ببساطة, أوقف السيارة بعد مسير عدة دقائق وسأل : تهربين مني أليس كذلك ؟

تلاعبت دلال بأطراف أصابعها ثم أجابته ببساطة : لا دخل لك, كنتُ سأنتقلُ بكافة الأحوال"

-والآن تحديداً قررتِ الانتقال؟

هزت رأسها نفياً وأجابت بثقة: بل لأنني وجدتُ منزلاً مناسباً"

شغل السيارة مجدداً وهز رأسه : حسناً بالتوفيقِ لكِ"

**********

خطت الفتيات للداخل وانزوين بغرفة نور السابقة وهن يتحادثن بشأن ما جرى وقررن التصرف بأقصى سرعة دخلت عبير عليهم لتتطلع بتعجب ثم هتفت بهن : ما شاء الله تبدين كالساحرات الثلاث !! تعالت ضحكات الفتيات وخرجن الواحدة تلو الأخرى أمام عبير وهي تهز رأسها وقد عرفت بأنهن يخططن لشيءٍ ما لكنها لا تعرف اصل الحكاية!!

هبطت دلال من السيارة وقد حيت مراد الذي رد لها التحية باقتضابٍ من شدة انزعاجه وما كدت تدلف البناء القديم حتى انطلق بسيارته مسرعاً مخلفاً غباراً خانقاً فتمتمت دلال : هكذا أفضل حتماً " ثم دلفت للشقة التي استأجرتها برفقة احدى ممرضات المستشفى, خلعت حجابها وارتمت على الاريكة وتنهدت بعمق فزميلتها لم تحضر بعد ويبدو عليها الآن أن تقوم بتوضيب أغراضها بهذه الشقة المتواضعة....

انزوت عسل عن الأعين حينما رن هاتفها باسم فهد لتكتم الصوت وتركض مسرعةً ناحية غرفتها وتجيبه على الفور وتكلما كما العادة لدقيقتين لا أكثر كان يطمأن فيهما على عسل في كل يومٍ تقريباً وينصحها بالاهتمام بالدراسة ...على الرغم من قصر المكالمة إلا انها كانت تبهج عسل وتقلب مزاجها لسعادةٍ غريبةٍ تتسلسل لفؤادها وشعوراً لم تختبره سابقاً.

**********

## الفصل السادس والعشرون

خطت اليسا لداخل فيلا المنصور بعد ترددٍ بليغ , كانت عبير تحتسي الشاي برفقة رضوان بالصالة وما إن لمحاها تقترب حتى تسللت ابتسامٌ عذبةٌ لشفاههما, قابلاها بحبورٍ كما العادة وجلست وعيناها تبوحان بالكثير , لم تتغير هذه الفيلا طوال هذه السنوات, وكأنها فعلاً تركتها بالأمس, ولم

يتغير رضوان أو عبير بقلبهما الكبير ومساندتهما, كانت عسل منشغلةً بدارستها أما مراد فلم يحضر بعد من الشركة, تنحنحت اليسا أخيراً بعد عدة مواضيع دارت بينهما لتقول بخجل : تعرفُ يا عمي مقدار الاحترام والحب الذي أكنه لك ولماما عبير, بعد وفاة والدي لم يتبق لي أحد , أحتاجُ مساعدتكما بشيءٍ ما وأتمنى ألا ترداني خائبة"

تبسم رضوان وقال بصدق : وانتِ كذلك تعرفين مقدار الحب الذي نكنه لك يا بنيتي ..منذُ سنواتٍ وحين انتقلتِ لمنزلنا أخبرتك أنكِ أصبحتِ جزءاً من هذه العائلة, وحتى بعد كل تلك الأحداث التي طرأت لن يتغير شيء, ستبقين ابنتي, ك نور وعسل تماماً"

ربتت عبير على فخذه وأردفت مؤيدةً كلام زوجها : أنتِ بمنزلِ عائلتكِ يا اليسا اطلبي ما تشائين ونحنُ بالخدمة"

التمعت عيناها بدموع فرحٍ وقالت بخجل: لا أعرف إن كان سأطلبه مناسبٌ لكما أو لا, لكن, إن...إن, والدة الدكتور هشام تريدُ مقابلة أحدٍ من أهلي...إنه تقدم لي للزواج.

تطلع عبير ورضوان لبعضهما يحاولان استيعاب ما تنطقه اليسا بخجل ولعثمة وهما يشعران بالحزن عليها... أردفت تحادثهما بأسف : وساهر.. لن يقبل به , تحدثتُ معه سابقاً لكنه يراه غير مناسب لأنه ليس من عائلة معروفة أو ثري ! لن يعود لأجل هذا الموضوع, لكن هشام فعلاً رجلٌ مُحترم وخلوق"

شعرت عبير بالألم للحظاتٍ وهي تتبادل مع رضوان النظرات...فكيف لهما أن يزوجا زوجة ابنهما السابقة إنه أمرٌ صعبٌ جداً ومربكٌ لهما لكنها حالياً وحيدةٌ وتحتاجُ من يساندها !! ران الصمتُ على الجميع فنهضت اليسا بعدما تفاقم خجلها لتقول بسرعة : -اسفةٌ جداً...أعرفُ أن مطلبي غبي"

نهض رضوان بدوره مجيباً: على العكس يا ابنتي, ليسَ مطلباً غبياً, اجلسي رجاءًا"

صمت رضوان للحظاتٍ ثم تابع: ومن قال بأن الثراء والنفوذ أهمُ من الأخلاق, لا أعرفُ صراحةً كيف يفكرُ أخوكِ لكن... لكلٍ منا آرائه , المهم

يا اليسا نحنُ نصاهر رجلاً يُعتمد عليه, ليصونكِ ويرعاكِ...وأنا أعرفُ دكتور هشام, وأعرفُ أخلاقه, حددي له موعداً وإن شاء الله لن تكوني سوى راضية"

تسللت ابتسامةٌ صافية لشفاهها وهرولت تجاه رضوان وقبلت كفه بامتنانٍ شديد فمسح على شعرها بحنان ابوي ..

-الله الله...ما سرُ هذا الاجتماع اللطيف!؟ قالها مراد وهو يدخل من باب الصالة لتعتدل اليسا بينما تطلعت عبير بابنها بارتباكٍ ووجل خوفاً من أن ينزعج , قال رضوان بثبات: ستتزوجُ اليسا , الن تباركَ لها"

ربما قالها رضوان ليثبت لمراد أنه أضاع من بين يديه جوهرةً ثمينة, تبسم مراد بتكلف وأجاب : ألفُ مبارك اليسا, عن اذنكم, سأستبدل ملابسي" ثم صعد درجات السلم ودلف غرفته مغلقاً الباب ليرتد جالساً على سريره وابتسامةٌ خانقة تتسلل لحنجرته, وكما أخبرته عبير سابقاً ( ها قد ذبلت زهرتك بني) والآن وبسبب هشام عادت تلك الزهرةُ لرونقها, لكم شعر وما يزال بالحنقِ من نفسه"

-استغفر الله العظيم" نطقها مراراً ثم قام باستبدال ملابسه..

**********

طرقت اليسا الباب لتفاجئ دلال بقدومها, افسحت لها المجال وهي تقول بابتسامةٍ باهتة : أهلاً اليسا تفضلي " خطت اليسا وهي تقول بعتاب : أخبروني أنكِ مريضة لذلك لا تداومين بالمستشفى, أأنتِ بخير!!!

-مجردُ زكام لا تشغلي بالك"

جلست اليسا على الأريكة ثم قالت بأسف: وهاتفكِ مابه؟ لقد أقلقتني جداً!!

-إنه معطل...سأصلحه لاحقاً"

-ولما تركتِ منزلَ عمي رضوان يا دلال...عانيتُ جداً حتى استدليتُ على منزلك بداخل هذه الحارة !

لاحت ابتسامةٌ ساخرةٌ على شفاهها وأجابت بلا روح : ما كان لكِ لتتعبي نفسكِ بالمجيء,هذه الحارت العتيقة هي مكاني الذي نشأتُ فيه, أنا أنتمي لهذا المكان"

-آسفة دلال لم أقصد ذلك....لكن" صمتت اليسا قليلة وأردفت بأسف :لما غادرتِ؟

-لا تتأسفي اليسا أقدرِ أنكِ لا تعرفين التحرك بهذه الحارات, ما الذنب ذنبك, كان يجبُ أن أغادر قبل أن يصبح وجودي ثقيلاً عليهم, ومهما قدمت لي تلك العائلة, سيأتي اليوم الذي سأشقُ طريقي فيه بعيداً عنهم"

-ووالدك, ما أخباره "

ضحكت دلال مجيبة: تزوج عروسه أخيراً , يجددُ شبابه"

-ما بكِ دلال تبدين متعبةً جداً, أخبريني؟ تساءلت اليسا وهي تتفرس بوجه دلال الشاحب, أشاحت دلال بوجهها ثم نهضت لتقف أمام النافذة وفتحتها لتهب ريحٌ قويةٌ فتلطم وجهها لعلها تستفيق من هذا الحلمُ الذي أوهمت نفسها فيه منذُ رأت هشام لأول مرة, استدارت مجدداً ناحية اليسا بابتسامةٍ شاحبة : أتعلمين....هناك أوقاتٌ تمرُ بنا, نشعر فيها باليأس, بالضياع, بالتشتت, لكننا حتماً سنعاود النهوض من جديد, حالياً أنا ..أمرُ بهذه المرحلة , كالشرنقةِ تكونُ محاطةٌ بلفافتها الخانقة...وحينما يحين الوقت, ستتحولُ إلى فراشةٍ وتحلقُ عالياً بحرية.

نهضت اليسا بدورها وشدت على ساعد دلال : أعرفُ هذا الشعور...أعرفه حقَ المعرفة " تبادلت الفتاتان نظراتٍ قليلة قبل أن تسارع دلال لتعانق اليسا وتسمح لنفسها بالبكاء وهي تهمس بصوتٍ متحشرج: مباركٌ لكِ...مباركٌ يا صديقتي"

أبعدتها اليسا قليلاً لتتساءل بقلق: ما الذي يحزنكِ أخبريني؟

مسحت دلال دموعها ثم قالت ممازحة: ستتزوجين رجلاً وسيماً وما زلتُ أنا بلا حبيب " ثم تعالت ضحكاتها أكثر لتقاوم دموعها ودعتها لتجلس مجدداً لتقول بالذهاب لتحضير القهوة هرباً من الإجابة"

وبهذه الاثناء قام هشام بالاتصال بإليسا فأجابته بأنها حالياً بزيارةٍ لدلال, قال معاتباً بعدما حدثته بما قامت به : لا أعلمُ حقاً ما حاجتكِ لوجودِ رضوان, سأشرحُ الموضوع لوالدتي وهي ستتفهم وضعك؟

أجابت اليسا بنفي : أخبرتني أن عملكَ سيحضرُ أيضاً, أسيكونُ من اللائق أن أستقبلكم بمفردي يا هشام, ألن يسألوا عن أخي! عن أقاربي الذين لم يعودوا يعترفوا بي بسبب مشاكلهم مع والدي رحمه الله"

-أنا معكِ لكنه والد زوجكِ السابق أتفهمين معنى ذلك!!

-قبل ان يكون والد زوجي, هو صديق أبي واعتبره كوالدي رحمه الله تماماً, الأصول تقتضي أن أخرجُ من منزلي معززةً مُكرمة كي تحترمني عائلتكَ بالمستقبل ولا أكونُ رخيصةً بنظرهم"

صمت هشام قليلاً ثم أجاب باسماً: وأنتِ معززةً مكرمة, وإن رغبتِ سأجلبُ لكِ جاهةً من كبار رجالِ البلد"

*********

*******

وكما هو مقررٌ بعد عدة أيام, اجتمع هشام وعائلته بمنزل اليسا وكان قد حضر رضوان وزوجته بل وكريم وجمانة ونور وآدم, كان جواً حميمياً اجتمعت فيه العائلتين على الرغم من التخوف الذي قبض صدرها لوالدة هشام كون عروسه المستقبلة من أسرةٍ ثريةٍ جداً وهم أسرةٌ متوسطة الدخل, وزال هذا التوترُ بعدما التمست تواضعهم و دماثة أخلاقهم, كانت اليسا صريحةً جداً حينما اخبرت والدة هشام بالحادث الذي تعرضت له اسرتها, وبأن شقيقها ساهر يعتذرُ عن الحضور بسبب مشاكل في عمله, لكن رضوان بمثابة والدها, تألقت اليسا جداً وازدادت رونقاً واحتراماً بالنسبة لهشام وأدركَ كم كان اختياره صحيحاً وكم كان تشبثها بمجيء رضوان وعائلته صائباً , وتم تحديد موعد الخطوبة فالطرفين متفاهمين ولا داعٍ للتأجيل كثيراً...هذه اللحظة واليسا تنظر لوجوه الجميع شعرت بما عنته دلال حرفياً عندما اخبرتها انها كالشرنقة وسيأتي اليوم الذي تحلقُ فيه كفراشةٍ بحرية, كانت اليسا حالياً تحلقُ بسعادةٍ جمة وهي ضمن اسرةٍ مُحبة وصادقة, تنبهت جمانة لتلك الدمعة التي تسللت بلطفٍ على وجنة

اليسا فربتت على كفها التي تتشبث بالأريكة وبادلتها ابتسامةً صافية, تطلعت ناحيتها اليسا وأومأت بامتنان,

********

وكعقارب الساعة التي تعدو بلا انقطاع, تعاقبت الأيام حتى استيقظت عسل صباح أحد الأيام وتجهزت للتقدم إلى فحص الثانوية العامة وكأنه حدثٌ جلل ليتكاتف جميع أفراد العائلة لمساعدتها, فنصيحةٌ من آدم وتشجيعٌ من مراد ودرسٌ لمراجعة المعلومات من كريم, حتى نور وجمانة كانتا برفقتها طيلة تلك الأيام...ويبدو أنهم يشعرون بالتوتر حتى أكثر من عسل التي صلت ركعتين لله تعالى لتهدئ نفسها قبل التقدم للامتحان كما نصحتها دلال, لكن ما كان يشغل بالها ويؤرقها أن فهد لم يتصل فيها منذُ أسبوع وأكثر, شعرت بلهفةٍ شديدةٍ لمكالماته وتمنت صباحاً على الأقل لو يرسل إليها حتى رسالةً قصيرة لتشجيعها ويقدم لها نصائحه كما هي العادة ! أغلقت هاتفها ووضعته تحت الوسادة قبل أن تنطلق في طريقها الى المركز الامتحاني

وتوالت أيامُ الامتحان حتى جاء آخرُ يوم بامتحاناتها, خرجت من بوابة المركز الامتحاني وكادت أن تقطع الشارع للجهة المقابلة برفقة زميلاتها حتى انطلق بوق أحد السيارات, تنبهت عليها ونظرت للخلف لتراه يترجل من السيارة بابتسامته الواسعة, بغمازتيه الغائرتين اللتين بالكاد يتضحان من ذقنه التي استطالت قليلاً عن السابق, بنظارته الشمسية السوداء التي تغطي عينيه, تجمدت للحظاتٍ تنظر اليه غير مصدقة, ما تزال كما هي, بقميصها الفضفاض و, بسروالها ذوالجيوب الكثيرة, بسترتها اتي تخالف لون ما ترتديه , بدت متباينة الألوان بشكلٍ عجيب !تقدمت منه خطوتين متجاهلةً همسات زميلاتها المبهوتة وقف يتأملها وكانت ضربات قلبه تصم أذنيه عن الضوضاء من حوله وكم كانت صدفةٌ جميلةٌ جداً خلع نظارته متسائلاً : كيف حالك "

صمتت قليلاً وما زالت عاجزةً عن التنفس في وجوده, صارت ضربات قلبيهما تعلن صرخاتٍ عنيفة لم تألف عسل سابقاً هذه الضربات, لم تظن بيومٍ أنها ستشتاق لأحدهم إلى هذا الحد, وبدلاً من أن تسمح لعاطفتها بالتغلب على تصرفاتها, شدت ظهرها وقالت بصوتٍ متماسك: بخير ... وأنت"

-الحمد لله

-متى عدت ؟

-أنا...عيادتي قريبةٌ من هنا, بداخل الشارع المقابل " ثم أردف باسماً : عدتُ منذ أسبوع تقريباً , هاتفكِ مقفلٌ منذُ أيام, قلقتُ عليكِ. -كنتُ..لقد أغلقته كي أركز في دراستي ومذاكراتي, على كل حال حمداً لله على سلامتك, تأخرتُ عن المنزل, صديقاتي بانتظاري عن إذنك"

-مهلاً عسل" هل أستطيعُ مقابلتكِ اليوم مساءاً ؟

-انا...لا أدري حقاً"

-سأتصلُ بكِ مساءاً وأتمنى أن تجيبي فقد انتهت الامتحانات, ويجب أن نتحدث"

-أهي جلسةُ علاجٍ جديدة؟ تساءلت بتهكم وهي تنظر لها فقال مازحاً : علاجٌ لكن.....لمشكلةٍ أكبر من مشكلتك"

حدقت فيه لا تفهم إلامَ يرمي فأردفَ باسماً: سنتحدثُ لاحقاً بهذا"

هزت رأسها موافقةً ثم هربت لتنضم لصديقاتها بينما هو استقل سيارته وظل يراقبها بعينيه حتى اختفت من أمامه ليشغل سيارته وينطلق بها مستكملاً طريقه لعيادته"

-من هذا وأين تعرفتِ عليه, هل تحبينه, هل خرجتما سوياً **!!؟؟** عشرات الأسئلة تدفقت من أفواههن وهي شاردةٌ تكتفي بهمهمةٍ مبهمة وفجأةً أوقفت تاكسي واستقلته لتذهب إلى المنزل وسط تحديقهن المبهوت بها: لقد جُنت عسل **!!** نطقتها إحداهن لتتعلى الضحكات ويتابعن المسير .... بينما السائق الذي ارسله مراد لتوصيلها كما العادة صار يضربُ كفاً بكف بعد أن نادى على عسل لتستقل السيارة لكنها لم تجبه, فاضطر الى اللحاق بالتاكسي بسرعة"

دلفت إلى الفيلا وقد فاجئها اجتماع الجميع ومجموعة حقائب على جانب الباب القت السلام بهمهمة قم هرولت لغرفتها وأوصدت الباب لتفتح هاتفها لترى اتصالاته الفائتة, تبسمت بسعادةٍ جمة واستلقت على السرير وهي

تحتضن الهاتف ببلاهة, طرقت جمانة الباب عليها ودلفت لتراها بهذا الشرود فتساءلت : أأنتِ بخير, كيف قدمتِ آخر امتحان"

-جيد"

-جيد!!هذا فقط أخبريني هل حللتِ جيداً ؟

اعتدلت فجأةً على فراشها و تساءلت لتغير الموضوع: لمن كل تلك الحقائب أستهاجرون ؟؟!

تبسمت جمانة مجيبة : شيءٌ من هذا القبيل, جهزي أغراضكِ سنذهب إلى الشاليه بما أنكِ قد أنهيتِ امتحانك"

وكمن لطمها على وجهها بعنف, نهضت متسائلة : اليوم!!

-طبعاً كنا ننتظرك, انسيتِ ما اتفقنا عليه "

وبعد الغروب كان الجميع يفرغون أغراضهم بعدما وصلوا إلى الشاليه , عند انتصاف الليل ابتعدت جمانة قليلاً عنهم وجلست على الرمال أمام البحر ولم يستطع كريم صبراً حتى انضم لها وجلس بجانبها فأسندت رأسها على كتفه, تغلغت أصابعه خصلات شعرها الناعم وهمس بحنان :كيف هو حالُ ولي العهد"

-أتبعني جداً...مختلفٌ عن جواد" أتبعتها بتنهيدة إرهاق فتبسم برقة : لا تجهدي نفسك"

-ما أنا ذاتاً لا أفعلُ شيئاً تقريباً يا كريم أشعرُ بملٍ رهيب"

نهض وساعدها على النهوض وصارا يتمشيان والريحُ تداعب الأمواج لتنساب على الشاطئ بوداعة, كان القمرُ شامخٌ والنجومُ حوله تزيد من تألق صفحة السماء الرائقة, قابلا بطريقهما مراد يجلسُ على الشاطئ فوقفا عن بعد أمتارٍ منه وسألها:

-هل من جديدٍ بشأن مراد"

تبسمت وهي تشد على ساعده بفرح : غداً ستعرفُ كل شيء, لقد خططتُ مع الفتيات لمفاجئةٍ من العيار الثقيل"

-غير مشروع خطوبة إليسا تقصدين؟

-بالتأكيد, هذا الرجلُ قد تعذب كثيراً حان له ليستقر"

ضيق ما بين حاجيبه متسائلاً بامتعاض: - هل رق قلبك له, كما أنه كان سبباً في زيادة بؤسه, بتصرفاته الخاطئة!!

-لسنا أنبياءً يا كريم كي لا نخطئ, وها هو ذا تلقى عقاب طيشه السابق حان الوقت ليعيش حياته بالطريقة الصحيحة..

-وهل دلال مناسبةً له برأيك, لا أعرف أخاف أن نقحمه بالطريق الخاطئ , انها ملتزمةٌ جداً , أخافُ ألا يتفاهما"

-صدقني يا كريم, هي المناسبة له , وبالتزامها هي دواءه, دعنا منه الآن ..." انحنت للأسفل ورشقته بالمياه بمرح وتعالت قهقهاتها وهرولت من أمامه ليهتف بها : يا مجنونة أنتِ حامل انتبهي لخطواتك!!!

لكن هذه المجنونة استمرت برشقه بالمياه وهي تتوغل أكثر على الشاطئ ليلحق بها ضاحكاً..

**********

## الفصل السابع والعشرون

وبعيداً عن جمانة وكريم كان آدم برفقة نور يجلسان على التراس كانت نور شاردةٌ بجمانة وزوجها وهما يمرحان أمام الشاطئ, ندت دمعةً من عينيها تنبه لها آدم وتساءل بقلق: ما بك؟ ما الذي يزعجك"

-تلمست بطنها وهمست : كم أتمنى ... أن يرزقني الله طفلاً ك... كجمانة, انظر كم هم عائلةٌ سعيدة"

-حبيبتي الأمر بيد الله, ومن قال بأني أحتاجُ طفلاً حالياً, وجودكِ بجانبي يغنيني عن كل شيءٍ.

-لا تكذب يا آدم, أشعر برغبتكَ بذلك...

رفع كفها ليلثمها قبلةً وقال:

-إنها مسألةُ وقتٍ فقط...وسنحظى بإذن الله بأجمل طفلٍ بالوجود اصبري فقط"

**********

ومساء الليلة التالية وكما قررت الفتيات أو الساحرات الثلاث كما سمتهن عبير وبعد التجهيزات كان هشام يتأبط ذراع اليسا وهما يدخلان إلى الشاليه ويلقيان السلام على الجميع حيث جهزت الفتيات احتفالاً بسيطاً بمناسبة خطوبتهما, وقمن بدعوة بعض المعارف و الأصدقاء من الكادر الطبي بينما توقف مراد بإحدى الزوايا وهو يرفع كأس مشروبه, يكتم ضحكاته ساخراً من نفسه متمتماً لكريم: سأحضرُ لتوي حفل خطوبة زوجتي السابقة, يا لهذا الموقف السخيف الذي أضعُ نفسي فيه دائماً!!

لكزه كريم على كتفه وقال بجدية : هات هذا من يدك لو سمحت... ولنخرج قليلاً"

-أنا بخير, لا تقلق بشأني"

-أعرفُ ذلك, لكن هشام شابٌ ملتزم, وسيزعجه جداً أنك ترتشف الكحول بحفل خطوبته, يجب أن نراعي مشاعر الغير أليس كذلك , وأعهدك قد ابتعدت عنه"!!

-نعم....ابتعدتُ عنه لكن....هووف, ومشاعري اللعينة وكأن أحدٌ مهتمٌ بها " تمتم بها لنفسه بعدما تجرع كامل الكأس وخرج مجتازاً الحضور وتبعه كريم بعد أن غمز لجمانة لتومئ له وتذهب لتنفيذ باقي الخطة ... قال مراد بعد أن خرج : لن نُزعج السيد هشام طبعاً"

وبالجهة المقابلة تأبطت جمانة ذراع دلال بعدما ارتدت فستاناً طويلاً بلون الليلك يضيقُ عند خصره ثم يتسعُ لينسدلُ بانسيابيةٍ على جسدها ومن فوقه حجابٌ ذا لونٍ أبيض أبرز جمالها, أصرت نور على أن تضع لها لمساتها السحرية من تبرج خفيف ليبان جمالها طبيعياً مع القليلِ من الكحل فبدت متألقةً جداً هذه الليلة وزادها ذلك فتنةً ورونقاً....

-إلى أين تسحبينني هكذا يا جمانة! سألتها دلال وتلك الأخيرة تتأبط ذراعها لتقول : اصبري باللهِ عليكِ لقد آلمني رأسي بهذه الأجواء الصاخبة, لنجلس قليلاً أمام البحر"

-حسناً كما تشائين, تمشت الفتاتان قليلاً حتى وصلتا للمكان المطلوب' حيثُ كان كريم يجلسُ برفقة مراد بداخل أحد المصاطب التي صممت كالأكواخ فكان سقفها من القش والإضاءة الناعمة تضفي للمكان سحراً لا مثيل له , تصنعت جمانة المفاجئة وسألت : أأنتما هنا ؟ جمدت ملامح مراد وهو يتأمل دلال ولا ينكرُ كريم أنها جذابة بملامحها الهادئة الرائقة, أزاح بصره عنها فعلاً هذه الدلال ستكون كالبلسم الشافي لمراد, قال يحادثُ جمانة : أأنتِ بخير حبيبتي تبدين مرهقة, اجلسي قليلاً " أيدته جمانة بلعبته وقالت : تعبةٌ جداً ظننتُ أنني عندما شتم هواءاً نقياً سأرتاح, لكني ما زلتُ متعبة ...أوصلني إلى الشاليه رجاءً أريدُ أن أرتاح على السرير, عن اذنكما " بهتت ملامح دلال وهي تتطلع بجمانة التي تأبطت ذراع كريم وغادرت برفقته ببساطة بينما تسمرت دلال بمكانها, اعتدل مراد قائلاً بلباقة : تفضلي بالجلوس"

تطلعت فيه لثوانٍ قبل أن تصعد تلك الدرجات القليلة وتجلس على الكرسي وصارت تنظر باتجاه البحر, لم يستطع ولو للحظةٍ أن يحيد بنظراته عنها, كُل شيءٍ فيها فاتنٌ الليلة, الحجاب, الفستان, باحتشامها أسرته وبتحفظها سلبت روحه بطريقةٍ لم يشهدها مع النساء قبلاً ..للمحجبات دائماً رونقٌ خاص, نفحةٌ من الطيب والبرائة تحوط بعضهن بشكلٍ ملفت ...وعادت كلمات كريم التي قالها له أثناء جلوسهما تطرق ذاكرته :حان الوقتُ لتفتح قلبك يا صاحبي, أتعجبك؟

-عفواً ...عمن تتحدث؟

-دلال

-ومن قال بأني أفكرُ فيها ؟

لكزه كريم على كتفه وأردف بذات أسلوبه الصريح: اعذرني يا ابن العم, لكن الأمور باتت واضحةٌ جداً.

-كفى تلقي كلاماً عبثياً ما هو الواضح!! " قالها ونهض فنهض كريم بدوه وهو يشير اليه: عهدتك جريئاً فيما مضى بالبوح عن مشاعرك"

أطلق زفيراً حانقاً ثم أجابه : وهذه الجرأة هي ما أخاف منه حالياً... حسناً لستُ أنكر, إنها تعجبني لكن.... هوووووف"

-تقدم بشكلٍ رسمي" تطلع مراد ناحية البحر وهو شاردٌ بكلمات كريم, عبثت تلك الكلمات بعقله ..وما زالت تعبث حتى وهي أمامه الآن ( أراكما فعلاً مناسبين لبعضكما, صارحها بمشاعرك كفاكَ تضييعاً للوقت (

.طال صمت دلال كذلك فقد كانت أفكارها كهذه الأمواج تتلاطم وهي تشعر بنظراته تخترقانها وهو يتذكر كلمات كريم, شعرت بالخجل وبذات الوقت تُريدُ من ينسيها ولو قليلاً وحدتها وكآبتها التي ما تزالُ مصرةً على الخروج منها فهشام لن يكون لها أبداً وتفكيرها فيه بعد زواج اليسا منه, ستكونُ خيانةً لصداقةٍ قوية...تطلعت أخيراً بمراد وتساءلت :

-آسفةٌ لهذا السؤال لكن.....أراكَ مُنزعجاً الليلة, من أحببت منهما بصدق؟

فهم ما تقصده فور نطقها لتلك الكلمات فأجاب ببساطة : كلتاهما"

نطقها بمرارةٍ ساخرة ثم أردف وهو ينهض: وهذه اللحظة أرغبُ فقط بإرجاع التوازن لحياتي بعيداً عنهما.

-هل نتمشى قليلاً ؟

أومأت له وجاورته لتسير برفقته على الرمال فأردف بعد لحظاتٍ من الصمت : تعرضنا الحياة للطماتٍ وصفعاتٍ شديدة لنصحوا من غفلتنا, وأنا طيلة سنوات كنتُ غافلاً وربما كانت اختياراتي خاطئة لكني صحوت أخيراً.. وتُدركين أنكِ كُنتِ تلك الصفعة لإعادتي للطريق الصحيح..

-ألا تظنُ أن اختيارك هذا خاطئٌ أيضاً سيد مراد!!

كانا قد وصلا لأمام الشاليه توقف وتطلع فيها بتركيز قائلاً بثقة: هذه المرة أنا واثقٌ من اختياري, وبلا سيد مراد تصيبني بالدوار

ضحكت بخفةٍ لتعانقها عينيه الحادتين الملتمعتين فتوردت وجنتاها خجلاً وأشاحت ببصرها عنه .

تعالت ضحكات آدم وكريم وهما يتحدثان مع هشام فجأةً وفتطلع ناحيتهم باسماً وأردف يحادث دلال: أتعرفين, أحسدهما في أحيانٍ كثيرة, كل واحدٍ منهما صارع للحصولِ على من يحبها, يحملان بذرة الوفاء والصدق التي لم أعرفها أنا سابقاً, كنتُ كأمواج البحر المتلاطمة على الصخور, أعيث فساداً وخراباً من حولي دون أن أدرك نتائج أفعالي وتهوري,

صمت للحظاتٍ يستجمع أفكاره ثم أردف : وحينما أنظر لهما أشتهي فعلياً تأسيس عائلة,سأصدقك القول أنا لم أعد صغيراً أرغب فقط بزوجةٍ أحبها و أسكنُ إليها باطمئنان, بأطفالٍ يحملون اسمي.

تعالت ضحكاته فجأةً فاعتذر قائلاً :آسف... أشعرُ وكأن مهمتك اقتصرت على سماع مشاكل العائلة!

انزاحت عيناها عنه وهي تتطلع بالجميع ثم أردفت بابتسامة : لا أشعرُ بأني غريبةٌ عنكم, أنتمُ عائلةٌ محبة, متضامنة"

تجرأ مراد على الاقتراب أكثر قائلاً بثقة محدقاً بعينيها : ونحنُ نعتبرك كذلك جزءاً من هذه العائلة.

شعرت بخطر اقترابه وعيناه تبوحان بالكثير جداً فقالت بلعثمة وهي تهرب من أمامه: عن...عن اذنك"

-دلال! يجبُ أن نتحدث جدياً, أنا.... تعرفين أني أفكر بكِ جداً"

هزت رأسها نفياً : اسمعني جيداً سيد مراد, يستحيلُ أن أوافقك عما تفكر فيه...رجاء.

هربت من أمامه ليبتعدا عن الشاليه وسط نظرات الشابين المعلقة عليهما فهرول ناحيتها يتساءل بلهفة: لما؟ ما المانع ؟.!

-لا أستطيع...مستحيل.

-هل سبب ماضيي!!

هتفت فيه بارتباك :أنتَ زوج صديقتي...مستحيل.

توقف للحظاتٍ يحاول استيعاب ما تتفوه فيه تلك الحمقاء فضحك بلا إرادةٍ منه حتى أدمعت عيناه لتزداد خجلاً وارتباكاً من غباء ما نطقته, أردف ساخراً: وخطوبة من اليوم! أليست خطوبة زوجتي السابقة!!

نظرت له مطولاً وأجابت بلعثمة : أنتَ لا تفهم, يستحيلُ أن نتوافق أنا وأنت يستحيل.

-ما المانع" اقترب منها متسائلاً حتى لم يعد يفصلهما خطوة واحدة فأجابت بيأس : كلانا من عالمٍ مختلف,

-نعم....كلانا من عالمٍ مختلفٍ لكني أريدُ أن أكون بداخلِ عالمكِ أنتِ, صدقاً عندما أنظرُ لعينيكِ ونتحدث أشعرُ وكأنني رجلٌ آخر, أتذكرين عندما أخبرتك ذات مرة أنك كأمي...كنت أقصد أنك رقيقة, حنونة وعطوفة ...تحملين ذلك النقاء والإيمان اللذين أفتقدهما كثيراً دلال, أستطيعُ أن أبوحَ لكِ ما بداخل صدري دون خجلٍ أو خوف من عواقب اعترافي, وعندما تتحدثين أشعر وكأني بداخل لحنٍ جميلٍ جداً, بل وكأنكِ تعزفين مقطوعةً موسيقية فأنسابُ من هذا العالم إلى عالمكِ أنتِ... وجودكِ بيننا أحياني مُجدداً, خلصني من حبي لجمانة ومن عذاب الضمير تجاه اليسا, حبكِ خلصني من الماضي.

أطرقت برأسها إلى الأرض فأردف : هالةُ البراءةِ والعفة المطلة منكِ, مسحةُ الايمانِ والنقاء المنغرسين فيكِ أحتاجهما يا دلال, أنتِ كطوقِ النجاةِ لغريقٍ يريدُ النجاة...

-أخافُ إن حاولتُ إنقاذك.. أن أغرق أنا, مشاعرك جميلةٌ جداً سيدي...لكنني لن أبادلك تلك المشاعر, أنت تريدُ طوق نجاةٍ مؤقت وانا اريدُ استقراراً أبدياً

تبسم مجيباً : أنا لا أتحدثُ عن مساعدةٍ مؤقتة, لا أريدكِ جسراً ...بل أريدك معي إلى الأبد..... أريدُ الزواج منكِ"

ألجمتها كلماته الصادقة, شعرت بدفئ عينيه...بدفئ حديثه وهو يطلبُ منها الزواج, تراجعت إلى الوراء خطوتين لترتطم بإحدى المدعوين وهو يحمل

كأس العصير فشهقت وانسكب العصير على فستانها تمتمت بكلمات اعتذارٍ واهية وهرولت من أمام مراد الذي توقف باسماً حينما اشتعل وجهها ليتوهج خجلاً, حاوطه كريم فجأةً بذراعه القوية وقال ضاحكاً : أوقعت الأميرة بشباكك أيها اللورد"

ابتعد عنه ليضرب كريم كفاً بكف ويقول ضاحكاً : أهذا مراد المنصور!! , يبدو أن ملاك الرحمة رفرف بجناحيه فوق رأس المسكين !!

**********

انتصف الليل وغادر المدعوون بعد سهرةٍ رائقةٍ عقدت أواصر قلبين وأعلنت ولادة حبٍ جديد تكلل بشريعة الله سبحانه, اندست الفتيات تحت الغطاء وتكومت أجسادهن على السرير إلا جمانة التي جلست بأريحية على السرير الثاني وظللن يثرثرن ويضحكن حتى فتحت جمانة الموضوع الذي يخصُ دلال ومراد لتنصت اليسا باهتمام , شعرت دلال بالخجل والحرج وهي تبوح بعرضه, وأخبرتهن بخوفها منه, ومن فكرة الارتباط به, قالت اليسا باهتمامٍ بالغ : يستحقُ أن تعطيه فرصة يا دلال"

اعتدلت دلال مجيبة: أأنتِ تقولين هذا الكلام يا اليسا!

تنهدت اليسا وأجابت بصدق : لأنني أنا...أقول لكِ أن تعطيه فرصة, كان زواجنا ومنذُ البداية غلطة, لم تكن غلطتني حرفياً فقد كنتُ صغيرةً على اتخاذ القرار, كنتُ مع الأسف لعبة بين أيدي أهلي ومراد, كانت تجارةً رابحة لوالدي, وصفقةٌ أنا من تذوقتُ علقمها بدايةً ثم تجرعها مراد من بعدي, كان زواجنا غلطة, شعرتُ حينما ابتعتُ عنه بانهيار عالمي, حتى تلقفني عمي بين ذراعيه بكل حنانٍ وعطف وعقل, أفهمني أن الحياة مليئةٌ بالتجارب, أخبرني أن التجارب فيها الفشل وفيها النجاح وأنا لم أفشل, بل فشلي بالزواج كان بوابةً للعبور لنجاح كبير, وهاأنا أمامك أنهيتُ دراستي, تخصصت الطب وأصبحتُ ما أنا عليه, وحين اخترت... أخترت المناسب لقلبي وحياتي الحالية, صحيحٌ أن اختياري هذا كان بعاطفة لكنها عاطفةٌ مكللةٌ بالعقل والمنطق أحياناً أفكر لو أني ما زلت زوجته, لم أكن لأدرس..لم أكن لأصبح ناجحة وواثقة كما أنا عليه الآن" ثم تابعت تحادث نور :

-آسفةٌ يا نور لأني أتحدث أمامك لكنك تعرفين جيداً ما مررتُ به"

ربتت نور على كف اليسا وأيدتها : لا تعتذري يا اليسا على العكس, جميعنا نعرفُ أخطاء مراد السابقة" ثم استدارت وأردفت تحادث دلال: وجميعنا بتنا هذه اللحظة نعرفُ كيف تغير مراد, ان مراد يا دلال تحمّل المسؤولية مذ كان بالجامعة, أقحمه والدي بمسئولية شركة الهندسة, وأقامها هو وطورها بعمله ....شعرَ فجأةً بأنه رجل ومن حقه التصرف بحرية دون تدخل أحدٍ به, وانجرف تلقائياً بأمورٍ غير لائقة ووالدي كذلك أعطاه الحرية دون أن يسأله عما يقوم به... لكنه تغير كثيراً, الأيامُ انهالت عليه دون رحمه وأشعر به يريدُ الاستقرار"

نهضت جمانة من على السرير وجلست بجانب دلال مردفة برجاء: أعطِه فرصة ومتأكدةٌ من أنكما ستنسجمان, يبدو معجباً بكِ"

تعاقبت نظراتها عليهن وصمتت تفكر بكلماتهن..

*******

بينما عسل كانت تجلس على التراس والآن فقط لاستطاعت التواصل مع فهد الذي حاول الاتصال بها سابقاً لكن هاتفها مقفلٌ كما العادة...

-اسفة الآن فقط لاستطعتُ فتح الهاتف كنتُ منشغلةً بالتجهيزات لحفل اليسا"

ارسلت الرسالة وانتظرت لدقائق وهي تتلفت حولها باستمرار.. ودقائق حتى تفقد فهد هاتفه لتشرق روحه ويجيب باقتضاب معلناً عن انزعاجه لتجاهله طيلة يومين: لا عليكِ..

حركت الهاتف بين يديها تنتظر منه ارسال المزيد من الرسائل وهي غارقةٌ بالتفكير بينما فهد كانت يكتب بضع كلماتٍ ويمسحها باستمرار , كان مُرتبكاً لأول مرةٍ بحياته...كان الأمرُ أسهل فعلاً حينما كانت مجرد حالةٍ يريد علاجها... أما الآن فاختلف الوضع بالنسبة له, نورٌ اخترق حياته بلا انذار, بل كدلوٍ من العسل سقط فيه ولا قدره له على المقاومة !

استجمع شجاعته ليكتب حروفاً نابعة من قلبه: - ليست المرة الاولى التي اسافر فيها لكنها المرةُ الأولى التي اشتاقُ فيها العودة بسرعة"

اضاء الهاتفُ الصامت بين يديها واهتز ليرتج صدرها باضطرابٍ لذيذ وهي تقرأ حروفه ولا تعرف كيف لها أن تجيب على كلماته... بينما هو لم ينتظر رداً على كلماته أردف : لا أعرفُ صدقاً ما أنا بالنسبةِ إليكِ... لكنني أفكرُ بكِ كثيراً"

تعالى اضطراب صدرها وغزا الخجل تقاسيم وجهها فتراقصت أصابعها على الحروف وكأنها تعزفُ مقطوعةً جميلة بالحروف! ولم تكد ترسل رداً حتى اغتالتها رسالةٌ أخرى منه

-بل لا تغادرين تفكيري مطلقاً"

مسحت ما كتبته بيدٍ ترتعش ثم أرسلت مجدداً بابتسامةٍ خجلى : و ما تفسيرك لما تعاني منه؟

تبسم هذه المرة ابتسامةً واسعة وأجاب بسرعة : تعجبينني بشدة.

عضت على شفاهها بحرج و تداركت نفسها كيلا تنزلق بحوارٍ ستكون خاسرةٍ فيه لا محالة وارسلت ردها بسرعة: لا تتواقح فهد"

ضحك هذه المرة ملئ حنجرته فغطى فمه بكفه عندما تنبه لارتفاع صوته وأرسل الرد بمكر

-أتعرفين يا عسل .... أنتِ كالنحلة لدغتها مؤلمة لكنها تنتج أشهى شيءٍ بالوجود"

استنفرت حواسها وهي تقرأ كلماته فأجابت : احمد الله أنكَ لست أمامي حالياً...لكنتَ في عداد الأموات !

حك ذقنه قليلاً ثم تلاعبت أصابعه على الحروف ليكتب :

-كلامك كالسم لكنه يعجبني"

ضحكت هذه المرة بصوتٍ خفيض وهي ترسل له لإنهاء الحوار: تجرع إذن هذا السم واخلد للنوم فقد تأخر الوقت, تصبح على خير"

ثم أغلقت الهاتف بتنهيدةٍ عميقة وهي شاردةٌ بالبحر أمامها ...تقدم منها كريم بعدما تنبه لشرودها واضطرابها بل ولإيقانه بأنها كانت تراسل فهد , وبلا مقدمات سحب كرسياً وجلس عليه بشكلٍ معكوس واسند ساعديه على المسند ليقول بغتةً : والآن ستحكين لي كل شيء"

بهتت ملامحها واستفاقت من شرودها لتجيب بصدمة وهي تعتصر الهاتف بين يديها وكأنها تخبئه : ما الذي سأحكيه؟

-هذا الشرود....أفهمه جيداً, ألقي أوراقك دون خجل, لكني أريدُ الصراحة بحديثك, الموضوع إما أن يكون جدياً فأباركه وأؤيدك به...أو يكونُ ناراً فألقيه بها لتحرقه وسيندم حينها أشد الندم إن كان ذلك الشاب يتلاعب بك, وتعرفينني جيداً"

شعرت عسل بالارتباك لأول مرةٍ وكريم يحادثها بجدية فقال ليخفف عنها : لا أقصد إخافتك, لكني لا أريدك أن تؤذي نفسك, ما تزالين صغيرةً جداً وتجاربك معدومة"

**********

## الفصل الثامن والعشرون

رفعت نظراتها تجاهه مجيبة بحدة : ما شاء الله ومن التي ستخاف!! لا يوجد ما أحكيه لك, ولا أحدَ يتلاعبُ بي أتراني طفلة"!

رفع حاجبيه دهشةً منها واحتدت نبره صوته كذلك : إذن سأخبر مراد ولنرى ما رأيه بالموضوع ...أيتها الكبيرة الواعية"!

نهض بحزم وسار على الرمال فشهقت بعفوية وركضت ورائه تناديه : كريم !!.... كروووومي"

توقف لتتأبط ذراعه وتقول بخفة : أتهددني بإخبار مراد....عيب واللهِ عيب!

كاد أن يضربها بخفة لكن ما خلصها من براثنه الكرة التي ضربت دماغه فاستدار ناحية آدم الذي صاح به من بعيد: التقطها وتعال" فدفعته ناحية آدم

وهرولت للداخل فزم كريم شفاهه ثم تسللت ابتسامةٌ لثغره وهو يتمتم: واللهِ كبرتِ يا عسل!!

**********

تسللت نسائم الفجر المحملة بندى البحر والشباب ما تزال تصدع أصواتهم وهم يلعبون بالكرة على الشاطئ, استمعت دلال لأذان الفجر فنهضت من على السرير و هبطت درجات السلم ودلفت إلى الحمام لتتوضأ وأدت فرضها بإحدى الغرف التي علمت بأنها فارغة انتهت وجلست قليلاً على السجادة وما زال فكرها مضطرباً ومشوشاً, تخافُ الإقدام على هذه الخطوة وتخاف أن يكون مراد جسراً لتنسى من خلاله مشاعرها تجاه هشام...رفعت أهدابها تستجدي الله سبحانه أن يبث الطمأنينة بصدرها, تنهدت ونهضت وطوت السجادة ثم خرجت قليلاً لتستنشق عبير البحر , خرجت وجلست على المقعد بالتراس الواسع بعدما أعدت لنفسها كوباً من القهوة, كان الهواءُ نقياً جداً ونسيماتٍ باردةٍ تلاعبت من حولها تعالت ضحكاتهم من بعيد فاستدارت بتلقائية ولا إرادياً جذبها صوته وهو يمزحُ مع آدم ...كان طبيعياً جداً اليوم, كان يرتدي قميصاً قطنياً وسروالاً يصل حد الركبة , تجلى لها بهذه الأثناء إنساناً بسيطاً جداً, لاحت على شفاهها ابتسامةً ناعمة ثم أشاحت بوجهها عنه وراقبت امتداد الأمواج وانحسارها عن الرمال وتمنت هذه اللحظة أن تنحسر الآلام عن فؤادها...

بعد عدة أيامٍ وهشام بمكتبه يقوم بمراجعة ملف أحد المرضى يتصل به رقمٌ دوليٌ غريب ويعرفُ بعد لحظاتٍ أنه ساهر بعدما عرفه على نفسه, كاد هشام أن يرد مُرحباً لولا أن ساهر قد اندفعت كلماته كسيل الرصاص:

-وكيف تسمح لنفسك بأن تتقدم لخطبتها دون مشورتي !! من اعطاك الحق ألا تعرفُ الأخلاق والأصول ؟
كان كلامُ ساهر قاسياً جداً حاول هشام امتصاص غضبه لكنه لم يقدر على اسكاته بل تابع ساهر كلماته الجارحة وهو يصيح : وكيف تتجرأ على التفكير فيها...ومرتبك طوال الشهر لا يكفي ثمن حذاءٍ من أحذيتي أيها الطبيب المغمور, كيفَ ستعيلها, ما امكاناتك المادية اللتي ستقدمها ألم تفكر بذلك ! أم أنك خططت لكلِ شيء؟!

اختلجت قسمات وجهه وأجاب بتحفظ: اسمعني ساهر أنا حتى اللحظة أحترم الصلة التي تربطني بك, دعنا لا نتجاوز حدود اللباقة وهذا لأجل اليسا فقط"

-وتهددني أيضاً يا عديم الشرف ؟؟!! " ارتفع صوت ساهر عاليا وبهذه الأثناء اندفعت اليسا من الباب كون ساهر قد اتصل بها قبل دقائق فبثته الخبر فطلب منها ساهر أن تمليه رقم هشام"

تنبهت على ملامح هشام المحتقنة وربت على ساعده ليتنبه على وجودها فأجاب باقتضاب : عديمُ الشرف هو من يهدد شقيقته الوحيدة علانيةً ويسرقُ أموالها, نصيحتي لك لا تقطع حبل المودة وراجع حساباتك جيداً"

أغلق هشام الخط بعصبية بينما انكسرت نظرة اليسا وندت عيناها عن دمعةٍ وتمتمت : كنتُ أعرف أن لا مجالَ لاستكمال فرحتي,

-شش- إياكِ والبكاء " قالها هشام وأردف مازحاً محاولاً تهدئتها على الرغم من أنه يغلي من الداخل : لو لم يكن الأحمق شقيقك لكنتُ خدرته وتاجرتُ بأعضائه سأُجني منها مبلغاً مُحترماً"
دفعته اليسا بغيظ ثم أفلتت منها ضحكةً عالية : ليسامحك الله, ماهذا التفكيرُ الشيطاني!

قرصها من وجنتيها باسماً : أفديك بعمري على هذه الضحكة"

-وأنا أفديكما بعمري لو تذهبا لقسم الإسعاف" ارتبك الاثنان من الطبيب الذي ظهر فجأةً أمام الباب وقال كلماته مازحاً واردف : يحتاجونكما هناك "

اختقن وجهها بخجل فهرولت بسرعةٍ من أمامه وسط نظرات هشام العاشقة نحوها , اقترب زميله قائلاً بثقة: الآن تفديها بعمرك وبعد الزواج ستقدمها قرابين للشيطان كي تتخلص من ثرثرتها ونكدها ...اسأل مجرب"

********

دلفت بتردد إلى جناحه ثم توجهت ناحية السكرتيرة وسألت عنه لتجيبها الموظفة بأن لديه اجتماعٌ مهم... جلست بانتظاره فهاهي قد حسمت أمرها

بعد التفكير لعدة أيام, عادت الموظفة بعد لحظاتٍ وهي تحمل فنجاني قهوة وعندما خرج الرجل من المكتب قالت مازحة : حسبتها بالثواني...اسمعي "

فارتفع صوت مراد الجهوري بعد لحظاتٍ يهتف بالسكرتيرة من حلف المكتب صارخاً: القهوةُ رشاا القهوة رأسي سينفجر"

جمدت دلال باستغراب فأجابت السكرتيرة مازحة : المسكين دائماً رأسه ينفجر بعد جلوسه مع هذا العميل!!

ضحكت دلال ورن الهاتف بذات اللحظة فتناولت الصحفة من يدها وقال : سأدخلها أنا إذن وأنتِ أجيبي"

هزت رشا رأسها بامتنان بينما دلفت دلال للداخل وكان مراد يصيح على الهاتف وهوي يدير كرسيه:

-وكم مرةً علي إخبارك بأن تزيد ساعات العمل, زد العُمال يا أخي بضعُ آلافٍ لن يضرونا بشيء !!..سيصيبني ذلك الأحمق ُبنويةٍ قلبية والسببُ هو بطئ عملكم ...بحق الله انجزوا.. بسرعة بسرعة أتفهم, أم أُعيدها..

وضعت القهوة على الطاولة وتبسمت وهي تستمعُ إليه : اتصل إذن بغيره...عشراتُ المكاتب تنتظرُ اتصالي فقط, اسمع سأعطيك رقمه وتصرف حسناً"

اشتم مراد رائحة القهوة فقال مجدداً وهو يشير بيده ظناً منه بأنه يحادث سكرتيرته : تناولي من على المكتب دليل الهاتف واخرجي رقم مروان الحاج بسرعة " واستكمل حديثه على الهاتف فانصاعت دلال والتفت للجهة المقابلة لتمسك الدليل وبحثت بسرعة حتى وجدته وقالت : خمسة ..ثلاثة.. ثلاثة" التف بسرعةٍ بعدما استبان مغايرة صوت سكرتيرته وشقت ابتسامةٌ صفحة وجهه وردد بعدها : خمسه..ثلاثة..ثلاثة".....

انهت رقم الهاتف وانهى مراد اتصاله والبسمةُ البلهاء لم تغادر شفاهه: مفاجئةٌ جميلةٌ جداً...نورتِ الشركة"

-شكراً لك"

-تفضلي ...تفضلي بالجلوس"

جلست على الكرسي الجلدي فالتف مراد من خلف المكتب ليجلس قبالتها متسائلاً : وما سرُ هذه المفاجئة السعيدة؟

-بصراحة, جئتُ لأجيبُ على طلبك بعد أن فكرتُ جيداً بالأمر"

أشرقَ وجهه وقد تعدل مزاجه تماماً وسأل بحماس : وما هو قرارك ؟

تنحنحت بارتباك وأجابت: أنتَ رجلٌ منفتحٌ جداً...لا أعرفُ حقاً كيف سنتفاهم"

-يعني؟؟
صمتت قليلا فانقبض قلبه خوفاً من الرفض الواضح ..تابعت بجدية :
_أنا...موافقة لكن"..

تهللت أساريره فنهضت من على الكرسي وابتعدت قليلاً لتترك بينهما مجالاً وقالت بثقة...هناكَ شروطٌ لمن سأرتبط به سيد مراد

تطلع فيها لثوانٍ قبل أن يقول وهو يرجعُ بجذعه للوراء : حسناً هاتِ شروطك

-المشروب لا أريد لزوجي أبداً أن يقربه؟

اعتدل بجلسته ثم نهض وسار بتؤدةٍ ناحيتها:

-ذاتاً أنا لم أعد أشربه إلا نادراً جداً...لكن أقسمُ برب العزة أن ألغيه من حياتي ومنذُ هذه اللحظة"

بريقٌ اكتسح روحها وهي تتمعن بكلماته التي بدت واضحةً وصادقة جداً, تهدج صوتها أكثر وهي تسأل:

-وعملي ...لا أريدُ أن أتركه.

-وهل يمكنُ لملائكةُ الرحمةِ أن تتنازلُ عن أعمالها"

اعتراها الخجلُ من كلماته لتصطبغ وجنتاها بلونٍ ورديٍ زادها فتنة فقالت هامسة : و...وشرطٌ أخير , أن تطلبني من والدي كما الأصول..

-والدك!! أتكلمينه؟

-بالتأكيد ما زلت أكلمة"...

-وبعد كل ما فعله؟

-طبعاً, من حقه أن يتزوج وحتى لو اختار الطريقة الخاطئة لإبعادي عن المنزل, بكافةِ الأحوال ما كان المنزلُ ليكفينا ..وأنا كبرتُ بما فيه الكفاية لأشقُ طريقي بمفردي من وجهة نظره"

تبسم مجيباً : سأطلبكِ منه, وحسب الأصول آنستي...هل هناكَ شروطٌ أخرى؟

هزت رأسها نافية ثم سألته : وشروطك هل لي أن أعرفها"

تردد للحظاتٍ قبل أن يقول بثبات :واللهِ ما عندي شيئاً أقوله والكمالُ يتجسدُ أمامي, أريدكِ كما أنتِ وفقط"

اعتراها الخجل الشديد من كلماته فتسائل باسماً : ومتى سنكلم البابا لأخذ موعد ؟أم أنه ما يزالُ بشهرِ العسل ؟!

**********

رفعت الكوب وارتشفت القليل من العصير ثم تطلعت به وتسائلت : أنا أستمع فهد, ما هو الموضوعُ المهم الذي تريدني فيه ؟

تلاعب بأصابعه بفنجان قهوته ثم تساءل : ماذا تفكرين بالنسبة للمستقبل, أقصد...هل حددتِ خياراتك التالية بعد صدور النتائج؟

-طبعاً سأرتادُ الكلية" قالتها بحماسٍ شديد ليتكئ برأسه على كفه وكوعه مسستندٌ على الطاولة تساءل بذات الابتسامة : وبعد"

-ممم ...بعدها سأتخرج..سألتحقُ بإحدى أفرع الأمن الجنائي و سيتزين كتفاي ببضعِ نجمات , ستناديني بسيادة الضابط"

بصق القهوة وتعالى سعاله وهو يتطلعُ بها بصدمة : مازلتِ تفكرين بالأمر....سترتادين الكلية الحربية!!

هزت رأسها بإيمائةٍ واثقة فقال بلعثمة مجدداً بعد أن مسح فمه بمنديلٍ ورقي : سترتادين الكلية الحربية!

-وما بك تكررها كالببغاء ؟!

هز رأسه باسماً : سيادة الضابط عسل!! ألا ترين أن الإسم متناقضٌ قليلاً ! بل وغريبٌ على ضابط!

تعالت ضحكاتها مجيبة : ما غريب إلا الشيطان!

تنحنح مجلياً صوته ثم قال بجدية : حسناً طموحٌ جامحٌ قليلاً...لكن, بعد ذلك كله ألا تفكرينَ بشيءٍ آخر.

مطت شفاهها وهزت رأسها بتفكير : لا...لا أعرف شيءٌ مثل ماذا ؟

مال ناحيتها قائلاً بحنان: بشيءٍ اكثر رومانسيةٍ مثلاً... بمنزلٍ دافئٍ صغير يكونُ ملكك وحدك , تكونينَ فيه ملكة"

تعاظمت ضربات فؤادها واحتقن وجهها وهو يردف مكملاً : بزوج .... تنسين معه كونك سيادة الضابط عسل, وتكونين بمنزله أميرته..., جزءٌ من روحه, تشاركينه أفراحه وأحزانه....يعملُ مثلاً كطبيبٍ نفسي, في بدايةِ طريقه المهني, وربما اسمه فهد"

ارتبكت من كلماته واحتضنت كأس العصير بين أصابعها المرتعشة وقالت بلعثمة : ما...ماأزالُ قصيرة...يووووه أقصد صغيرةً جداً على..على ذلك"

ضحك وهو يحتضن كفيها المرتعشتين بين أنامله مجيباً : بالمناسبة أنا لا أتكلم عن الآن.. بل لأؤسس نفسي وتكونين قد انهيتِ دراستكِ حينها ستكونين بعمرٍ يسمحُ لكِ بتأسيسِ عائلة " أشاحت بوجهها عنه مرتبكة فأعادها إليه مرةً أخرة بجدية: اسمعيني عسل.. حالتي المادية متواضعةٌ بالنسبة لكم, لكن المشاعر التي أكنها تجاهك كبيرةٌ جداً, أخبرتك سابقاً بأنك تعجبينني بشدة, ومعاذَ الله أن أضركِ بتصرفٍ أو قول, لذلك أصارحكِ

بمشاعري تجاهك, ما أريده فقط أن أعرف رأيكِ بي... كرجلٍ يرغبُ بتأسيسِ مملكته معك وبرفقتك"

سحبت يديها وضمتهما على حجرها واستجمعت شجاعتها لتجيبه : لا أعرف, أنا حالياً مشوشة, لقد صدمتني بمطلبك إن هذا الأمر خارج حساباتي كلياً"

-أعرفُ ذلك, فكري جيداً بالأمر وسأنتظرُ قرارك"

**********

تهاجمنا ذكرياتُ الماضي , تتسارع بأذهاننا كومضات بعيدة جداً, بعيدةٌ لدرجة نشعرُ وكأنها صفحةٌ بكتابٍ مركونٍ على رفٍ من رفوف ذاكرتنا, فتمرُ حياتنا كالحلم...يغرقُ الماضي بتفاصيله ولا يبقى سوى ذكريات مشوشة وضبابية, ف نعتادُ على الألم حتى يخف تدريجياً لنتحرر منه بالوقت المناسب, فهل تحرر مراد بعد هذه العواصف التي اجتاحت حياته فخلفت فساداً لسنوات , هكذا تمنى فعلاً.. قبض على المقود بكلتا يديه والقلق ربما ينهشُ روحه, هو خائفٌ ومتوتر وهذا الإحساس سيستشعره لأولِ مرةٍ بحياته ...يخافُ أن يفقدها بعدما وجدها ووجد الأمان برفقتها...

تصرخُ دلال بعنفٍ وتنهار باكيةً بالمقعد الخلفي وعبير تطلب منه بأن يسرع فيزيد من سرعة ضغطه على البنزين لتزداد سرعة سيارته, كانت عيناه تدمعان فعلاً!

وومضات تلك السنوات القليلة منذُ تعارفهما تمر بذاكرته....شجاره الـأول معها عندما سألها عن اليسا ... ومنذُ رآها تبكي تحت الشجرة ذات يوم ... اعترافه الأول بكلمة أحبك, تلك اللطمة التي بسببها عاد ينزفُ جرحه... شجاراته معها...وكم تمنى أن ينزف دائماً إن كانت هي من ستداوي جراح جسده كما داوت جراح روحه...

**النزيفُ يزداد.. أسرع باللهِ عليك يا مراد: نطقتها عبير ليزداد ألم رأسه ويزيد من سرعته أكثر...

ومضاتُ الذكريات تخترق روحه هذه المرة.....

دلف برفقة والديه وهو متأنقٌ ببذلةٍ رماديةٍ يحمل بين يديه باقة زهورٍ قدمها لدلال التي استقبلتهم بمنزل والدها.. رغم بساطتها, وبساطة ما ترتديه من قميصٍ طويلٍ و بنطال وحجابٍ لم يزدها إلا رونقاً وجمالاً ..رغم بساطة دارها وبساطة الحي الذي تعيشُ فيه...إلا أنه شعرَ وكأنه يخطو داخل قصرٍ باذخ الثراء... لكن ثراءه هذه المرة بالإيمان والأخلاق والعفة التي كان قد تناسها سابقاً ...ومفتاحُ تحريره هو أنثى فقط.. استطاعت أن تفتحَ له هذا الباب على مصراعيه...

زوجة أبيها ذات الثلاثين عاماً على أكثر تقدير تجلسُ وقد تبهرجت بألوان الطيف ووشاح يظهر أكثر ما يخفي من شعرها المصبوغ !! ووالدها يجلس وعيناه تلتمعانِ بصيدٍ ثمينٍ جداً...لكن مراد لم يكن يهمه أبداً, جلُ همه هو دلال التي تقدم له هذه اللحظة فنجان قهوته وبسمةٌ رقيقةٌ ترتسم على محياها, تناول الفنجان وشعر بأن فؤاده ينازع للقفز من صدره, شعوره حالياً مغايرٌ جداً لأي لحظةٍ عاشها, حتى لما تقدم لطلب يد اليسا, كان الموضوعُ سهلاً وبسيطاً...كلمتان ألقاهما لوالدتها التي اجابت بسرعةٍ دون تفكير... فكانت خسارته بعدها ....دون تفكير!! أما هذه اللحظات فمغايرةٌ حتماً.

-نكتها لذيذةٌ جداً" نطقها بلا وعيٍ بعدما ارتشف من فنجان قهوته فقال والدها مازحاً : إن دلال خيرُ من تعد القهوة بكلِ المعمورة"

ومضاتُ حياته تزداد...ما زال يذكرُ تلك الزغاريد التي أطلقتها الفتيات حولهما بحفلِ زفافه, ودلال بجانبه تتزين بفستانها الأبيض وطرحةٍ تغطي شعرها .. وتبرج ناعمٍ كحالها ...الزغاريد توقفت فجأةً وهو يخطو بها لداخل الشقة, باتت الفيلا مختلفةٌ تماماً عما ألفها سابقاً....حياته ذاتها مختلفة, مكللةٌ برضا الله سبحانه, رفع الطرحة رويداً لينسدل شعرها ولأولِ مرةٍ يتأمله بأريحية... كان ناعماً ..طويلاً, ككنزٍ ثمين اكتشفه ومن حقه وحده فقط الاحتفاظ والتمتع به....

أفاقَ من ذكرياته على صوت صريرٌ عالٍ صدر من عجلات سيارته لتخفيف السرعة وكاد أن يصطدم بإحدى السيارات حينما توقفت إشارة المرور...ضرب بحنقٍ على المقود وحاول الالتفات لتجاوز السيارة لينطلق مجدداً متجاهلاً إشارة المرور ودلال ما تزال تصرخ بألمٍ يكتسح جسدها....

**********

## الفصل الأخير

وصل إلى المستشفى وهرع بعدها ليحملها وهي تنزف وتحول صراخها لمجرد أنينٍ متألم. . . . وضعها على النقالة وهرول بها المسعفون إلى غرفة العمليات, ارتد إلى الوراء ليستند على الحائط بينما عبير تراقبه وهي تدعو الله بسرها أن ينجي دلال, تلك التي وما إن خطت لداخل الفيلا غيرت ابنها كلياً, وصارَ أكثر إشراقاً وحيوية, وعبير لا تريدُ لابنها أن ينهار ويعود لما كان عليه, انزلق مراد على المقعد وهو يخفي وجهه خلف كفيه ويحني جذعه للأمام يدعو الله. . .
تذكر هذه اللحظة قبلتهما الأولى. . . صباحه الأول معها, الأمان الذي شعره برفقتها منذُ زواجه منها, التزاماته الدينية التي بدأت تتشكلُ من جديد على يديها, والآن يخاف الحرمان الاستقرار الذي عاشه برفقتها. . . .,
فرك جبينه بأصابعه وعاد صراخها من الداخل يعذب روحه. . . واختلط بصراخها قبل ساعاتٍ عندما زلت قدمها لترتطم بعنفٍ على أرض الحمام وهي بشهرها الثامن من الحمل.
تذكر كيف تلقى خبر حملها وكأنه البارحة . . .حينها كان قد حضر من العمل مرهقاً جداً, لم يكونوا قد تناولوا العشاء بعد, قالت عبير بابتسامةٍ رقيقة: مباركٌ يا بني. . .
فتتساءل وهو يخلع جاكيت بذلته ويسنده على الكرسي: على ماذا؟
اصطبغ وجه دلال بحمرة ٍ طفيفة وهي تضعُ آخر طبقٍ على الطاولة وأجابت بخجل: ستصبحُ أباً. . . أنا حامل"
حامل. . . . حامل. . . حامل! صار عقله يرددها بسرعةٍ جنونية كمن سمع لتوه بأنه ربح الجائزة الكبرى بأكبر مسابقةٍ كونية!
ندت دمعةٌ من عينيه لم يستطع كبحها ثم خطى ناحية دلال, حملها وصار يدور بها بوسط الصالة دون أن يأبه بوجود عبير ورضوان وحتى عسل التي تعالت قهقهاتها المرحة وهي تهتف: جن أخي. ! !
سقطت دمعته هذه اللحظة كما سقطت عندما أعلمته بحملها, كما سقطت حين زواجه منها, ما يزالُ غيرُ مصدقٍ لكل ماجرى وكأنه مجردُ حلمٍ

يخاف أن يستفيقَ منه فيرتطم بشناعة واقعه!
كان يدعوا الله كل يومٍ أن يحمي الجنين ويحفظه خوفاً من أن يتكرر معه ما حصل بالماضي مع اليسا حينما أهملها وفقد طفله, منع دلال من العمل منذُ عرف بالخبر, خصصَ لها سائقاً خاصاً حينما تريدُ الخروج من المنزل, بل صار هو من يترك عمله لإيصالها، لم ينتبه على حرصه المبالغ ,وعلي الرغم من ضيق دلال في بعض الأحيان من حرصه الشديد إلا أنها آثرت الصمت وهي تلتمسُ عطفه وحنانه وسعادته بطفلهما الأول.
. . كان مراد حريصاً جداً لكنه غفل عن أمرٍ مهم. . . ألا وهو أن قضاء الله سيحصلُ مهما اتخذ التدابير وعمل بها!
وعاد إلى الواقع مجدداً عندما كفت دلال فجأةً عن الصراخ. . . تطلع بوالدته يستجديها أن تطمئن. . . ربتت عبير على كتفه بحنان بعدما عرفت ما جرى وسمعت صوتاً لم تلتقطه أذني ابنها المشوشة. . .
خرجت الممرضةُ بعد دقائق قليلة وبيدها رضيعٌ صغيرٌ جداً يصرخ احتجاجاً على خروجه قبل ميعاده بشهرٍ كامل. . . لم تعد قدميه تحملانه اختلجت ضلوعه بصدره والممرضةُ تقول: صحيحٌ إن الصدمة على حوضها كانت قويةٌ جداً وحرضت على طلقٍ مبكر لكن الحمدُ لله كلاهما بخير. . . يبدو أن الصغيرة أرادت الخروجَ بسرعة', أوصلتماها بالوقت المناسب. . . .
كانت الممرضةُ تثرثر. . . دون انقطاع ولم تلتقط أذناه سوى جزئية أنهما بخير. . . . فقط هذا ما يهمه. . . . وهذه الطفلة الصغيرة يصدع صوتها عالياً. . . تطلع بأمه التي شجعته لحمل ابنته وهو يهز رأسه بخوف, كيفَ سيحمل هذا الملاك بين يديه دون أذيته!
ندت دمعةٌ من عينيه والصغيرة بين ذراعيه. . . ولم يكتفِ بدمعةٍ فقط, بل انسابت دموعه بصمتٍ وقد ابتعد عن والدته, حتى عن الجميع حينما علموا بأن دلال تلد فترك الجميع أعمالهم واتجهوا للمستشفى. . راقبوه وهو ينزوي بطفلته الصغيرة ويجلس على المقعد وهو يؤذن بأذنها بصوتٍ متهدج. . . قبّل يديها الرقيقتين وشم عبيرهما الزاكي وانفصل تماماً عمن حوله لدقائق, كان يتمنى فعلاً أن تبقى تلك الصغيرةُ بين يديه أبد الدهر فهذه الرضيعة بحجمها الضئيل أشعرته بروعة الحياة من جديد
ومن بين الجميع. . . تقدم جواد الصغير ذو السبع سنوات وبابتسامةٍ بريئةٍ قال: على الرغم من أن صوتها حادٌّ ومزعج كشقيقتي . . . .إلا أنها تبرق كالملائكة . .أسميها ملاك يا عمي؟
تنبه مراد على جواد بينما ضحك كريم على ابنه وهو يعبث بشعره تطلع

فيه بتيه وما يزالُ غير مصدقٍ أنه أصبح أباً! ! أجاب بإيجاب: ملاك. . . سأسميها ملاك"
قال كريم مخاطباً صديق طفولته: مباركٌ بابن العم, اسمٌ مناسبٌ جداً"
صرخت ابنة جمانة باكية هذه اللحظة فشرعت بإسكاتها وهي تبتعد كيلا تزعجهم. . بينما نهض مراد وسلم الرضيعة لوالدته قبل أن يدلف لغرفة دلال ويغلق الباب خلفه بعدما سمحت له الممرضة بالدخول, كانت مرهقةٌ جداً انحنى راكعاً على ركبتيه وتناول كفها ليطبع قبلةً عليها وعينيه ما تزالان تكتنزان بالدموع: الحمدُ للهِ على سلامتك حبيبتي, كدتُ أموتُ قلقاً.وعلى الرغم من الوهن الذي يتملك منها ورغم آلامها رفعت يدها لتمسح على شعره, بدا كطفلٍ صغير هذه اللحظة, غريبٌ أمر البشر...يبكون حين الحزن, يبكون حين الفرح, تلكَ المشاعر الإنسانية الصادقة لا تنبعُ عن الضعف حتماً بل من القلب والبذرةِ النقية التي زرعها الله سبحانه في قلوب عباده, لذلك يبكي التائب...بكائه يطهره من ذنوبه فتغسل جسده وروحه من شوائب معاصيه وآثامه, وهذه اللحظة وكأن مراد كان يتطهرُ من كل ما قترفه سابقاً بحق نفسه والجميع.

**********

أحداثُ الحياة ليست عبثيةً هي مجموعة اختباراتٍ واختيارات...إن اخترت طريقَ الحق وكنتَ على يقينٍ بالله سبحانه , لن تؤثر فيكَ صدمات القدر, سيكونُ أملكَ بالله ويقينك فيه هو طوقُ نجاتك في كلِ مرة, وبالنقيض تماماً اختر طريق الشر واسلكه ملئ ارادتك لكن كُن على يقين أن نهاية الطريق ستكونُ مؤلمةٌ جداً لك, ستقصمُ الحياةُ ظهرك, مراتٍ ومرات كي تحيد عما تفعله, يرسلُ الله إليك إشاراتٍ لتعود إليه, لأنه يشتاق لتوبة عباده, وطوبى لمن استفاقَ باكراً من غفلته...

عاد مراد بأسرته الصغيرة إلى الفيلا , بملاكه الذي أعاد نبضَ الحياةِ لمنزل العائلة, أحياهُ حبُ دلال, وأحياهُ حُب ملاك..عرفَ معنى أن يكونَ أباً مسؤولاً ومؤمناً يخاف الله, وتلك الصغيرة أمانه, تنامُ بين ذراعيه وهو يغني لها كل ليلة, يشتمُ عبيرها الزاكي تمنى أن يكون قد تعرف على دلال منذُ أكثرٍ من عشر سنوات لعله توقف بأخطائه عند حدٍ معين,بل تمنى أن يمسح من حياته عشرونَ عاماً قضاها بالمجون والضلال..

تقدم من دلال التي كانت تقفُ على السطح وهي تتنفسُ هواءَ الليل النقي الممزوج بلسعةِ برودةٍ مُحببة, حوطها بذراعه وشدها لصدره واتكئ بذقنه على كتفها هامساً :

- شكراً كونكِ بحياتي

استكانت بين يديه وبدا وكأنه بعالمٍ آخر شارداً, وتعلمُ هي أنه في كلِ يومٍ يخاف أن يعودَ وحيداً, يخافُ العودة للضياع وذكريات ماضيه لا تنفك تهاجمه, لذلك كان يتشبث بها دائماً, صار متعلقاً فيها بشكلٍ جنوني ,وكم أحبت تعلقه بها, كم عرفت هذه اللحظة أن الله سبحانه انتزع حُب هشام من صدرها لكنه قدم لها أعظم عدية, قدمَ لها المكوث داخل قلبٍ ينبض باسمها ولها فقط, استدارت ناحيته وتأملت ملامحه المشرقة, بدا بشعيراته البيضاء التي تتخلل خصلات شعره وذقنه, فاتناً, بتأنقه وتألقه بدا ذو شكيمةٍ ووقار, برقت عيناها ببريقِ خلابٍ اسر روحه هذه اللحظة, ومتأكدٌ كان أنها ستأسرهُ حتى يلفظَ آخر أنفاسه.

**********

وبالنسبةِ لهشام و إليسا, لم يختلف الأمرُ كثيراً, إلا أنهما لم يرزقا بعد بطفلهما الأول , تزوجها بعد زواج دلال ومراد بعامٍ واحد, لكنه كان مُصِراً على أن تشاركه منزله بعد أن قام بالإصلاح اللازمة و التجهيزات لانتقالها وترك لها حرية التصرف بالفيلا, يريدها معه بمملكته المتواضعة بالنسبة لها, باتت تعرفُ وضعه المادي, لكن العشق الذي يقدمه لها والذي كانت تحتاجه جعلاها تمتثل لرغبته, الثراء سابقاً لم يزدها سوى البؤس والشقاء, ويكفيها نظراته اليها من عينه الخضراوان الرائقتان وبريقهما وهو يتأملها, لقد أحرق هشام ماضيها السيء وأضرب بذاكرتها النيران لتحرق كل ذكرى سيئةٍ لها مع مراد يكفيها أن تتوسد صدره مساء كل يومٍ لتشعر بالأمان الذي حُرمت منه طويلاً جداً بسنواتِ الخوف الذي عاشتها سابقاً ,

ببكائها ليلاً وحيدة دون أن تجد من تلتجئ إليه, بسنوات القهر والألم بعد أن كُسِرت أجنحتها بسبب مراد وعائلتها, أعاد هشام تشكيلهما من جديد, منزله المكون من غرفتين وصالة صارَ قصراً من الألوان, راقبها ذات يومٍ عندما توقفا أمام متجرٍ لبيع الشوكولا, كانت وكأنها تحارب ألا تهرول ناحية

المتجر!! تعلقت عيناها على الأصناف ثم استدارت وأكملت طريقها, وكانت قد أخبرته سابقاً أن الشوكولا تحمل لها الذكريات المريرة التي عاشتها سابقاً, لكنه اليوم يريدها أن تنسى , أن تبدأ معه من جديد...مزق ذاكرتها وسيخط بيده أحداثاً جديدة لتستذكرها بالمستقبل, لذلك هذه المرة حينما قدم لها صندوقاً من الشوكولا, لم تكسره كما المرةِ السابقة, بل احتضنته بين كفيها بفرح طفوليٍ أعادها عشرَ سنواتٍ للوراءِ على الأقل... على الرغم من أن عيناها كانتا تتلبدان بدموع لكنها قاومتهما بضراوة, فض هشام اللفافة وأطعمها حبة الشوكولا، تبسمت وهي تستلذُ بنكهتها الحلوة كما حياتها التي تعيشها حالياً..

سألها بابتسامةٍ صافية :بالمناسبة, أتحبينها بالبندقِ أم الفستق"

تطلعت فيه هذه المرة وضحكت دون سببٍ يفهمه, أجابت بعد أن تمالكت نفسها: أحبها بالبندق و أعشقها بالفستق, وباللوز, و بالجوز وبالحليب...أحبها مُرة, وحُلوة, اشتري لي الشوكولا كل يوم.

-لا تكوني شرهة ستخربين ميزانيتي هكذا !!

-لتتخرب...ما يهمني فقط أن أعوضَ ما فاتني طيلة سنوات دون أن آكلها.

-طيب....أمري لله, هاتي قطعة أثرتي شهيتي.

تطلعت فيه وراقصت حاجبيها برفض وهي تقحم حبةً أخرى بفهما : الصندوق أمامك أنا مشغولة "

-وأنا أريدها من بينِ يديكِ فقط.

تعانقت عينيهما للحظاتٍ كانت كافيةٍ ليتمكن الخجلُ منها كادت أن تختنق بالقطعة فابتلعتها بصعوبةٍ بالغة , ما يزالُ يتقن إخجالها حتى بأدنى نظرةٍ وكلمةٍ منه,تناولت حبة شوكولاه وأطعمته إياها فتناول راحة يدها وطبع قبلةً عليها وهمس : واللهِ لن آكلها بعد الآن إلا من بينِ يديكِ "

**********

مرت سنواتُ الكلية الحربية على عسل وإيمانها يزداد بكل خطوةٍ تخطوها نحو مستقبلها الذي أصرت أن تمشيه, صحيحٌ أن العائلة رفضت في بادئ

الأمر كونها ربما ستنسلخُ عن أنوثتها باختيارٍ فرعٍ صعب ملائمٍ للرجال لكن مع إصرارها ما كان منهم إلا أن يرضخوا, كان مراد على عكسِ الجميع يساندها, يرى فيها تلك القوة التي لم يملكها هو ذاته أبداً, لم يكن يكذبُ حينما قال لدلال بأنه ضعيف, هو انسانٌ ضعيفٌ جداً حيثُ أغواه شيطانه, لاحق هواه وغرائزه سابقاً دون مقاومة, شقيقته عسل...كانت تقاوم ببسالةِ محاربة, تحارب أن تلتقي بفهد حين إجازتها الأسبوعية, تكتفي بإرسال الرسائل والمكالمات كي لا يشغل تفكيرها عن دراستها, أرادت منه الابتعاد كي تختار بهدوء, وكي يتأكد هو كذلك مما هو مقدمٌ عليه, كانت تؤمن بفكرةٍ وتسعى لتحقيقها, الأنوثة لا تعني شعراً طويلاً ولا جسداً متناسقاً يغوي الرجال ,ولا ماكياجاً صارخاً, بل الأنوثة هي روحٌ وإحساسٌ مرهف, هي رقةٌ وأناقةٌ, لسانٌ عذبٌ وأخلاقٌ وعفة وهو الجمالُ الحقيقي.

وهذا ما استطاعت عسل فعله, بمساعدةٍ طفيفةٍ من فهد الذي آمن فيها وبحبه لها , حيث اعترف لمراد ورضوان أنه يرغبُ بالارتباط بها , كان يتصل برضوان ويقابل مراد في بعض الأحيان دونَ معرفةٍ من عسل , لكن الآن كان فهد قاصداً أن يأتي بآخر زيارةٍ لها قبل التخرج لكي يراها, قاصداً أن تكون زيارته قبيل مجيئها بدقائق فروحه لم تعد تحتمل هذا الحاجز الذي تصر عسل على بناءه, ودلفت كتلةُ الإعصار المتحركة كما يسميها الجميع, بشعرها القصير وبزتها العسكرية ...بدا شكلها لطيفاً جداً على عكس المتوقع, كجنديٍ عائدٍ من ثكنته العسكرية , أو هي كذلك فعلا!! حدقت بفهد بارتباكٍ وصدمةٍ حقيقيين بينما مراد ينقلُ بصره بينهما وابتسامةٌ عبثت بشفاهه , تقدمت عسل بوقارٍ ومدت يدها لمصافحة فهد بعدما قبّلت شقيقها , كانت يد فهد دافئةٌ جداً, تغير بتلك السنوات التي لم تره فيها, ازداد نحوله فبرزت غمازتيه أكثر لتذوب بجمالهما وهي تقول بصوتٍ مرتبك : كيف حالك دكتور فهد.

وعلى الرغم من أنها لم تطلبُ منه أن يرسل لها صورةً واحدة طيلة تلك السنوات إلا أنها كانت تختلسُ النظر لصوره عبر صفحته على الفيس بوك بل وتملئ هاتفها به, بنظراته وهمساته الحنونة وخوفه عليها عرف كيف يظهرُ أنوثتها رويداً رويداً أعجبه فعلاً أن تكون معه صافيةٌ كالعسل...وأمام غيره قويةٌ كجعفر!!

تعالى صراخُ ملاك ابنة مراد ذات العامين وهبة ابنة جمانة التي قاربت على بلوغ الرابعة من عمرها وهما تركضُان بأرجاء الصالة بعدما سرقت هبة دميتها وهربت....تقدم جواد ذو التسعة سنوات من شقيقته وهو يضم شفاهه بانزعاج وقال بنبرةٍ حادة: اتركي دميتها حالاً, لا تُبكي ملاكي, لكن هبة أخذت طباع والدتها الشرسة وضربت شقيقها وهرولت ليلحق بها غاضباً بينما ملاك ما تزالُ تبكي !! قهقه مراد وهو يتجه ليفض الخلاف كما العادة بعدما استأذن من فهد, فتقدم فهد خطوتين للأمام قائلاً بلهفة عاشق : -اشتقتُ لكِ جداً...جداً, حرامٌ ما تفعلينه بي أقسمُ بالله.

و ما يزالُ يحتضن كفها منذُ أن صافحته, لم يفلتهما تبسمت بخجلٍ ثم أردفت وهي ترفع كتفيها : أنا أخبرتك منذ سنوات أن هذا هو شرطي الوحيد لزواجنا, وأنت وافقت على ذلك, ثم...أحتاجُ كفي بعد إذنك!!

-ستتخرجين قريباً....يا سيادة الضابط , التزمتُ لأربعِ سنواتٍ ...ألا يكفي, ثمُ أن الجو بارد, كفكِ تمدني بالدفئ"

توترت قسمات وجهها واختلجت ضلوعها وهي تتلفت حولها خشية أن يعود مراد أجابت باسمة:

-لم تكتمل الأربعُ سنوات...باقي أسبوعٌ حتى التخرج التزم فيها حتى أتخرج بأمان الله !!, واترك يدي يووووه!!

اقترب أكثر منها هامساً ببسمة: بعد فراقٍ لأربع سنوات....إلا أسبوع, وتقولين أترك يدي مجنونٌ لو فعلتها, واحمدي الله أني لم أجذبكِ ناحية صدري حتى هذه اللحظة!!

اكفهر وجهها وقالت بحنق :عيب فهد, لا تطل الكلام وافلت يدي"

هز رأسه نافياً لمعت عيناها وبثوانٍ كان أظفارها يغرز بقوةٍ بلحمه وردت بحنق بصوتٍ كالهسيس : أنا جائعة...ومتعبة ...ومرتبكةٌ من وجودك المفاجئ اعتقني"

أغمض عينيه باستسلامٍ رغم تألمه مستمعاً لهمساتها ولم يمنع نفسه من التبسم , أفلتت كفه أخيراً وغادرت بينما رفع كفه ليرى أثر أظفرها وتمتم

متألماً : متوحشة !! ثم تنحنح وارتد جالساً ببراءة على الأريكةِ منتظراً مراد ليستكمل حديثه معه.

حمل مراد هبة بين ذراعيه بعدما تمسكت بساقه وقال يداعبها : أيتها الشقية ألن تكفي عن إزعاجها"

-هؤ..لأنك تحبها أكثر مني " قالتها هبة ببراءة فقبل مراد وجنتيها مازحاً : أنتِ الأصل يا غالية, ملاك ما تزالُ صغيرة وعلينا الصبر عليها واللعب معها بهدوء كي لا تتأذى وتؤذينا بصراخها , أليس كذلك يا جميلتي, واليوم أعدكِ أن نذهب للحديقة لتلعبا فيها اتفقنا.

هزت رأسها بعدما قام بإقناعها فغمز لها وتناول اللعبة من بين يديها ليعطيها لملاك التي احتضنت اللعبة ومشت بفرحٍ بعدما ظفرت بها وعاود مراد توجهه تجاه ضيفه العاشق.!

بينما دلال كانت برفقة جمانة وعبير في المطبخ يحضرن طعام العشاء, هرولت عسل وغمزت للفتاتين اللتان تفاجئتا بقدومها دون أن يشعرن ثم تقدمت لتقف خلف والدتها واحتضنتها هاتفة بمرح : مساء الورد سيدة عبير"

شهقت عبير بفرحٍ واستدارت لتقبل ابنتها التي تجاوزتها طولاً وقرصتها من أذنها : ألن تكفي عن إخافتي يا بنت!!

قهقت وهي تأكل حبة خيارٍ من الطبق وراقصت حاجبيها بتفاجئ: ومن أخبركِ بأني أريدُ أن أكبر...آه بالمناسبة أين كرومي بما أن جمانة وقرداها الصغيران هنا باكراً ؟

ضربتها جمانة بمريلة المطبخ وهتفت : واللهِ لسانكِ يحتاجُ إلى قص"

-كفي عن الكلام الزائد وأنجزوا بسرعة, أنا جائعةٌ جداً " وهربت من المطبخ لتدلف مجدداً إلى الصالة حيث كان مراد ما يزال يجلس برفقة فهد , جلست أمام التلفاز متظاهرةً بعدم الاكتراث لوجوده بينما تتحرق لرؤية تعابير وجهه وعينيه وهو يتناقشُ مع مراد عن أمرٍ حتى لم تفهم ما هو , دلف كريم إلى الفيلا برفقة آدم ونور فهذه هي عادتهم نهاية كل اسبوع حيث يجتمع الجميع بموعد وصول عسل, نهضت بفرحٍ وكعادتها منذ

طفولتها هرولت لتلقي السلام على كريم وقبلت وجنته وسط نظراتٍ حارقةٍ من فهد الذي اكفهر وجهه وتجهم, لم ينتبه له كريم وقرص عسل من وجنتيها قائلاً : أهلاً بأجملِ ضابطٍ بالمنطقة.

-عسل, ساعديهم بالمطبخ " هتف بها مراد الذي لاحظ انقلاب وجه فهد وانزعاجه الواضح فتنبه كريم على وجود فهدر تقدم بتؤدة وألقى السلام فأجابه فهد باقتضاب ثم نظر لساعته وقال : حسناً عن إذنكم تأخر الوقت وعلي الذهاب الآن ,

-لن تذهب لمكانٍ دكتور فهد ستتناولُ الطعام برفقتنا" قالها مراد وتابع كريم بتهكم : طبعاً..شاركنا الطعام, سبحان الله صدفةٌ جميلةٌ جداً أن نراكَ اليوم هنا"

حدجه فهد بنظرة امتعاض وتذكر حواره مع كريم منذُ اربع سنواتٍ كاملة حينما دلف كريم بكل ثقةٍ لمكتب فهد قائلاً له:

-يجبُ أن نتحدث

نهض حينها فهد من خلف المكتب بعدما تعرف على كريم وقال بترحاب:

-أهلاً بكَ سيد كريم تفضل.

أشارَ كريم بيده مُهدداً وهو يخطو باتجاهه: الرجالُ يدخلونَ المنازل من أبوابها أيها المحترم, لا يتلاعبون بعواطف المراهقات"

التف فهد من خلف مكتبه مجيباً بلباقةٍ شديدة : وأنا مستعدٌ لطرق بابكم ولا أزال , لكن عسل تريدُ وقتاً لترتيب أولوياتها, وتأكد أنه ليس من أخلاقنا أن نتلاعب ببنات الناس"

-إذن احترم رغبتها بالابتعاد حتى يحين الوقت وتتأكد من مشاعرها, الفتاةُ ما تزالُ صغيرة, لكن صدقني إن لمحتكَ فقط, تحومُ حولها دون معرفتي أو إخبار مراد واللهِ لن يحصلَ خيرٌ أبداً, أتفهم"

لاحت ابتسامةٌ متحفظةٌ على شفاهه وبدا بارداً كالثلج أمام كريم المتهور والاندفاعي رد مجيباً :

-ما نوعُ هذه الغيرةِ بالتحديد سيد كريم لأني أرى أن انفعالكَ مبالغٌ فيه قليلاً فلستُ مراهقاً لتكلمني بهذه الطريقة " لسعه فهد بكلماته ليحدق فيه كريم بغضب ويجيب : غيرتي عليها كغيرتك على اختك تماماً.. أتفهم !! وكونكَ أكبر منها بعشرِ سنواتٍ على الأقل هذا لن يكونَ بصالحك"

-حسناً...لنكن هادئين أكثر رجاء ولستُ أكبر منها بعشرِ سنواتٍ بالمناسبة أنا تخرجتُ حديثاً, يعني ما أزالُ بأول حياتي المهنية والفارق بيننا لا يتجاوز الثمان سنوات, وأريدُ منكَ أن تتأكد أنني لا أريدُ بها السوء ومستعدٌ هذه اللحظة أن أتصلَ بسيد رضوان تأكيداً على نواياي الحسنة.

شرد كريم به للحظاتٍ قبل أن يرفع هاتفه ويقول بثبات: إتصل به إذاً, وأخبره برغبتك وغايتك وسأكونُ أولَ من يباركَ لك هذه الخطوة" ليتناول فهد منه الهاتف دون تردد ويجري اتصالاً مع رضوان واتفق معه على موعدٍ للزيارة دون معرفةٍ من عسل.

********

عاد فهد مجدداً من شروده وكريم ما يزال يتطلعُ به بنظراتٍ مبهمة فما كان منه إلا أن يضبط انفعاله ويبتسم وقد قبل دعوة مراد على العشاء فيبدو أنه يريدُ تلقين عسل درساً لن تنساه لإتلافها أعصابه بهذا الشكل بتعاملها المريح جداً مع كريم...

بعد انتهاء العشاء استأذن فهد بالانصراف و ذهبَ كلٌ منه في شئونه بينما جلست نور وآدم بالصالة , تشاغلت نور بمشاهدة التلفاز لتنهض عسل لايصال فهد حتى البوابة, كان الصمتُ حليفهما حتى وصلا ناحية البوابة الحديدية, تطلع فيها وتسائل بابتسامةٍ عذبة: امتثلتُ لرغبتك أربعَ سنواتٍ كاملة يا عسل, تعرفينني وتعرفين وضعي المادي والاجتماعي جيداً, وتعرفين مشاعري,ألم يحن الوقت لتصبح علاقتنا رسمية؟ شكلي لن يكونَ جيداً حين زيارتكم دون رابطٍ رسمي أليس كذلك ....يا سيادة الضابط " بهتت ملامحها وهي تنظر بوجهه الباسم, قالت بارتباك:

-يعني؟؟

-يعني, أريدُ أن نتزوج"

لكزته بخجل وهتفت به : تأدب.. أنتَ كيف!!

-تأدب!! أطلبكِ بالحلال وتقولين تأدب" قالها ضاحكاً لتغمض عينيها بحرج وتمتمت : أهذا وقته ؟

-بالمناسبة الجميعُ يعرفون وينتظرون قرارك .... ومنذ أولِ يومٍ لكِ بالجامعة.

-ما الذي يعرفه الجميع؟ "همست بها بذهول ليجيب هامساً : أني أحبك, وأنتظرُ تخرجك لأبدأ تجهيزات الخطوبة.

أدارت وجهها عنه بخجلٍ شديد والآن فقط لفهمت تلميحات مراد ونور كلما جاءت للزيارة, الآن فقط فهمت إصرار عبير على شراء بعض الفساتين والألبسة لها.. الآن لاستوعبت أنهم يقومون بتجهيزها كأي عرس ! تغضن جبينها وازداد احمرار وجهها استشعر فهد اضطرابها ليهمس مجدداً : أنتظرُ إجابتك.

-يخرب بيتك"

ضحك هذه المرة بصوتٍ عالٍ : خربت بيتي قبل أن أشتريه حتى ! لكن لكن لأقول الحق لأولِ مرةٍ آراكِ خجلى بهذا الشكل"

تأففت عسل وضربته على صدره فأردف وهو يمسكُ بكفها : من الآن وصاعداً, لن تسلمي بهذه اليد حتى...على كريم , لستِ صغيرة مفهوم"

استجمعت رباطة جأشها وهزت رأسها موافقة وقررت أن ترد له الصاع صاعين : وآدم عادي !!

ضرب كفاً بكف بيأس : لا كريم ولا آدم ولا غيره مفهووم"

-حتى أنت!!

صر على أسنانه بغيظ لتتعالى ضحكاتها الماكرة فلكزها على رأسها قائلاً : أنا من يحقُ لي فقط....ولا أحد غيري ليكن الله بعون من ستلقين القبض عليهم عندما تباشرين العمل.

-يبدو أنك أول من سألقي القبض عليهم.

-ويبدو أني أعرف السبب: سرقتُ قلبكِ وتفكيركِ, لا تُنكري"

رفعت حاجبيها وزمت شفاهها تريد أن تجيب لكنه أعجزها فعلاً بنظراته...ابتسامته أغرق غمازتيه لتغمض عينيها وتفتحهما قبل أن تتساءل ببلاهة : وانحرفنا كالعادة عن الموضوع, أتتزوجني أم ألغي الموضوع من أساسه وأتزوج ابن خالة ابن عمي ؟

-إقبل يا أخي وارحمنا لن نبقى الليل بطوله ننتظركما أمام البوابة !!

شهقت عسل واستدارت وحطت نظرات فهد خلفها على كريم الذي يحمل هبة النائمة بين ذراعيه وجمانة تكتم ضحكاتها بصعوبة وهي تمسكُ بكف جواد, ابتعد فهد وقد شعرَ بالإحراج فغمزَ له كريم وتجاوزه هو وجمانه ليستقلا سيارته المركونة خارجاً

ضربها فهد على جبهتها باسماً : حسناً أمري لله, سأتزوجكِ كي لا تسببي أزمةً قلبية لوالديك, هيا إلى الداخل, تصبحين على خير

**********

تعالت شهقاتها وهي بغرفة الكشف بعدما قامت الطبيبة بإخبارها ما كانت تود سماعه منذُ سنواتٍ وسنوات... أنتِ حاملٌ يا نور, مبارك"

غطت فمها بيديها ولم تشعر إلا وهي تهمسُ شاكرةً لله واختنق الصوت بحنجرتها ولم تستطع نطق كلماتٍ مفهومة, انحنت اليسا التي كانت متواجدةٌ برفقتها وربتت على كتفها مباركة بحبٍ كبير وفرحٍ عارم كونها أخيراً ستكونُ أماً كما حلمت منذُ زواجها, نادت على آدم الذي هرول للداخل بسرعةٍ ونور محتقنٌ وجهها بانفعال, تقدم منها بلهفة وتساءل بقلق: ما الأمر؟؟ وما سرُ هذا التعب المفاجئ الذي أخبروني به؟ وسط دموعها الملتهبة ضحكت وهي تخبره : أنا..أنا حامل, أنا حامل أخيراً...يا الله أنا أنا لا أصدق...!!

كانت تحادث آدم وتعيد كلماتها و وكأنها تحادث نفسها, احتضنها بقوةٍ لتهدئة انفعالها بينما اليسا تبسمت مع زميلتها وخرجت من غرفة الكشف

وتوقفتا أمام الباب لتعطيهما مجالاً, تنهد آدم باسماً : الحمدُ لله, كنتُ أعرفُ أن الله سبحانه سيغنيني برفقتك, كنت مؤمنٌ بذلك"

**********

***تمت بحمد الله.***

**أعمال أخرى للكاتبة :**

**الكتروني**

رواية لعنة حواء

رواية بين عالمين

سيناريو ( مجموعة قصصية)

رواية الرقصة الأخيرة

رواية المستبدة

رواية الشيطان الحزين

**ورقي..**

رواية رهينة الواقع العاجز (دار يافي للنشر2019 )

قصة انتقام من نوع آخر (ضمن كتاب رسائل لوسيفر (2019)

| | |
|---|---|
| رواية جرح بملامح إنسان (2020) | (مع دار يافي للنشر) |
| قصة صندوق الحب (2020) | ضمن كتاب ليلة فاصلة |
| قصة حاجز الصمت (2020) | مع دار دريم بن للنشر |
| قصة الوافد الجديد للنشر(2020) | مع دار شهرزاد |
| عناقيد دمشقية (خاطرة) (2020) | ضمن كتاب روح وزعفران |
| رواية نزيف الصمت 2021 | دار يافي للنشر |

للتواصل مع الكاتبة enas.salma2017@gmail.com